

الدارة

مجلة فصلية محكمة تصدر
عن دارة الملك عبد العزيز

العدد الرابع - السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ

الدارة



الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير
ص. ب ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩ ـ فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني aldarahmagazine@aldarahmagazine.com

السعر

السعودية ٥ ريالات، الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم،
قطر ٧ ريالات، البحرين ٥٠٠ فلس، الكويت ٥٠٠ فلس،
سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة، المغرب ٨ دراهم،
مصر ١٥٠ قرش، تونس دينار واحد
خارج الدول العربية ما يعادل دولارًا أمريكيًا واحداً

الاشتراكات السنوية

٢٠ ريالاً للاشتراك من داخل المملكة العربية السعودية
للاشتراك من الخارج ٦ دولارات أمريكية
ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم
دارة الملك عبد العزيز على العنوان الآتي:
ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩ / ٢٠١٦ ـ فاكس ٤٠١٣٨٩٤
بريد إلكتروني aldarahmagazine@aldarahmagazine.com
موقع الإنترنت www.aldarahmagazine.com

شركات التوزيع

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع، الرياض، هاتف: ٤٤١٨٩٧٢
مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع، القاهرة، هاتف: ٥٧٨٦٢٠٠
الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة، دبي، هاتف: ٢٦٦٥٣٩٤
البحرين: مؤسسة الهلال للتوزيع، المنامة، هاتف: ٢٩٤٠٠٠
الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، الكويت، هاتف: ٢٤١٧٨١٠
سلطنة عمان: المتحدة لخدمة وسائل الإعلام، مسقط، هاتف: ٧٠٠٨٩٥
قطر: دار الثقافة، الدوحة، هاتف: ٤١٣١٨٠
المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع، الدار البيضاء، هاتف: ٤٠٠٢٢٣

تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز



رقم الإيداع: ٠٠٨٢ / ١٤ بتاريخ ١٤١٤/١/٢٢هـ
ردمد ٠١٤٨ ـ ١٣١٩

نشاطات الدارة

من إنتاج دارة الملك عبدالعزيز تأمين ٢٥ ألف نسخة من فيلم (عبدالعزيز) لمدارس وزارة التربية والتعليم

ضمن تعاون دارة الملك عبدالعزيز مع وزارة التربية والتعليم، قامت الدارة بتأمين خمسة وعشرين ألف نسخة من فيلم (عبدالعزيز) الوثائقي والذي سبق وأنتجته دارة الملك عبدالعزيز في إطار الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، وتسعى الوزارة إلى توزيعه على كافة مدارس التعليم العام التابعة للوزارة، وذلك للاستفادة منه ضمن النشاط اللامنهجي للوزارة وذلك لما يحتويه الفيلم من معلومات تاريخية عن كفاح الملك المؤسس عبدالعزيز رحمه الله في توحيد وبناء المملكة العربية السعودية.

جدير بالذكر أن الدارة قد قامت بترجمة الفيلم إلى سبع لغات عالمية هي: (الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الأسبانية، التركية، الأردية، والإيطالية).

ضمن سلسلة الندوات الملكية دارة الملك عبدالعزيز تعقد الندوة العلمية عن تاريخ الملك فيصل رحمه الله

تنظم دارة الملك عبدالعزيز الندوة العلمية عن تاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وذلك خلال شهر ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق شهر مارس ٢٠٠٨م، وتهدف إلى رصد المعلومات العلمية للمؤسسات والباحثين والأفراد المتوفرة عن الملك فيصل.

كما أعلنت الدارة عن فتح المشاركة في الندوة، وحددت لها عدة محاور هي: نشأة الملك فيصل وسيرته قبل توليه الحكم، التنظيم الإداري في عهده، التعليم والثقافة والإعلام، الجوانب الاقتصادية، خدمة الحرمين الشريفين والحجاج، الشؤون الإسلامية، الجوانب العسكرية والأمنية، الجوانب الاجتماعية والإنسانية والصحية، النقل والاتصالات، والسياسة الخارجية.

الدارة تعقد المؤتمر الخليجي المغاربي الثالث في مدينة فاس بالمغرب

الدارة بالتعاون مع مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بتونس وجامعة سيدي محمد بن عبدالله في فاس بالمغرب لعقد المؤتمر الخليجي المغاربي الثالث خلال الفترة ١٧-١٩ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٩-٣١ أكتوبر ٢٠٠٧م، وذلك في مدينة فاس بالمملكة المغربية.

وسيكون موضوع المؤتمر (دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية: الواقع والآفاق)

يذكر أنه قد سبق أن تم عقد مؤتمرين سابقين، الأول في تونس عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٥م، والثاني في الرياض عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية كرمت رئيس التحرير

كرمت جمعية التاريخ والآثار في مؤتمرها الثامن المنعقد في المنامة معالي الدكتور فهد بن عبدالله السماري أمين عام دارة الملك عبدالعزيز بمناسبة صدور الأمر السامي الكريم القاضي بتعيينه أميناً عاماً للدارة على المرتبة الممتازة.

وقد عبر الدكتور فهد السماري عن جزيل شكره وامتنانه للجمعية رئيساً وأعضاءً على هذه اللفتة الأخوية التي تعبر عن عمق الترابط بين أعضاء الجمعية.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٨هـ السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

أبواب المجلة

عندما اعتزمت مجلة الدارة اتخاذ خطوات جديدة في سبيل الرقي بها، اعتمدت على مجموعة من الضوابط والمعايير التي من شأنها أن تحقق النجاح الذي تطمح إليه. وبناء على هذا أعادت النظر في أعداد المجلة خلال ربع قرن، فأخذت منها ما برز على نظائره، وزادت عليها ما يسمو بها، وعلى هذا جاءت أبواب المجلة في ثوبها الجديد، وهي:

◀ ١ – **البحوث العلمية.** وتعد عماد مجلة الدارة، التي حاولت منذ أمد أن تحقق فيها أعلى درجات الدقة العلمية والجدة والموضوعية، وجاءت في حلتها الجديدة منتقاة موافقة لاتجاه المجلة محققة للغرض من إنشائها.

◀ ٢ – **البحوث المترجمة.** والغرض من هذا الباب تزويد القارئ العربي بالبحوث التي صدرت بلغات أجنبية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية ونحوها من اللغات العالمية التي كان للباحثين في تلك الأقطار اهتمام بتاريخ الجزيرة العربية عامة، أو بتاريخ المملكة العربية السعودية خاصة.

وتشترط الدارة لنشر هذه البحوث أن يذكر اسم المؤلف الأصلي كاملا، والمصدر الذي أخذ البحث عنه، وأن تتميز تعليقات الباحث عن تعليقات المترجم. ولابد من إرفاق الأصل المترجم لمطابقة الترجمة وتحكيمها.

◀ ٣ – **الوثائق.** وهو باب جديد، ترمي المجلة من إنشائه إلى التعريف بعدد من الوثائق المحفوظة في مراكز حفظ الوثائق في دارة الملك عبدالعزيز وغيرها. وفي نشر هذه الوثائق المحفوظة إفادة للباحثين والمهتمين بتعريفهم بوثائق لم يكن يسهل تعريفهم إياها بغير دراستها ونشرها في المجلة.

ومن أجل نشر هذه الوثائق يفضل إرفاق صورة واضحة من الوثائق المدروسة، مع ذكر الجهة التي تحتفظ بها، ورقم الحفظ.

◀ ٤ – **مراجعة الكتب.** يختص هذا الباب بالبحوث النقدية المتصلة بالكتب المطبوعة في مجالات مجلة الدارة المتنوعة، بهدف التعريف بمحتوى الكتب ونقدها بأسلوب علمي من حيث السلبيات والإيجابيات ومواطن التميز وأوجه القصور.

وللنشر في هذا الباب ينبغي ألا تزيد مراجعة الكتاب عن تسع صفحات، وأن تتضمن المراجعة ما يأتي: موضوع الكتاب وحدوده الزمانية والمكانية والمرجعية، منهج الباحث في بحثه وأدواته ومصادره، إضافات الباحث واستدراكاته على من سبقه والجديد في بحثه، النقد الموضوعي (الإيجابيات، السلبيات)، إضافات المراجع واقتراحاته.

وللمراجع اختيار طريقة عرض الكتاب بما يلائم الكتاب وما يراه مناسبًا.

◀ ٥ – **ملخصات الكتب.** وهو من جديد المجلة، تلتزم فيه المجلة بوضع ملخص للكتب المؤلفة حديثًا، يعرف المطلع عليه بأبرز سمات الكتاب وموضوعاته ومجالاته. وقد يعرض الملخص مصادر الكتاب ومنهج المؤلف في كتابه، وغرضه من تأليفه. وقد يشار إلى ما يحتويه من أشكال وخرائط وصور ووثائق، أفاد منها المؤلف في كتابه.

ومجلة الدارة ترحب بالباحثين الذين يرغبون في نشر مراجعات علمية لكتبهم أو كتب غيرهم أو ملخصات لها، إذ تستقبلها على عنوانها البريدي، باب: مراجعة الكتب، أو باب: ملخصات الكتب. ومن المستحسن أن يرفق المؤلف نفسه ملخصا لكتابه.

◀ ٦ – **تعقيبات وتعليقات.** تنشر فيه المجلة ما يرد إليها من الباحثين والقراء من تعقيبات أو تعليقات على ما نشر فيها بغرض زيادة التواصل العلمي بين الباحث وقرائه.

شروط النشر

تعنى مجلة الدارة بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة.

وينبغي أن تتوافر في هذه البحوث الشروط الآتية:

١ - أن يتسم البحث بالأصالة والمنهجية العلمية والجدة في الموضوع والعرض.

٢ - أن يكون صحيح اللغة، سليم الأسلوب، واضح الدلالة.

٣ - ألا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلا من رسالة علمية أو كتاب مطبوع.

٤ - أن يكون البحث مطبوعًا على الحاسب الآلي، مرفقا معه القرص المنسوخ عليه.

٥ - أن يرفق مع البحث ملخص له باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة، مع الحرص على الدقة في كتابة العنوان باللغة الإنجليزية.

٦ - أن ترفق نماذج واضحة من الأشكال التوضيحية والصور والوثائق والمخطوطات.

٧ - أن توضع الحواشي في آخر البحث، على أن يكون الترقيم متواصلا.

٨ - أن تذكر المعلومات الوراقية (الببليوجرافية) للمصادر المعتمد عليها (الكتب، والمقالات، والمخطوطات) عند أول ذكر لها في الحواشي، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع.

٩ - أن تكتب الأسماء الأجنبية باللغة العربية، وتكتب بلغتها بين قوسين عند أول ورود لها.

١٠ - أن يرفق الباحث سيرة ذاتية له توضح نشاطه العلمي والعملي.

منهج النشر

١ - تخضع البحوث الواردة للمجلة للتحكيم العلمي. ويلزم الباحث إجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين، مع تعليل ما لم يعدل.

٢ - يعطى الباحث عشرين مستلة من بحثه، وخمس نسخ من المجلة.

٣ - تمنح المجلة الباحث مكافأة مالية، وفق اللائحة المعتمدة.

٤ - لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

٥ - تحتفظ المجلة بحقها في الحذف والاختزال والتعديل اليسير بما يتوافق مع أغراض الصياغة والمنهج العلمي المتبع.

٦ - لا تعبر الآراء الواردة في البحوث بالضرورة عن رأي المجلة.

٧ - لا صلة لترتيب البحوث بالمجلة بالقيمة العلمية للبحث أو الباحث، إذ الترتيب موضوعي وفني، وبما يناسب أبواب المجلة.

٨ - ترسل البحوث والدراسات والآراء والتعليقات إلى رئيس التحرير.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٨هـ، السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

المحتويات

البحوث

بحوث مترجمة

مراجعات كتب

تعقيبات وتعليقات



من أرشيف الدارة

الملك عبدالعزيز مع الجنرال السير برنارد باجيت والأمير محمد بن عبدالعزيز، والشيخ يوسف ياسين، وفؤاد حمزة.

المصدر: المتحف الحربي الإمبراطوري، لندن

عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر (الأولى والثانية)

من خلال المصادر والوثائق المحلية والعثمانية

د. ناصر بن محمد الجهيمي
دارة الملك عبدالعزيز

شارك الإمام فيصل بن تركي في الدفاع عن الدرعية في شعيب غبيرا منذ حصارها يوم الثلاثاء ١٢٣٣/٥/٣هـ الموافق ١٨١٨/٤/٨م تحت قيادة والده الإمام تركي بن عبدالله[١]. وبعد استسلام الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز يوم الأربعاء ١٢٣٣/١١/٩هـ الموافق ١٨١٨/٩/٩م بعد مقاومة باسلة نقل إلى مصر. وقد ذكر ابن بشر أنه نقل بعد يومين من الاستسلام، ولم يكن بصحبته من قومه إلا ثلاثة أو أربعة رجال[٢].

لذلك فإن ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتابه المقامات[٣] من أن أسرة الإمام عبدالله تبعته إلى مصر بعد سفره يؤكد عدم مرافقتها له، إذ يقول الشيخ عبدالرحمن في المقامات ما نصه: "وروّح من روّح لمصر بعد روحة عبدالله بن

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص ٤٠٣، دارة الملك عبدالعزيز، أحداث عام ١٢٣٣هـ.

(٢) ابن بشر ج١، ص ٤٢١.

(٣) قامت دارة الملك عبدالعزيز بنشره بتحقيق الدكتور عبدالله المطوع.

سعود - رحمه الله - تبعه عياله وإخوانه وكبار آل الشيخ". وقد ذكر الجبرتي أن وصول الإمام عبدالله إلى القاهرة يوم الاثنين ١٧/١/١٢٣٤هـ الموافق ١٥/١١/١٨١٨م[٤].

وكان عدد من نقل من أسرة الإمام عبدالله ومن تبعهم من الدرعية إلى مصر (٣٥١) شخصاً بموجب البيان الذي أرسله إبراهيم باشا إلى والده محمد علي في ٢٠/٣/١٢٣٤هـ (١٨١٩م)[٥]، ووصلوا إلى مصر في شهر رجب عام ١٢٣٤هـ/مايو ١٨١٩م[٦]. ويشير الجبرتي إلى أنهم سكنوا في حي يعرف بخطة الحنفي[٧].

لكن الوثائق العثمانية تشير إلى أن الذين وصلوا إلى مصر (٢٨٥) فرداً؛ مما يعني تخلف عدد منهم، وهرب بعضهم كما ورد في عدد من المصادر مثل الوثيقة العثمانية التي ذكرت هرب محمد بن تركي وفراره إلى اليمن[٨].

وقد كان من ضمن المنقولين إلى مصر فيصل بن تركي ومعه أسرته، وهم إخوانه وعددهم أربعة، وأخواته اثنتان، ووالدته، وثمان من جواريه، وسبعة من عبيده وخدمه، وذلك كما ورد في الدفتر البياني لأسرة الإمام عبدالله الذين وصلوا إلى مصر.

---

(٤) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص٥٩٤ - ٥٩٦.

(٥) الأرشيف العثماني تصنيف B - Hatti Hamayun 19698.

(٦) الأرشيف العثماني Hatti Hamayun 19698.

(٧) الجبرتي ج٣، ص ٦٢٩.

(٨) الأرشيف العثماني Hatti Hamayun 19698.

وقد ورد في القائمة المرسلة من محمد علي إلى السلطان العثماني المؤرخة في ١٢٣٤/٧/٢٤هـ أنه تم تسجيل الأسماء وضبطها من أجل إعطائهم المخصصات المالية المقررة لهم(٩).

أما عن عودة الإمام فيصل من مصر إلى نجد فلم يرد في الوثائق العثمانية والوثائق المحفوظة في دار الوثائق المصرية التي بين أيدينا، وكذلك المصادر المحلية إشارة إلى كيفية تلك العودة، وكل ما يتوافر هو نص ابن بشر في أحداث عام ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م حيث يذكر ما نصه: "أقبل الإمام فيصل بن تركي من مصر هارباً، وقدم على أبيه في الرياض، واستبشر الإمام والمسلمون بقدومه..."(١٠).

وعودة الإمام فيصل من مصر عام ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م تدل على أنه بقي أكثر من تسع سنوات، ومن المعلوم أن الإمام تركي كان يراسل من كان في مصر من آل سعود وآل الشيخ يدعوهم للعودة.

أسره للمرة الثانية ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م :

في شهر شعبان من عام ١٢٥٤هـ الموافق شهر فبراير ١٨٣٨م قدم خورشيد باشا ومعه الأمير خالد بن سعود إلى الدلم، ودارت بينه وبين الإمام فيصل معارك عدة حتى علم أن كبار من معه من أهل الحوطة قد راسلوا جماعتهم الذين كانوا مع خورشيد باشا يطلبون الأمان، وقد ذكر ابن بشر أسماء رؤسائهم، منهم راشد بن حسين وفوزان بن رشود من

(٩) الأرشيف العثماني Hatti Hamayun 19698.

(١٠) ابن بشر ج٢، ص ٦٣.

آل شريم من أهل الحوطة، ومنهم فوزان بن محمد وإبراهيم بن عبدالله بن حسين أبو ظهير من رؤساء بني تميم؛ فتدارك الإمام فيصل الأمر، وقال لهم: "إما أنكم احربوا معنا أو اخرجوا عنا، ولا تفتوا في عضدنا". فقالوا: "صالحنا الباشا". فقال الإمام فيصل: "إذا كان الأمر كذلك؛ فاصبروا حتى نأخذ الصلح والأمان على بلدنا وجنودنا وأموالنا"، وكتب إلى خورشيد باشا يطلب الصلح له ولمن معه من الجنود ولأهل الدلم ومن تابعه من أهل العارض وغيرهم؛ فأعطاه خورشيد باشا ما طلب شريطة أن يتوجه إلى مصر لمواجهة محمد علي باشا، فتم الصلح، وتجهز الإمام فيصل للرحيل في نهاية رمضان من عام ١٢٥٤هـ/ مارس ١٨٣٨م، ومعه ابناه عبدالله ومحمد وأخوه جلوي وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله، فساروا إلى المدينة المنورة ومنها إلى مصر. ويقول ابن بشر ما نصه: "وأنزلوه في بيت، وجعلوا عنده حارساً يحفظونه، وصار في مكانه ذلك يحيي غالب الليل بالتهجد والصلاة، وفي نهاره بين صلاة وتلاوة قرآن، وكان يتردد إليه كثير من أهل مصر إذا كان في أحد منهم ألم وحمى أو غير ذلك يأتونه يقرأ عليهم، وكانوا يرون أثر الشفاء من قراءاته ودعائه، ومن أجل ذلك ازداد عندهم تكريماً وتعظيماً. ذكر لي أنه خرج من مصر هذه المرة، وأنهم يترددون إلى مكانه يزورونه ويستشفون به..."(١١).

وتكاد المصادر التاريخية تجمع على خروج الإمام فيصل من نجد إلى مصر بهذه الصفة.

---

(١١) ابن بشر ج٢، ص ١٧١ - ١٧٣.

إلا أن الرحـــالة وليم بلجـــريف الذي زار الرياض عـــام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م؛ أي: قبل وفـاة الإمـام فيصل بأربع سنوات يذكر أن الإمام فيصل بعد خروجه من نجد أدى فريضة الحج متنكراً، ثم اتجه إلى دمشق، وزار المسجد الأقصى في القدس، كما زار كثيراً من مدن الساحل السوري، ثم عاد إلى نجد، واسترد الحكم. ويذكر بلجريف مرة أخرى أن الإمام فيصل كان في مصر، ومنها عاد إلى نجد، لكن ما ذكره بلجريف لا يؤيده ما ورد في المصادر التاريخية أو الوثائق العثمانية.

وبقدر ما اكتسبه خروج الإمام فيصل من مصر في المرة الأولى من غموض في المصادر العثمانية والعربية، فإن المصادر ذات العلاقة بالإمام فيصل بن تركي قد أفاضت في الحديث عن خروجه من مصر للمرة الثانية وعودته لاسترداد الحكم، إلا أنها اختلفت في رواية طريقة خروجه من مصر، فبعضها ذكر أنه هرب من السجن، وبعضها أشار إلى هربه بمساعدة من الخديوي عباس باشا، وبعضها أشار إلى أنه خرج بأمر من محمد علي باشا.

الروايات التاريخية في عودته الثانية من مصر:

١ - يذكر ابن بشر في أحداث عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م ومن نقل عنه مثل ضاري الرشيد "نبذة تاريخية عن نجد" وفلبي "العربية السعودية" وصلاح المختار "تاريخ المملكة العربية السعودية" أن الإمام فيصل بن تركي هرب ومعه ابنه عبدالله[١٢]،

(١٢) لم يشر ابن بشر إلى عودة ابنه محمد معه مع أنه أشار إلى ذهابه إلى مصر مع والده الإمام فيصل. ابن بشر ج٢، ص ٢٠٧.

وأخوه جلوي بن تركي، وابن عمه عبدالله بن إبراهيم بوساطة الحبال من أعلى سور السجن البالغ ارتفاعه حوالي (٧٠) ذراعاً، ثم ركبوا مطايا كانت تنتظرهم، وارتحلوا إلى بلاد شمر، يقول ابن بشر: "ولما أراد الذي بيده الحركات والسكون، القادر الذي يقول للشيء كن فيكون، إخراج الإمام فيصل من حبس الياس...، نزل من حبسه بحبال، لما أكثر التذلل والتضرع عند ربه والابتهال...، وكانت العساكر رصداً عليهم في مدخلهم ومخرجهم، والفرجة التي نزلوا معها عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً... وإذا هم قد واعدوا ركائب تحتهم؛ فركبوها وذلك في الليل فساروا إلى جبل شمر"(١٣).

٢ - يذكر سعود بن هذلول روايتين لخروج الإمام فيصل: إحداها أنه هرب من السجن، والأخرى أنه خرج بمساعدة الخديوي عباس باشا الأول، ولم يرجح إحدى هاتين الروايتين، إلا أنه ينفرد بذكر من صحبه إلى حائل بأنهم من عتيبة منهم محمد بن مروي وخزام الهرار(١٤).

ويعود سعود بن هذلول ليعارض رواية ابن بشر أن الإمام فيصل هرب من مصر، ويستبعدها بالنظر إلى صعوبة اجتياز الصحاري دون مساعدة، ومعه ثلاثون مرافقاً من

---

(١٣) يذكر ابن هذلول أن الإمام فيصل خرج من معتقله عام ١٢٥٩هـ، ومعه أولاده، ويقصد بذلك ابنيه عبدالله ومحمداً، ويرى ابن بشر أن الذي معه كان ابنه عبدالله.

(١٤) يذكر سعود بن هذلول أنهم من الرومة من بني شبيب، تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٤.

آل سعود وغيرهم، وقد ذكر ابن هذلول أسماء عدد منهم؛ لذلك يرى سعود بن هذلول أن الحكومة المصرية قررت إعادة الإمام فيصل إلى إمارة نجد، وأخذ التعهد عليه بعدم التعرض للحجاز، وأن محمد بن مروي وخزام الهرار كانا يعملان لدى الحكومة المصرية في تدريب الخيل، فكلفتهما بمرافقة الإمام فيصل[١٥].

ولا شك أن هذه الرواية تحتاج إلى مناقشة وتثبت قبل قبولها أو نفيها، لا سيما أنه اعتمد على كتاب "الدولة السعودية الثانية" لعبدالفتاح أبو علية الذي نقل عن محمود شاكر، وهي مراجع حديثة، وليست مصادر أصلية.

٣ - رواية حافظ وهبة، وهي تتشابه تماماً مع رواية سعود بن هذلول، ولكنها توضح الأمر أكثر، فقد أعطتنا تعليلاً للسبب الذي أخرج عباس باشا من أجله الإمام فيصل من السجن، ويعود إلى أن عباس باشا كان معجباً به وبعقله[١٦].

٤ - يرى أمين الريحاني أن خروج الإمام فيصل من السجن كان بإيعاز من محمد علي باشا؛ ليعيده حاكماً على نجد[١٧].

٥ - يرى عبدالله البسام في مخطوطة "تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق" ما نصه: "في هذه السنة (١٢٥٩هـ) قدم فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن

(١٥) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٤ - ٢٥.

(١٦) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٣٠.

(١٧) الريحاني، تاريخ نجد، ص ٩٥.

سعود إلى بلد الجبل عند عبدالله بن علي بن رشيد هارباً من مصر، وذلك بمساعدة عباس بن طوسون باشا بن محمد علي، وكان الأمر في ذلك الوقت لمحمد علي باشا ولابنه إبراهيم، وليس لعباس شيء من الأمر، إلا أنه كان محبباً عند جده محمد علي ومسموع الكلمة عند رجال دولته، وكان يجتمع كثيراً بفيصل بن تركي وهو محبوس، فقال له فيصل يوما: إن نجد صارت بيد عبدالله بن ثنيان، فلو أتخلص من الحبس، وأصل إلى نجد أنتزع الملك منه إن شاء الله تعالى، وأصير تابعا لأفندينا تحت أمره؛ فوعده عباس بأنه يدبر هذا الأمر له وأمره بكتمانه، ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية، ووضعها بموضع بعيد عن مصر، واحتال في إخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرا؛ فخرج ليلاً، ووصل فيه إلى المحل الذي فيه الركاب والخيل هو وبعض أتباعه وركبوها، وتوجهوا إلى نجد، وبعد يومين بلغ الخبر إبراهيم باشا، فأركب كثيراً من العسكر رجاء أن يدركوه، وكان ممن ركب معهم عباس باشا، فساروا يومين، فلم يدركوه، فرجعوا، ولم يزل فيصل سائراً حتى وصل إلى جبل شمر كما تقدم ومعه أبناؤه عبدالله ومحمد(١٨) وأخوه جلوي.

٦ - يرى أحمد زيني دحلان في كتابه "خلاصة الكلام" أن الإمام فيصل هرب من مصر بمساعدة عباس باشا ويورد النص الآتي: "صار أمر نجد لعبدالله بن ثنيان فلما بلغ

(١٨) بينما يرى ابن بشر أن الإمام فيصل عاد ومعه ابنه عبدالله. يرى ابن بسام أن ابنيه عبدالله ومحمد كانوا معه، البسام، ص ٣٠٧.

الخبر فيصل ابن تركي الذي أرسله خورشيد باشا إلى مصر محبوسًا، صار فيصل يدبر الأمر في هربه من مصر ليصل إلى نجد وينتزع الملك من عبدالله بن ثنيان؛ فسهل الله له ذلك بإعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا وكان الأمر في ذلك الوقت لمحمد علي باشا ولابنه إبراهيم وليس لعباس باشا شيء من الأمر إلا أنه كان محببًا عند جده محمد علي باشا ومسموع الكلمة عند رجال دولته، وكان يجتمع كثيرًا بفيصل بن تركي وهو محبوس فقال له فيصل يومًا: إن نجد صارت بيد عبدالله بن ثنيان فلو أتخلص من الحبس وأصل إلى نجد أنتزع الملك منه إن شاء الله تعالى وأصير خادمًا لأفندينا وتحت أمره، فوعده عباس باشا بأنه يدبر هذا الأمر له وأمره بكتمانه، ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلاً خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال في إخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرا؛ فخرج في ليلة ووصل إلى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض أتباعه وركبوها وتوجهوا إلى نجد، وبعد يومين بلغ هروبه إبراهيم باشا فأركب كثيرًا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا"(١٩).

٧ - وفي "أصول الخيل" ترد رواية مشابهة تشير إلى دور غامض لعباس باشا في مساعدة الإمام فيصل على

(١٩) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ط.١، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ص ٣١٢-٣١٣.

الهرب من سجنه بمصر إلا أن هذه الرواية تؤكد نزول الإمام فيصل من سجنه الذي يرتفع في حدود سبعين متراً وأن إبراهيم باشا حينما علم أرسل فرقة للبحث عنه لكنها لم تصل إلى نتيجة وأن سبب ذلك وجود عباس باشا ضمن أفراد الفرقة المكلفة بالبحث عنه(٢٠).

٨ - كما أشار عبدالله بن خميس إلى خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر إلا أنه لم يذكر تفاصيل الخروج سوى ما أشار إليه من أنها مدبرة، كما أكد على أن محمد بن مروي وخزام الهرار كانوا بصحبته(٢١).

٩ - وينفرد الأمير محمد علي ولي عهد المملكة المصرية(٢٢)، برواية فيها معلومات مهمة حول كيفية خروج الإمام فيصل بن تركي من القاهرة، فيقول: "بعد انتهاء حرب الوهابيين سيق إلى مصر كأسرى عائلة ابن السعود حيث سجنوا في القلعة حتى تصدر أوامر بخصوصهم من إسلامبول. وكان عباس باشا حينئذ كتخدا مصر(٢٣) ويشعر نحو العرب بعطف ومحبة وله صداقة بهم فأمر

---

(٢٠) حمد الجاسر، أصول الخيل العربية الحديثة، ص ١٩٥.

(٢١) عبدالله بن خميس، تاريخ اليمامة، ج٦ ص ٢، ٣.

(٢٢) الأمير محمد علي بن الخديوي توفيق باشا (١٢٩٢-١٣٧٤هـ/ ١٨٧٥-١٩٥٥م)، وعباس حلمي باشا الأول هو جده لوالدته، ووالدته هي الأميرة أمينة بنت إبراهيم إلهامي باشا بن عباس حلمي باشا الأول.

(٢٣) تولى عباس باشا منصب كتخدا والي مصر في غرة جمادى الأولى عام ١٢٥٤هـ/ ٢٢ يوليو ١٨٣٨م، وكتخدا الوالي أي وكيله.

علي باشا اللآله[٢٤] - إذ كان هذا الأخير يخلص لعباس باشا - أن يعمل اللازم لتهريب تلك العائلة العربية من القلعة. حكى لنا علي باشا ما فعله فكان يدخل الأكل إليهم بواسطة الطبكجي فخلع ملابسه ولف حول جسده حبلا طويلا ثم لبس ملابسه حتى أخفى الحبل وناوله مبردين لكي يبرد بهما عيدان النوافذ الحديدية وأخفى المبردين في حزام الرجل وفي عمامته وضع به خطابا به تفصيلات كيفية الهروب ليعمل الأسرى بموجبها، وأخبرهم أيضا أنه وضع تحت تصرفهم عشرة هجن تنتظرهم تحت سور القلعة، وتم بحمد الله كل ما رسم لهذه العملية وهربوا فعلا بواسطة هذا الترتيب. وفي اليوم التالي وجد الخفراء والنوبتجيين أثناء تفتيشهم اليومي الغرف خالية ممن كان فيها والنوافذ مكسورة، فأدركوا أنهم هربوا من النوافذ، وخافوا أن يخبروا محمد علي بالأمر، وقضوا يومين يتباحثون مع بعضهم في كيفية إبلاغ الخبر أو التمكن من القبض عليهم. فلما أيقنوا أن القبض عليهم من المحال اضطروا أن يذهبوا في اليوم الثالث إلى محمد علي باشا بسراية بشبرا[٢٥]. وأخبروه بما حدث فسكت محمد علي باشا وفكر قليلا ثم قال لهم: أتركوا الموضوع؛ لأن هذا هو عمل عباس، وهو لم يقدم عليه إلا بعد أن عرف أن فيه

(٢٤) علي باشا هو علي جمال باشا. والمعروف بعلي الجمالي، وكان مربياً للخديوي عباس حلمي باشا الثاني وأخيه الأمير محمد علي.

(٢٥) كان خروج الإمام فيصل من السجن في غرة المحرم عام ١٢٥٩هـ/ ٣١ يناير ١٨٤٣م.

خيراً، وفعلا صار بعد ذلك فيصل ابن السعود أكبر صديق لعباس باشا الأول، وكان رجال عباس باشا آمنين في جميع أقطار العرب، ولا يمسوا بأي سوء ولا يقاومهم أو يضادهم في أعمالهم أحد، وظل البطلان عباس باشا وفيصل إلى نهاية حياتهما أخوين متصادقين"(٢٦).

١٠ - أما الوثائق العثمانية فحسب التسلسل التاريخي تشير إلى أن الإمام فيصل خاطب والي جدة العثماني يطلب منه أن تقوم الدولة العثمانية بفك أسره، وأن يعود إلى نجد والياً وتابعاً للدولة العثمانية، ثم نجد أن خطاباته لم تجد لها صدى وإجابة لدى الدولة العثمانية، كما تشير الوثائق في مرحلة أخرى إلى هرب الإمام فيصل مع أنه كاتب الدولة العثمانية بعد استرداده الحكم بالاعتراف بالخلافة العثمانية. ويمكن استعراض الوثائق العثمانية ذات العلاقة بعودة الإمام فيصل من مصر حسب التسلسل التاريخي بدءاً برسالة الإمام فيصل بن تركي إلى والي جدة عثمان باشا يطلب فيها التوسط له لدى الباب العالي بالعفو عنه، والسماح له بالعودة إلى نجد، وترد الرسالة بالنص الآتي: "فخر الأمراء الكرام، قطب الوزراء العظام، حامي حمى الحرم الشريف الحائز من

(٢٦) أمدني بهذه الرواية وهوامشها الأخ الأستاذ/ حمد بن عبدالله العنقري، وهذه الرواية وتحقيقها إضافة إلى روايات أخرى ووثائق تتعلق بالتاريخ السعودي والمصري وأصول أسرة محمد علي باشا وفروعها ضمن أوراق ومقالات الأمير محمد علي؛ هي قيد النشر في بحث للعنقري سينشر قريبًا بإذن الله تعالى، عنوانه: ولي العهد المصري الأمير محمد علي توفيق ورواياته التاريخية.

المجد التالد والطريف، وبعد تقبيل الأيادي الكرام، والدعاء على الدوام، فقد سبق هذا من أن الداعي إلى السدّة السنيّة آلوكة[٢٧]، عسى أن يكون المولى سبحانه وتعالى قد منّ بوصولها وهي معربة عن استعطاف أفندينا في الشفاعة لدى الدولة العلية أن يفسحوا للداعي وأقاربه وأولاده في النقلة إلى أحد الحرمين الشريفين أو إلى بلاده، وإن هم شرّفوا الداعي، وأنعموا عليه بخدمته لفخرهم في الجهات النجديّة، فهم أهل المراحم السنية والأيادي العلية بما هو أجل من هذه القضية، ومهما يصدر من مراسم الفخر الملوكي من الأوامر العلية، يتعب الداعي فيه فكره وفهمه، وينضي خيله ورجله وجسمه حتى يتم على أحسن حال، وينتظم على أسلوب يليق بمقام الفخر الملوكي والأمر العالي، وحسبما عينوا وقدّروا من الدراهم والرهائن يكون رهين الإعلام والإشارة، ولا يألو الداعي في الخدمة جهداً، ولا ينقض عهداً، ولا يخلف وعداً بحول الله سبحانه، ثم بهمّة الدولة العلية، وإسعادهم يجول الداعي ويصول حتى ترجع فروع الجهات النجدية وأطرافها إلى الأصول، وإذا امتحنت المراحم السنية خادمها الداعي المسجون، فبعد الامتحان يُكرم المرء أو يهان، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] هذا والمسؤول الله - سبحانه وتعالى - أن يطيل بقاء خليفة الله في الأرض حتى يُؤدّي في ظل عدله النفل والفرض، وأن يديم

(٢٧) الآلوكة: الرسالة.

سبحانه شرف أفندينا في هذه الوزارة العظمى متوسلين في ذلك بخير خلق الله في الأرض والسماء، والأمر لمن له الأمر...."[٢٨]. وحينما أُرسلت هذه الرسالة إلى عثمان باشا والي جدة في ذلك الوقت، قام على الفور بإرسال رسالة إلى السلطان العثماني، فيها تقرير عن هذا الموضوع، يقول فيها: إنه حتى هذا التاريخ لم ترد أي أخبار لا عن خالد بك ولا عن الأمير عبدالله بن ثنيان، ولكن وردت اليوم رسالة استرجاع إلينا منذ ثلاثة أشهر ماضية من طرف الشيخ فيصل بن تركي المقيم محبوساً في مصر الآن، يطلب فيها ملتمساً مساعدة الباب العالي، وموافقته في تخليصه من هذا الحبس في مصر، ومساعدته في الإقامة في بلده أو في بلاد الحرمين، وسوف يكون تحت طاعة الدولة العثمانية في كل وقت.

ثم يشير الوالي المذكور برأيه في هذا الموضوع من خلال الرسالة نفسها، إلى أن الشيخ فيصل بن تركي، مرعي الخاطر بين مشايخ العربان في منطقة نجد، ولو أنه أُرسلت هدايا إلى طرف نجد والرياض مع الشيخ فيصل، فإنه سوف يتعهد بأداء المصلحة والتبعية والحماية، وسوف يحضر أولاده وإخوته وأولادهم، ولو أنه تم تخليصه من الحبس، فهل ستُحال إلى عهدته حُكْم نجد أم لا؟ أم سيتم التفضل بالإمارة هناك على خالد بك فالأمر للسلطان[٢٩].

(٢٨) الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mes.muh.1798.

(٢٩) الأرشيف العثماني، تصنيف Irade. Vala.771.

والظاهر من الوثائق والرسائل المتبادلة أن والي جدة كان يميل إلى تخليص الإمام فيصل من حبسه في مصر؛ لأنه في هذه الحالة لن يكون هناك حاجة لتدبير أموال وإرسالها إلى الجنود الموجودين في نجد، حيث سيقوم الإمام فيصل حسب رأيه عند توليه الإمارة بعمل ذلك وتوفير مبالغ على الخزينة الحكومية[٣٠].

وفي الوقت الذي تم فيه ذلك قام الأمير عبدالله بن ثنيان آل سعود بإرسال عريضة تحمل توقيعات عدة لعدد من آل سعود وأعيان المناطق وشيوخ القبائل[٣١]، يبلغ فيها والي جدة عثمان باشا بالأحداث المؤسفة التي قام بها

(٣٠) الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mes.muh.1798.

(٣١) من هذه الأسماء التي وردت في العريضة عبدالرحمن بن حسن، علي بن حسين، عبدالرحمن بن حسين، إبراهيم بن سيف، محمد بن مقرن، إبراهيم بن عبيد، جمعان بن ناصر، عبدالله بن عبداللطيف بن نعيم، عبدالله أبا بطين، أحمد بن مشرف، عبدالله الوهيبي، عبدالعزيز بن عبدالجبار، علي بن خميس، عمر بن عفيصان، موسى الحملي، سعدون بن سيف، عبدالرحمن بن مانع، علي بن غانم، محمد بن حسين، فهد بن عفيصان، فواز بن محمد، إبراهيم بن عبدالله، منصور بن محمد، عمر بن خريف، زيد بن هلال، تركي الهزاني، سيف بن عفنان، جاسر بن فريان، إبراهيم بن رواف، دخيل الله بن شرف، عبدالرحمن بن عبيكان، مبارك بن محمد، مهدي بن طميهير، إبراهيم بن سلطان، ناصر بن جبرين، علي بن عبدالله، محمد البواردي، عبدالعزيز العنقري، حمد آل مبارك، عبدالعزيز بن عياف، عبدالله آل ناصر، سعد بن محمد، راشد بن جفران، سليمان بن محمد، حمد بن عياف، صالح بن راشد، يوسف بن عمران، سعود بن فرحان، محمد بن حمد، سعود بن عياف، سعد المطيري، منصور بن نافع، محمد الدويش، عساف أبو اثنين، فهيد الصييفي، سلطان بن ربيعان، قحاي بن عضيب، فلاح بن حثلين، شافي بن شبعان، فيصل بن لحيان، محمد بن هادي، محمد بن سالم.

الأمير خالد بن سعود في منطقة نجد ومعاملته السيئة للأهالي هناك[٣٢]، وفي هذا دليل على أن الدولة العثمانية كانت تفكر في البديل لهذه الإمارة، وربما تكون فكرت في الإمام فيصل حينما كان مسجوناً في مصر. ولكن لم تكن رغبة محمد علي باشا تميل إلى ذلك الرأي.

وخلال أشهر عدة وردت رسالة من شريف مكة يقول فيها: إن فيصل بن تركي استطاع الفرار من محبسه في مصر، ووصل إلى نجد، واستطاع بمعاونة بعض أقاربه التعدي والاستيلاء على المنطقة، وهو ما أورده محمد علي باشا والي مصر في تقريره المرسل أيضاً[٣٣].

وبين هذه المراسلات لم تتضح المعلومات الخاصة بكيفية الهرب، والجهة التي ساعدته على ذلك، وخصوصاً أن الدولة العثمانية لم تردّ على خطابات الإمام فيصل أثناء حبسه، وبرأيها في موافقتها على تخليصه أم لا؟! لذلك يتضح عدم رضا السلطان العثماني على إطلاق سراحه أو عودته لتولي الحكم لا سيما أن محمد علي باشا لم تكن لديه رغبة في الإفراج عن الإمام فيصل كما اتضح من خلال المراسلات السابقة[٣٤].

---

(٣٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Irade.Mec Muh 1798.

(٣٣) الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mes.Muh. 1798.

(٣٤) سبق أن ورد إلى الدارة وثيقة مرسلة من الأمير عبدالمحسن بن إبراهيم بن مشاري إلى أسعد بيك بتاريخ ٥ جمادى الأولى ١٢٥٩هـ يشير فيها إلى أنه صدر من الباشا إجازة لأولاد فيصل وحريمه يتوجهون إلى والدهم، وأنه لم يبق في مصر سواه وابنه واثنين من الفقهاء وبعض الحريم والأتباع، ويأمل أن يسمح لهم بالمغادرة إلى أوطانهم. وقد أشار الأستاذ عبدالرحمن الرويشد في تقرير له عن هذه =

ومن خلال تتبع الأحداث السياسية في تلك الفترة يتضح أن التحالف الأوروبي العثماني ضد محمد علي، وتوقيع معاهدة لندن في ١٢٥٦/٥/١٥هـ الموافق ١٨٤٠/٧/١٥م، والتي أجبرت محمد علي باشا على سحب قواته من الشام كان لها دور في إطلاق محمد علي باشا سراح الإمام فيصل، أو الإيعاز لعباس باشا بمساعدته في إطلاق سراحه، لكن من خلال الوثائق لم نجد ما يشير إلى ذلك، ويمكن أن يكون لهذه المعاهدة وهزيمة محمد علي باشا في الشام وقرار السلطان العثماني بعزله، ثم إعادته دور في التساهل في مسألة حراسة الإمام فيصل وسهولة اتصالاته التي تمكن من خلالها من الترتيب مع بعض أتباعه؛ لتسهيل هربه من مصر، والوصول إلى جبل شمر واستعادته الحكم(٣٥).

وبعد عودة الإمام فيصل، واسترداده الحكم قام بإرسال رسالة إلى والي جدة عثمان باشا مع أحمد السديري(٣٦)

= الوثيقة إلى أن المذكور من آل مشاري بهذا الاسم قد توفي عام ١٣٨٢هـ، ولا يمكن أن يعاصر الإمام فيصل منذ عام ١٢٥٩هـ، وبعد مراجعة الوثائق العثمانية تأكد ما ذهب إليه الأستاذ عبدالرحمن الرويشد فقد ورد في الوثيقة العثمانية CEVDET-DAH. 1986 عبارة "... بأن الشخص المدعو عبدالمحسن وهو من أهالي نجد المقيمين في مصر..."؛ مما يعني أنه لم يكن أميراً من آل سعود.

(٣٥) يرجع في ذلك إلى كتاب عصر محمد علي لعبدالرحمن الرافعي، الهيئة العامة للكتاب.

(٣٦) أحمد بن محمد بن تركي بن سليمان السديري، ولد في الغاط، وطلب العلم على يد عدد من العلماء، شارك في المعارك السعودية ضد قوات محمد علي، وفد على الإمام تركي عام ١٢٣٩هـ، وكان أميراً على الغاط، تولى إمارة سدير عام ١٢٥٤هـ، ثم إمارة الأحساء في العام نفسه، ثم إمارة القطيف عام ١٢٥٨هـ، وفي عام ١٢٧٠هـ، أميراً للبريمي، توفي عام ١٢٧٧هـ.

يشير فيها إلى أن الله - سبحانه وتعالى- أظهر الحق على الباطل ويلتمس أن يبلغ السلطان العثماني عدم تصديق كل ما قيل عنه في الماضي، ويبلغ حسن إدارته في نجد مع الأهالي، وطاعتهم له والرفق بهم، وأنه يلتمس رضا المولى عز وجل، ولم يشر الإمام فيصل في هذه الرسالة إلى شكر السلطان العثماني أو محمد علي باشا أو والي جدة على مساعدته؛ مما يدل دلالة واضحة على خروجه دون إذن السلطان العثماني أو مساعدة والي جدة[٣٧].

ومما لا شك فيه أن والي جدة كان له جهد في محاولة لفت نظر السلطان العثماني للإمام فيصل، وهو ما توضحه تلك الرسالة التي قام الإمام فيصل بن تركي بإرسالها إلى عثمان باشا رداً على رسالة الأخير له. يقول فيها: إن رسالته وصلت إليه، وهو مقتنع تماماً بما جاء فيها، وسوف يمتثل لطاعة الدولة العثمانية، ويرجوه أن يتوسط لدى الدولة العثمانية في تقريره المرسل عن صلاح الأحوال في إمارة نجد[٣٨].

أما عن علاقته بعباس باشا فمما لا شك فيه أنه نشأت بينهما صداقة، وعلاقة ودّ؛ بدليل الهدايا التي أرسلها الإمام فيصل بعد عودته إلى عباس باشا، وهي عبارة عن مجموعة من الخيول العربية الأصيلة، ومع ذلك يبقى دور عباس باشا غامضاً، ولا يمكن القطع والجزم بمساعدته أو نفيها للإمام فيصل في خروجه من مصر.

---

(٣٧) الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mes.Muh.2437.

(٣٨) المصدر السابق، تصنيف I.Mes.Muh.2437.

والخلاصة في هذا الأمر أن الدولة العثمانية لم يكن لديها علم بعملية الهرب، ولم تكن قد ساعدت فيه، أو أنها فكرت في تعيين الإمام فيصل والتفاضل فيها بينه وبين آخرين. وكان لديها قناعة بعدم موافقة محمد علي باشا بهذا الأمر؛ مما يدل على أن تنفيذ الهرب كان بعيداً تماماً عن والي مصر وعن الدولة العثمانية، وكذلك لم يكن لوالي جدة عثمان باشا دور في عملية مساعدته على الهرب، وفي التوسط لدى الباب العالي لاستقرار فيصل في نجد وتوليه الإمارة.

ومع ذلك يظل هذا الموضوع بحاجة إلى مزيد من الدراسة المتأنية، والاطلاع على الوثائق العثمانية والمصرية التي لم يتم الاطلاع عليها أو لم تتم ترجمتها، وفيها ما قد يوضح حقائق تاريخية مهمة ذات علاقة بالموضوع.

الملاحق

ومعهم اناس من غيرهم وفي اعلا الجبان فوق ابراهيم ابن اخيه سعد بن
عبدالله بن سعود ومعه مدفع كبير في راس الجبل على شاطي الوادي وعنده
جمع من اهل الدرعيه وغيرهم وكان غاية الحرب وشدته منه وعليه واثر مدفعه
هذا في الروم واكثر القتل فيهم وفي خيلهم وفي مقدم سعد بن عبدالله
تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود [redacted] على شاطي شعيب غبيرا ومعهما
عدة رجال من اهل الدرعيه ومن غيرهم وعلى شاطي الوادي شعيب البليدة
عمر بن سعود ومعه جمع من اهل الدرعيه وغيرهم وبلده في تلك الناحية
حسن بن سعود ومعه جمع من اهل الدرعيه وغيرهم وبلده في تلك الجهة
فرج الحربي مملوك سعود ومعه عدة من المماليك وغيرهم وبين
شعيب البليدة وشعيب كتلة عبدالرحمن بن سعود ومعه جمع رجال
من اهل الدرعيه وغيرهم وفي سمحة العيد المعروف مشاري بن سعود
ومعه عدد رجال من اهل الطريف وغيرهم وكل هولا من اهل المحاجي
المذكورين كل محجا مقابله محجا من الروم مبني بالحجاره ملازمين لهم ليلا
ونهارا الا محجا مشاري بن سعود وما بعده ممن تقدم ذكرهم في الكتاب
الاوله فليس عليهم شدة حرب بل حفاظ الجهتين ولا وقع عليهم حربة
فيما سبق رجعنا الى تعريف محاجي اهل الدرعية ومتاريسهم
الثانية في الجهة الشمالية من الوادي شرقي البلد وفي النخل
المعروف بالسلماني على يمنة الوادي عبدالله بن عزروع ومعه عدد من
اهل الدرعيه واهل منفوحه وغيرهم وبلده في تلك الجهة عبدالله
بن ابراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود عند ناظره الموضع المعروف
هناك ومعه عدد من اهل الدرعيه واهل المحمل رئيسهم محمد العميري
ومعهم غيرهم وفي راس ذروة جبل ناظره الحجرة الكبيرة المحكمة بالحجارة
وفيها شديد اللوح بفتح الدال المهمله وتشديد المثناة التحتيه
وكسرها وهو من اهل الصفره البلد المعروف في المحمل ومعه عدد رجال من
اهل بلده واهل الدرعيه وغيرهم وغاية حرب تلك الجهه وشدته منه
وعليه فصبر فيها صبرا جميلا ولم ينله مكروه وصار له شهرة بسببها وبلده
بين شعيب

حجرة شديد

وثيقة رقم (١)

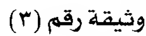
من أحداث عام ١٢٣٣هـ من كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ عثمان بن بشر توضح مشاركة الإمام فيصل في الدفاع عن الدرعية، تحت قيادة والده الإمام تركي بن عبدالله.

الري

مصر كذلك الذي يخاف وهذا الظلم له الذي يريد سعود و
يكون ظهره على السفه ويذكر له انك يا عبدالله اذ احصرت كذلك
صار لك في العسكر مكايد منها قطع سابلتها بينه وبين المدينه
وهذا راي سديد ولكن لم يرد الله قبوله لان الاقدار غالبه ولو
قدر هذا لكان فنزل الدرعيه واخذ قدر ثمانية اشهر متحصنين
عنه وهو يضربهم بالقنابر والقبوس فوقى الله شرهم واراد الله
بعد ذلك ان يزحم مع اماكن خاليه ما فيها احد لان البلد مطا
ول وليس ~~مطاول~~ فيها سور يمنع والمقاتله قليل وانتهى
الامر في الصلح فاعطاهم العهد والميثاق على ما في البلد من مال
او مال حتى الثمر التي على النخل لكن لم يف لهم بما صالحهم عليه لكن
الله تعالى وقدره عدا اناس منهم عليهم خيانة بسبب اناس من
اهل نجد يكثرون فيهم عنده فكف الله يده ويدا العسكر وعدى
سليمان بن عبدالله والسويلم وبن كثير عبدالله بسبب البغدادي
الخبيث هداه عليهم فاختار الله لهم وبعد هذا شتت اهل
البلد عنها وقطع النخيل وهدم المساكن الا القليل وانتقل
للحرب بعسكره [redacted]
وبعد ذلك فسلط الله على عسكره الفنا ولا وصل
مصر الا القليل فلما وصل مصر حل بهم عقوبات اهل الاسلام

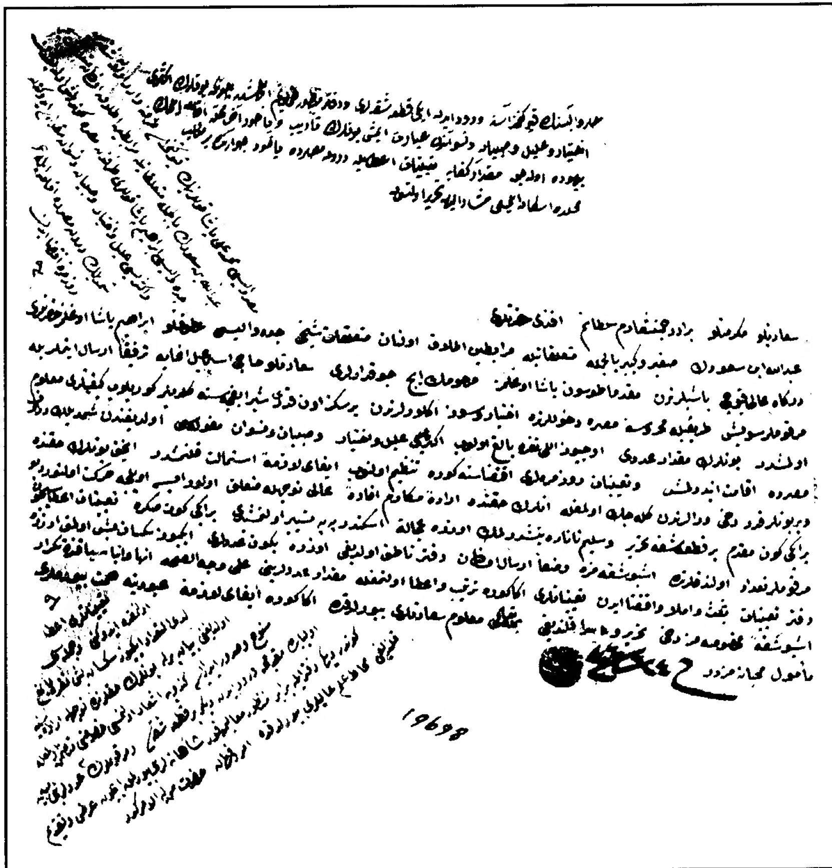
وثيقة رقم (٢)

ورقة من كتاب المقامات للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب توضح أن من نقل من آل سعود وآل الشيخ إلى مصر كان بعد سفر الإمام عبدالله إلى مصر سنة ١٢٣٣هـ.



وثيقة رقم (٣)

(الأرشيف العثماني تصنيف Hatti hamayun 19698.B) وثيقة عثمانية تتضمن قائمة بأسماء من وصلوا إلى مصر سنة ١٢٣٤هـ من آل سعود وآل الشيخ.



وثيقة رقم (٤)

(الأرشيف العثماني تصنيف Hatti hamayun 19698.B) وثيقة عثمانية تتضمن رسالة من محمد علي باشا والي مصر بتاريخ ١٤ رجب ١٢٣٤هـ، بشأن الإبلاغ عن قيام إبراهيم باشا بالقبض على عدد من أسرة الإمام عبدالله بن سعود وحاشيته وعبيده، وقد تم إرسالهم بصحبة إسماعيل أغا، وأن عددهم حوالي ٣٥٠ شخصاً، وهم الآن في طريقهم بحراً إلى ميناء السويس ومنه إلى مصر، وفيهم الشيخ الكبير، والعليل، بجانب عدد من الصبيان والأولاد والنساء، وسوف يقيم الجميع مدة في مصر، وسوف تُصرف لهم التعيينات المالية والتموينية والغذائية على الفور.

الذي هلك فيه خلق كثير من الزبير والبصره ونواحيها ولم يبق منهم الا القليل
ومات علي فيه وصار بعده اميرا اخوه عبد الرزاق ثم بعد ذلك صار
سبب هلاك الزهير وقتلهم من اجل اعوانهم آل راشد المذكورين كما سيأتي
بيان ذلك انشاء الله وفيها بلغ تركي رحمه الله ان بني خالد يجمعون
الجنود لحربه وانهم قد هموا بالخروج الى نجد فامر بن عبدان امير سدير يجهز
بغزوان من سدير ويدفنون قليب حفر العتك فدفنوه ثم امرهم يدفنون
ام الجماجم فدفنوها فحفرها العربان بعد ذلك وفيها استعمل
الامام تركي رحمه الله الشيخ عبد الرحمن الثميري قاضيا في ناحية سدير واستعمل
عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار قاضيا في منيخ والغاط والزلفي و
في هذه السنة التي صب الله فيها غيث السما وفاضت الابار بالما ونثر
فيها الزرع واراه الله لعباده منها الضرع [redacted]
وصارت هذه السنة كلها ميمونة وبشاير السعادة معها مقرونه
وفيها سار تركي من الرياض بمن معه من المسلمين من اهل العارض
وحريملا واناس من اهل الوشم واغار على عربان العجمان وهم عند بنبان
المعروف فاخذهم وفيها او في التي وفد عيسى بن علي رئيس
بلد شمر على الامام تركي ومعه قومه فبايعوه على دين الله ورسوله والسمع
والطاعه وجعل في بيت مال الجبل الشويعر وهو نايب من سعود وعبيد
وفي السنة التي قبل هذه ارسل تركي محمد بن جلاجل عاملا للقصيم
في صرام ثماره ثم جلس في بريده لقبض بيت المال وجعل ايضا في بيت مال
عنيزه وما يليها عثمان بن القاضي وفي هذه السنة ارسل تركي
الى رؤسا القصيم وامرا بلدانه وامرهم بالقدوم اليه فاقبل اليه جميع
امرا القصيم ورؤساه فقدموا عليه في الرياض وبايعوه كلهم على السمع
والطاعه وعزل محمد بن علي الشاعر عن امارة بريدة وجعل فيها مكانه عبد
العزيز بن محمد بن عبد الله ثم بعد ذلك بلغه ما ريبه من محمد آل علي فارسل

وثيقة رقم (٥)

ورقة من مخطوط "عنوان المجد" تشير إلى وصول الإمام فيصل من مصر إلى الرياض عام ١٢٤٣هـ.

الذي في مصر فظهر فيصل من البلد الى الباشا وصالحه على دما اهل الدلم
واموالهم وعلى من تابعهم من اهل العارض وغيرهم فدخل فيصل الدلم
وقضى حاجاته منها ثم خرج ونزل عندهم واقام نحوا ربعة ايام فجهز
الباشا حسن اليازجي وعسكره فرحل بفيصل معه اخوه جلوي
وابناه عبدالله ومحمد وبعد رحيلهم اجتمع كل من كان معه
من اخيه عبدالله بن ابراهيم بن عبدالله واولاده عبدالله ومحمد وبعد
اليازجي ثم سار الجميع من الدلم في اخر رمضان فوصلوا الى المدينة ومنها الى مصر
[redacted] ليعلم
الواقف على ذلك ما جرا على هذا الامام وما جرا عليه من الحروب والوقايع
وما قضاه الله وقدره عليه من الحوادث والفضايع ليعرف بذلك
صدقه وثباته وشجاعته وجوده وبذله وبراعته وانه ما اعطى
الدنيه الا بعد حروب كثيره ووقايع فضيعه شهيره وقتل فرسان
وفتك ونهب اموال وكذلك صدق جنوده معه ومحبتهم له ووفايهم بعهوده حتى اسلمه القدر واشخصه الى مصر وفي طي ذلك سر
عظيم لا يعلمه الا العزيز الحكيم فيجب التسليم لامر الحق المبين و
اصبروا ان الله مع الصابرين فاصبر ان العاقبة للمتقين ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين
واما عمر بن عفيصان فانه لما بلغه امر فيصل رحل من الما الذي هو
عليه وقصد الاحسا فلما كان بعد مصالحة فيصل واهل الخرج :.

(في الهامش: اجتمع كل من كان معه من فيصل من اهل الرياض الى خالد فرحل بهم الى الرياض فسكنوا فيه وحماهم منه تعالى صح)

وثيقة رقم (٦)

ورقة من مخطوط "عنوان المجد" تشير إلى وضع الإمام فيصل في سجنه في مصر .

في بلد الرياض فقدم عليهم كثير منهم وبايعوه على السمع والطاعة وارسل عبدالعزيز بن مشاري بن عثمان في
السدير وجعله اميرا على بلدان سدير فتوجه عبدالعزيز المذكور الى بلد المجمعة ونزل في القصر
المعروف فيها ومعه عدة من رجال من اهل الرياض

ثم دخلت سنة ١٢٥٨ ثمان وخمسين ومايتين والف

وفي هذه السنة ارسل عبدالله بن ثنيان عبدالله بن بتال المطيري اميرا على الاحساء ومعه عدة من رجال من
اهل الرياض فلما وصل اليه نزل في قصر الكوت وقام بالامر فلما كان بعد شهرين ارسل عبدالله
بن ثنيان عمر بن محمد بن عفيصان العايذي اميرا على الاحساء وعزل عبدالله بن بتال عن الامارة وتجهز
عبدالله بن ثنيان وتوجه بجنوده ونزل على الرمحية وامر على بلال بن سالم الحرب ان يتوجه الى
القطيف ومعه عدة من رجال من اهل الرياض فتوجهوا اليه وكتب معهم الى علي بن عبدالله بن غانم رئيس
القطيف وامره بالقدوم عليه فتوجه علي بن عبدالله المذكور وقدم على ابن ثنيان وهو اذ ذاك على
الرمحية فلما حضر عنده حبسه واخذ منه اموالا كثيرة وكتب الى رؤساء الاحساء وامرهم
بالقدوم عليه فقدموا عليه في موضعه ذلك فحبس عبدالرحمن بن مانع الوهيبي التميمي وعذبه
بانواع العذاب واخذ منه اموالا كثيرة وحبس رجالا من رؤساء اهل الاحساء واخذ منهم مالا
كثيرا وفيها وقع اختلاف بين عبدالله بن خليفة شيخ البحرين وبين اخيه محمد وذلك في
جمادى الاول وحصل بينهم حرب عظيم ونهب للاموال واستلحق عبدالله عربان آل مرة ونهبوا
البحرين وقتل من الزبيريين خلق كثير ثم هرب محمد بن خليفة منه بعد ما قتل كثير من اتباعه وتو
جه الى عبدالله بن ثنيان فاقام عنده وهو اذ ذاك في الرمحية ولما كان في شهر شعبان ارتحل
عبدالله بن ثنيان من الرمحية واذن لمن معه من اهل النواحي بالرجوع الى اوطانهم ورجع الى بلد
الرياض وفيها كثرت الامطار والسيول وعم الحيا جميع بلدان نجد وكثر الخصب ورخصت
الاسعار وجاء الجراد في بعض بلدان نجد وفيها قتل محمد آل علي بن عرفج في بلد بريدة
قتله صالح آل مرشد وفيها قتل محسن الفرم من شيوخ بوادي حرب وفيها توفي جريس
بن جلعود شيخ الجلاعيد من المصاليخ من عنزة وفيها قتل سليمان الغنام شيخ عقيل اهل
العارض في بغداد وهو من اهل بلد ثادق ليس بقبيلي قتلوه اهل القصيم في بغداد
وفيها قتل علي آل سليمان شيخ عقيل اهل القصيم الذين في بغداد وهو من اهل الجناح من
اهل عنيزة من بني خالد قتله محمد بن نجيب باشا بغداد وصار شيخ عقيل اهل القصيم
بعده في بغداد محمد التويجري والتواجر من عنزة واما خالد بن سعود فانه هرب الى مكة خوفا
على نفسه من ابن ثنيان ثم دخلت سنة ١٢٥٩ تسع وخمسين ومايتين والف

(في الهامش: فتنة شيوخ البحرين فيما بينهم)

في هذه السنة قدم فيصل بن تركي [illegible] الى بلد حايل عند عبدالله بن علي بن رشيد
هاربا من مصر وذلك انه [illegible] عباس بن طوسون باشا بن محمد علي وكان الامر في ذلك الوقت
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(في الهامش: قدوم الإمام فيصل من مصر)

وثيقة رقم (١/٧)

كتاب "تحفة المشتاق" بخط مؤلفه عبدالله بن محمد البسام المتوفى سنة ١٣٤٦هـ. نسخة محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز تشير إلى قدوم الإمام فيصل من مصر إلى حائل عام ١٢٥٩هـ.

وتحيل هو وبعض اتباعه وركبوها وتوجهوا الى نجد وبعد يومين بلغ الخبر ابراهيم باشا فاركب
كثيرا من العسكر رجاء ان يدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يد
ركوه فرجعوا ولم يزل فيصل سائرا حتى وصل الى جبل شمر كما تقدم ومعه ابناه عبدالله ومحمد
واخوه جلوي فقام معه عبدالله بن علي بن رشيد قياما تاما ولما جاء الخبر الى عبدالله بن ثنيان خرج
بمن معه من الجنود من الرياض ونزل على الخفس الماء المعروف في العرمة وكتب الى امراء بلدان نجد
وامرهم بالغزو والقدوم عليه بغزو وهو في موضعه ذلك فقدم اكثر اهل نجد عليه في الخفس وارسل
ابن ثنيان المذكور هدية لفيصل وهو اذ ذاك في بلد حايل مع علي بن عبدالله امير بلد ضرما
فقدم علي بن عبدالله بالهدية على فيصل في حايل فقبلها فيصل ثم ان ابن ثنيان ارتحل من
الخفس بجنوده وتوجه الى سدير فلما وصل الى اسفل سدير وافاه رسول عبدالعزيز آل محمد
امير بلد بريدة يامره بالقدوم عليه في بريدة فتوجه عبدالله بن ثنيان بمن معه من الجنود الى بريدة
ونزل عليها فلما علم بذلك عبدالله بن سليمان بن زامل امير بلد عنيزة ارسل عبدالعزيز بن الشيخ
عبدالله بن عبدالرحمن ابا بطين الى فيصل بن تركي يامره بالقدوم عليه في بلد عنيزة فسار عبدالعزيز
المذكور الى فيصل فوافاه في الكهفة واعطاه الكتاب الذي معه من امير بلد عنيزة فارتحل
فيصل من الكهفة وتوجه الى بلد عنيزة ومعه عبيد بن علي بن رشيد اخو عبدالله بن علي امير
جبل شمر في مائة رجل من اهل الجبل فلما قربوا من بلد عنيزة امر فيصل بن تركي على اخيه جلوي
بن تركي ان يتوجه هو وعبيد بن علي بن رشيد ومن معه من اهل الجبل الى محمد بن فيصل الدويش رئيس
شيخ عربان مطير وكان اذ ذاك في الحمادة بالقرب من بلد [illegible] من بلدان الوشم وكان بين الد
ويش المذكور وبين ابن ثنيان منافرة فتوجه جلوي ومن معه الى الدويش وقدموا عليه في مكانه
ذلك فاكرمهم ووعدهم بالنصرة واقاموا عنده واما فيصل بن تركي فانه توجه الى بلد عنيزة
وكان ابن ثنيان لما جاءه الخبر بمسير فيصل الى عنيزة ارتحل من بريدة الى جريدة ونزل خباصه
واثقاله ورصد لفيصل على الطريق وارسل عيونا يلتمسونه فسلك فيصل ومن معه طريقا
غير الذي رصد عليه ابن ثنيان فوصل فيصل ومن معه الى بلد عنيزة سالمين ولم يعلم ابن ثنيان
ومن معه الا الرمي في وسط بلد عنيزة يرمون لقدوم فيصل فرجع هو ومن معه الى بلد بريدة
وتسلل رجال من اصحابه من اهل سدير والوشم والمحمل والرياض وقدموا على فيصل في بلد عنيزة
وكان وصول فيصل الى بلد عنيزة لعشر بقين من ربيع الاول ولما وصل عبدالله بن ثنيان الى بريدة امر
بالرحيل وذكر لمن معه من الجنود انه يريد بلد عنيزة لمحاربة فيصل فلما ارتحلوا توجه بهم الى الرياض
فلما وصلوا الى الوشم ركب الدويش ومن معه من فرسان مطير وركب معهم جلوي بن تركي وعبيد بن علي
بن رشيد واقتفوا آثارهم فلحقوهم في اطراف الوشم فحصل بينهم قتال فانهزم ابن ثنيان الى الرياض
وتفرقت تلك الجنود التي معه ولما وصل عبدالله بن ثنيان الى الرياض امر بهدم البيوت التي حول القصر
فهدموها وادخل في القصر شيئا كثيرا من الطعام وآلات الحصار من بارود ورصاص وغير ذلك
ونزل في القصر هو واتباعه وتاهبوا للقتال واما فيصل بن تركي فانه ارتحل من عنيزة في ثالث
ربيع آخر وتوجه الى بلد الرياض ومعه عبدالله بن سليمان بن زامل امير بلد عنيزة وعدة رجال من اهلها
فلما وصل الى بلد شقراء بايعه اهلها على السمع والطاعة وقدم عليه في شقراء امراء الوشم وسدير
وبايعوه على السمع والطاعة وجاءوا اليه بغزو بلدانهم وارتحل من بلد شقراء بمن معه من الجنود
وقصد الرياض واجتمع باخيه جلوي بن تركي ومن معه من الجنود في بلد حريملا وتوجهوا
الى الرياض ونزلوا البلد منفوحة وارسل فيصل الى عبدالله بن ثنيان يدعوه الى الصلح ويبذل له الامان
على نفسه ومن معه من الاتباع وان يخرج من الرياض بما عنده من الاموال ويسكن في اي بلاد شاء

وصول الامام فيصل الى بلد عنيزة

وثيقة رقم (٢/٧)

تكملة لما ورد في كتاب تحفة المشتاق بخط مؤلفه عبدالله بن محمد البسام، عن تحركات الإمام فيصل لاسترداد الرياض ١٢٥٩هـ.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٨هـ، السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

سعادة أفندينا المعظم عثمان باشا المحترم أدام الله إجلاله آمين

فخر الأمراء الكرام قطب الوزراء العظام حامي حمى الحرم الشريف [illegible] والطائف

وبعد تقبيل الأيادي الكرام والدعاء على الدوام فقد سبق هذا من الداعي إلى الشيخة السنية ألوكة عسى أن يكون المولى سبحانه قد من بوصولها
وهي متعربة عن استعطاف أفندينا في الشفاعة لدى الدولة العلية أن يفسحوا للداعي وأقاربه وأولاده في النقلة إلى أحد الحرمين الشريفين أو إلى بلاده
وإن هم سرحوا الداعي والعوا عليه نجد متى لغرضهم في الجهات النجدية فهم أهل المراحم السنية والأيادي العلية بما هو أحلى من هذه القضية
ومهما يصدر من مراسم الفخر الملوكي من الأوامر العلية يتعب الداعي فيه فكره وفهمه ويُنضي خيله ورجله وجسمه حتى يتم على أحسن حال
وينتظم على أسلوب يليق بمقام الفخر الملوكي والأمر العالي وحسبما عينوا وقدروا من الدراهم والرهائن يكون رهين الإعلام والإشارة
ولا يألو الداعي في الجد مجتهداً ولا ينقض عهداً ولا يخلف وعداً بحول الله سبحانه ثم بهمة الدولة العلية وإسعادهم يحول الداعي ويصول
حتى ترجع فروع الجهات النجدية وأطرافها إلى الأصول وإذا امتحنت المراحم السنية خادمها الداعي المسجون
فبعد الامتحان يكرم المرء أو يهون وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون هذا والمسؤول من الله سبحانه وتعالى
أن يطيل بقاء خليفة الله في الأرض حتى يؤدي في ظل عدله النفل والفرض وأن يديم سبحانه شرف أفندينا
في هذه الوزارة العظمى متوسلين في ذلك بخير خلق الله في الأرض والسماء والأمر من الأمر [illegible]

الداعي
فيصل بن
تركي

وثيقة رقم (٨)

رسالة بتاريخ ٢٣ ربيع الأول ١٢٥٨هـ من الإمام فيصل بن تركي إلى عثمان باشا والي جدة، حول طلبه التوسط في إخراجه من السجن، وعودته إلى الحكم في نجد، أو الإقامة في بلد الحرمين الشريفين.

وثيقة رقم (٩)

(الأرشيف العثماني تصنيف irada-mec. vala. 771) وثيقة عثمانية تتضمن رسالة بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٥٨هـ (من عثمان باشا والي جدة) تفيد المعلومات فيها بقيام أمير نجد (خالد بك) بالتوجه إلى الأحساء، وفي الوقت نفسه قام أحد أقاربه ويدعى (الأمير عبدالله بن ثنيان) بحشد عدد كبير من العربان ومشايخهم وقيامه بالسيطرة على نجد ومطالبته بخضوع مشايخ العربان هناك للدخول في طاعته.

وبالنسبة لمنصب إمارة نجد، فلقد أرسل عبدالله بن ثنيان التماساً مؤيداً من شريف مكة المكرمة وأرسلناه إلى مركز الدولة بإستانبول، يطلب تعيينه أميراً على نجد، وأرسلنا خطاباً لفيصل بن تركي المحبوس في مصر لأخذ رأيه ومشورته في الموضوع فلم يرد علينا بـ (لا) أو (نعم)، وبعدها بفترة أرسل إلينا التماساً أيضاً يطلب تعيينه أميراً على نجد.

وإن من رأينا القيام بترشيح فيصل بن تركي أميراً على نجد والموافقة عليه، نظراً لخبرته الطويلة ولسنوات عديدة في هذا المنصب، وكذلك بعد تأكدنا من ارتياح مشايخ نجد لتعيينه أميراً على نجد أكثر من الأمير عبدالله بن ثنيان، وإن هذا التعيين سوف يكون مفيداً للدولة لأن فيصل بن تركي استفاد من فترة حبسه في مصر التي كانت لتأديبه عدة سنوات، وكان لهذه التجربة أثرها الإيجابي على فكره من ناحية، وفي الوقت نفسه شعر بأن الأمر في نجد بيد الدولة العثمانية وسوف يقوم على خدمتها أفضل من أي وقت آخر هذا من ناحية أخرى.

بسمه

الى حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم افندينا والي جدة عثمان باشا حفظه الله تعالى آمين

فبينما نحن نترقب لما يصدر من سعادتكم لمن هو مطيع لامركم اذا بورود كتابكم المكرم
فكان ابرك الساعات واشرف الاوقات حين الاطلاع الخاص لكم على ما تضمن شريف جوابكم فا
سر خاطرنا واقر ناظرنا لما علمنا منكم المراعات له والمساعدة واظهار اكرامه ولهذا تقصد من هو في اصالتكم
وبه تحصل الاعانه على ضد مقامكم وقبل ورود مصدركم الينا قد احضرنا العلما ومشايخ القبايل لتحقيق
ما عرفناكم به سابقا وهذا عرض به ختومهم وشهاداتهم واصلكم صحبة من هو فادى اليكم خوي عبدالله [illegible] با
العرض صفة الواقع نرجو بعد اطلاعكم ما املنا في جنابكم والسلام

الداعي لكم
عبدالله بن ثنيان
السعود

[illegible] جا

وثيقة رقم (١٠)

رسالة من الأمير عبدالله بن ثنيان

إلى والي جدة، مرفق بها شكوى الوجهاء والأمراء من الأمير خالد بن سعود.

المعروض الى حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم أفندينا والي جدة عثمان باشا حفظه الله تعالى آمين

نعرض انه من خصوص خالد بن سعود قد فعل ما هو وصفه من خبث السيرة كالسير والتجبر على العباد وظلمهم في أموالهم وأنفسهم بأنواع الفساد
وتسليط الأشرار على الأبرار والفجار على الأخيار وتعطيل دين الاسلام وتعاطي أنواع الحرام وسلب نعمة الفقرا وجعلها في أيدي الرعاع
وموالات النصارى ونفذ بهم من بلاد العرب جهارا حتى ابغضته القلوب وضجت الالسن بالدعوات الى علام الغيوب فاضطربت
عليه حاله لفساد افعاله فالتقت الرعية على من به السداد فانتدب الخادم لما رأى لغوث العباد رجاء أن يلتأم شعث البلاد وتأ
من السبل من كل الفساد ويكف الظالم عن ظلمه والمعتدي عن عدوانه فلما ضعفنا امة محمد في حفظ الله وامانه وشمل ولاة المسلمين من آثام ظلم الظالم
ونعرض دعوة المضطرين من ضعفاء المسلمين والله في عون العبد ما كان العبد في عون عباده ونرجو منكم الاعانة والاكرام لمن رحم الله به الانام

عبدالله بن ثنيان آل سعود



وثيقة رقم (١١)

رسالة من الأمير عبدالله بن ثنيان

إلى والي جدة، وعليها أختام الوجهاء والأمراء في الشكوى من الأمير خالد بن سعود.

وثيقة رقم (١٢)

معروض (والي جدة) حول وصول الأخبار بفرار الإمام فيصل بن تركي من سجنه بالقاهرة ووصوله إلى جبل شمر، وأنه طلب توجيه إمارة نجد إليه، نظراً لأن أهالي نجد يحبونه ولن تكون هناك مشاكل في المنطقة، ومذاكرة أمير مكة المكرمة مع الوالي بهذا الصدد (الأرشيف العثماني تصنيف Irade. Mesail-L Muhimme 1798).

وثيقة رقم (١٣)

تقرير عن فرار الإمام فيصل بن تركي من مصر ووصوله إلى نجد وقيامه بسجن الأمير عبدالله بن ثنيان وتفصيلات الأوضاع في نجد عام ١٢٥٩هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المعروض الى الاعتاب الكريمة والعواطف الرحيمة في الهمام جليل الشيم سعادة افندينا عثمان باشا المحترم دام اجلاله امين ثم امين

وبعد لا يخفا على سعادتكم بينما انحن في ابرك الاوقات الحيك واشرف الساعات التميله اذ ورد علينا محرراتكم الكرام الواجب لتقبيلها بالعز والاكرام وما

قد شرحتم لنا فنحن ان شاء الله تعالى قايمين وممتثلين برسم طاعة الدولة العليه ادام الله تعالى دولتهم على كافة البريه ومن خصوص المعلمات يا

افندينا قد عهدنا خادمكم احمد السديري فالمرجوا من سعادة افندينا وسيلتنا منكم في الرجي عند الدولة العليه على تقرير الدولة العليه بصلاح البلاد والعباد

على ما نريد ونرجوا الله انا ممن يرغب في رضا الله تعالى ورسوله ثم رضا سلطان المسلمين وامام الموحدين منقاداً للدولة سبحانه وتعالى عز شانه اطيعوا الله

واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ونتنفيذ اوامره السنيه واجتناب ما نهى الله عنه وصيانة الرعيه في اموالهم ودمائهم ومن تسببا حمنا عليهم من الفا

نستقيم متوكل الله وقوته ومستقيمين بطعام الفقراء والمساكين حسب الاستطاعة ودمتم بخير والسلام

١٢٥٩
١٩ صا

من الفقير الى الله
فيصل ابن تركي
آل سعود

وثيقة رقم (١٤)

رسالة من الإمام فيصل إلى والي جدة مع أحمد السديري

(الأرشيف العثماني تصنيف I. Mec. Muh.2437)

عناية الملك عبدالعزيز المبكرة بالطب الحديث

١٣٣١- ١٣٤٠هـ / ١٩١٣- ١٩٢١م

د. خالد بن حمود السعدون

قسم التاريخ - كلية العلوم والآداب - جامعة الشارقة

لم تكن في نجد خدمات صحية متطورة في بداية حكم الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه؛ فكان الناس مضطرين للتداوي بطرق بدائية حسب تقاليدهم الموروثة[١]. ولذلك فتكت الأمراض المعدية والأوبئة بالسكان الذين كانوا يعانون أيضا من تكرار سنوات القحط والجفاف بما يؤدي إلى مجاعات تقضي على حياة أعداد كبيرة منهم[٢]. ولكن هناك من يلطف قتامة تلك الصورة بالقول إن الأمراض كانت يومئذ

---

(١) الحميدان، يوسف بن عبدالله والعيسى، محمد بن أحمد، الإنجازات الصحية في عهد الملك عبدالعزيز (من عام ١٣١٩- ١٣٧٣هـ)، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، (الرياض: منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ)، ص ص ٥٨٩ - ٥٩٠.

(٢) الربدي، محمد بن صالح، الخدمات الصحية في منطقة الرياض، في (الوليعي، عبدالله بن ناصر "محرر"، منطقة الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية، الرياض، ١٤١٩هـ)، ص ١٣٧.

لحسن الحظ محدودة ومعروفة فلا يستعصي علاج أكثرها بالوصفات الشعبية الشائعة[٣]، ولا تعني هذه الحقيقة استسلام الناس للأمر الواقع وعدم تطلعهم للحصول على شيء من وسائل العلاج الحديث، يدل على ذلك إقبالهم على طلب المشورة الطبية من بعض الرحالة الأوربيين الذين طوفوا في أنحاء من نجد خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي[٤]. كما يدل عليه سفر بعض المرضى من ذوي اليسار طلبا للعلاج في أقطار أخرى كالهند أو مصر أو العراق، أو في مستشفيات البعثة التبشيرية الأمريكية في الكويت والبحرين[٥]. فضلا عن حرص بعض التجار على استيراد أدوية حديثة، كان بيعها يتم للمستهلكين دون وصفات طبية[٦].

وإذا كان ذلك دليلا على وعي قطاع من سكان نجد بأهمية العلاج الطبي الحديث، فلا بد من أن يكون عاهلهم عبدالعزيز أكثر وعيا منهم بتلك الأهمية، بحكم انفتاحه على العالم الخارجي ومتابعته لما يجري فيه من تطورات؛ فقد

---

(٣) الرويشد، عبدالرحمن بن سليمان، الرياض: المسيرة التاريخية والتقدم الحضري، مجلة الدرعية، الرياض، السنة ٣، العدد ٩، المحرم ١٤٢١هـ، ص ١٧٧.

(٤) الشبل، عبدالعزيز بن صالح، الأوضاع الصحية في شمال الجزيرة العربية من خلال ما كتبه الرحالة شارلز داوتي في كتابه (Travels in Arabia Deserta)، مجلة الدرعية، الرياض، السنة ٤، العدد ١٤، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، ص ٢٦١ وص ٢٨٢.

(٥) الحميدان والعيسى، المرجع نفسه، ص ٥٩٠.

(٦) الربدي، المرجع نفسه، ص ١٣٨.

عاش في الكويت حقبة من الزمن حين كان أطباء البعثة التبشيرية الأمريكية [البعثة العربية] يقدمون خدماتهم للجمهور في مدينة البصرة منذ سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م(٧). وليس بين البصرة والكويت مسافة بعيدة، فكان الناس يروحون بينهما ويغدون ويتلقى بعضهم العلاج في تلك المؤسسة الحديثة، ويتداولون أخباره التي تصل مسامع بقية قاطني الكويت. ولم تلبث تلك البعثة الأمريكية طويلا حتى افتتحت مستشفى آخر في البحرين سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢ ذاعت أخباره بين سكان المناطق المجاورة، فأمه بعض سكان منطقة الأحساء طلبا للعلاج(٨). كما وصلت شهرته إلى قلب نجد جاذبة بعض المرضى لطرق أبوابه(٩). فضلا عن قيام بعض العاملين في ذلك المستشفى بجولات علاجية - تبشيرية عند بوابة نجد الشرقية في مدن الأحساء وقراها(١٠)، ومن تلك الجولات زيارة القس صامويل زويمر (S. Zwemer) للأحساء مرتين قبل سنة ١٣٣٠هـ /١٩١٢م وتجوله في قراها بحجة تقديم الخدمات الطبية(١١). وبعد استرداد الملك

---

(٧) التميمي، عبدالمالك خلف، التبشير في منطقة الخليج العربي، (العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م)، ص ٨٠ وص ٩١.

(8) NARA, RG 84, S. M. Zwemer to Mr. Sauer, U.S. Consul, Bagdad, dated Jan. 8, 1912 .

(٩) أرميردينغ، بول، أطباء من أجل المملكة، ترجمة عبدالله بن ناصر السبيعي، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ) ص ٣١.

(١٠) البسام، خالد، (معد ومترجم)، صدمة الاحتكاك: حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج العربي ١٨٩٢ - ١٩٢٥، (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨م) ص ٤١.

(11) NARA, RG 84, Zwemer to Sauer, op.cit.

عبدالعزيز للأحساء سنة ١٣٣١ هـ/ ١٩١٣ م وجهت دعوة إلى الطبيب المبشر في مستشفى البحرين الدكتور بول هاريسن (P. Harrison) لزيارة الأحساء. فلبى الدعوة ومكث هناك شهرا كاملا عالج خلاله عددا كبيرا من المرضى(١٢). وتكررت زيارة الطبيب المذكور إلى تلك المنطقة حيث توجه نحو ميناء القطيف في شعبان ١٣٣٢هـ/ يوليو ١٩١٤م فلقي هناك استقبالا جيدا من المسؤولين الحكوميين وإقبالا من الأهالي(١٣).

وبناء على ذلك كله كانت فكرة توفير الرعاية الصحية الحديثة في مدينة الرياض تدور في مخيلة الملك عبدالعزيز آل سعود(١٤) منذ فترة مبكرة. فقد تم لقاء بينه وبين السير برسي كوكس (Sir P. Cox) المندوب السامي البريطاني في العراق في دارين في صفر ١٣٣٤هـ/ ديسمبر ١٩١٥م لعقد أول معاهدة بين نجد وبريطانيا. وجرى على هامش المفاوضات حديث بينهما عن ضرورة إرسال طبيب من

---

(١٢) أرميردينغ، المرجع نفسه، ص ٣٥.

(13) IOR, L/P&S/10/462, No. C I- 97, Major S.G. Knox, Officiating Pol. Res. in P.G., to the Foreign Sec. to the Gov. of India, Foreign and Political Department, Simla, dated 8.8.1914 .

(١٤) ظل لقب "أمير" يطلق على الملك عبدالعزيز منذ استرداده الرياض سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م حتى ذي القعدة ١٣٣٩هـ/ تموز ١٩٢١م حين اتخذ لقب "سلطان"، راجع:

IOR, R/15/5/25, Translation of a letter dated the 1st Muharram 1340(4th September 1921) from Shaikh Abdul Aziz bin Abdur Rahman al- Faisal as- Saud, G.C.I.E., Sultan of Nejd & Dependencies, to the P.A, Kuwait .

الكويت إلى الرياض لإدارة مستشفى هناك[١٥]. وليس من الواضح ما إذا كان المقصود بالقول (من الكويت) هو أن يأتي الطبيب من عيادة البعثة الأمريكية هناك التي كانت قد افتتحت في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م[١٦]، أو أن يتم إرسال طبيب بريطاني عبر الوكالة السياسية البريطانية في الكويت. ومهما يكن الحال لم تخرج تلك الفكرة إلى حيز التطبيق، إذ لم ترد أية إشارة لاحقة حولها لا في المصادر البريطانية ولا العربية. ولعل الفكرة كانت سابقة لأوانها، لأن تنفيذها يتطلب توفير مستلزمات مالية وفنية لم تكن متاحة لحكومة نجد حينئذ، فضلا عن صعوبة إقامة عناصر غريبة في وسط بيئة محافظة مثل قلب نجد، ولعل ذلك التحسب هو الذي جعل الملك عبدالعزيز يهمل قبل حوالي سنة من ذلك اللقاء الرد على رسالة الدكتور هاريسن التي طلب فيها إذنه لمواصلة رحلته من القطيف إلى الرياض[١٧].

ولكن عدم توفر إمكانات فتح مؤسسة علاجية حديثة في الرياض حينئذ لم يحل دون استمرار تطلع الملك عبدالعزيز آل سعود للاستعانة بالمتاح من الطب الحديث، حتى لو كان على نطاق فردي. وقد تهيأت له فرصة ذلك بقدوم عبدالله بن سعيد الدملوجي إلى الرياض، وهو من أهالي الموصل في العراق، درس الطب سنوات عديدة في إسطنبول وحصل في

(15) IOR, R/15/5/25, Major Keyes, Bahrain, to Major A.P. Trevor, Deputy Political Resident, Bushire, dated 2.2.1916 .

(16) http://www.csikuwait.org./history.htm

(17) IOR, L/P&S/10/462, No. CI- 97, op.cit.

نهايتها على دبلوم طبي، وكان عند نشوب الحرب العالمية الأولى عند أقرباء له في الأحساء مما اضطره لعرض خدماته على الملك الذي عينه مستشارا له في الأمور الطبية والسياسية معا[١٨]. ويثير التاريخ الدقيق لبدء عمله في الرياض تساؤلا عن طبيعة عمله الطبي، فالمصادر المحلية تجمع على التحاقه بخدمة الملك عند بداية الحرب العالمية الأولى[١٩]. وبذلك يفترض أن يكون في الرياض قبل حوالي سنة من لقاء الأمير بكوكس في دارين في صفر ١٣٣٤هـ/ ديسمبر ١٩١٥م. فإذا كان الحال كذلك يبدو مستغربا طلب طبيب آخر يأتي من الكويت لفتح المستشفى المزمع، إلا إذا كان الهدف أن يكون الطبيب بريطانيّا ليصبح صلة وصل بين الملك والإدارة البريطانية في الخليج، وهي فكرة طرحت لاحقا كما سيمر.

الهدف أن يكون الطبيب بريطانيًا ليصبح صلة وصل بين الملك والإدارة البريطانية

ويثور تساؤل آخر حول مقدرة الدملوجي المهنية؛ إذ يصفه الريحاني الذي احتك به عن قرب بالخبرة الطبية أثناء الحروب[٢٠]. ومع أنه لم يبين الحروب التي عمل في ساحاتها إلا أنه يفترض بالطبيب الذي خبر العمل في ظروف الحرب

---

(١٨) فلبي، هاري سنت جون، قلب الجزيرة العربية، ترجمة صلاح علي محجوب، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٢)، ج ١، ص ١٢٦.

(١٩) الزركلي، خيرالدين، شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبدالعزيز، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢)، ط ٥، ج ١و٢، ص ٣٦٦ وحمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١)، ص ١١٥.

(٢٠) الريحاني، أمين، ملوك العرب، (بيروت: دار الجيل، د.ت.)، ج ٢، ص ٥٢٢.

أن تتراكم لديه بحكم الضرورة خبرات وتجارب تجعله طبيبا متمرسا واسع الحيلة في تخصصه، وهو فرض لم ينطبق على الدملوجي، فعلى الرغم من إشرافه على علاج الملك وذهابه إلى الهند لشراء الأدوية وبعض المستلزمات العلاجية اللازمة لذلك(٢١)، إلا أنه لم يشتهر بمقدرته الطبية في بيئة عطشى لمثل تلك المقدرة، ولم يرو عنه شيء يدل على تقديمه أي علاج للجمهور! والريحاني نفسه الذي امتدح خبرته لم يشر إلى استعانته بتلك الخبرة حين داهمته الحمى أثناء ضيافته لدى الملك عبدالعزيز في الرياض، بل أشار إلى قيام الملك نفسه بوصف أدوية حديثة لعلاجه وتقديمها بنفسه له وكأن الطبيب المذكور غير موجود(٢٢).

ومما يعزز تلك الشكوك أن الملك عبدالعزيز كان مع وجود الدملوجي لديه يطلب أحيانا العون الطبي من السلطات البريطانية في الخليج، ويحسن قبل استعراض تلك الطلبات الوقوف على أسباب توجه الملك نحو السلطات البريطانية طلبا للعون الطبي، مع العلم أن البريطانيين لم تكن لديهم مؤسسات علاجية مشهورة في الساحة الخليجية، بل كانت الشهرة من نصيب المستشفيات التابعة للبعثة التبشيرية الأمريكية في الخليج. ولعل تجنب الملك مفاتحة أطباء تلك البعثة مباشرة ناشئ من حقيقة أن حاجته لهم جاءت بعد توقيعه معاهدة صفر ١٣٣٤هـ/ ديسمبر ١٩١٥م مع

(21) IOR, R/15/5/25, No. 66-C, Keyes, P. A., Bahrain, to Sir P. Cox, P. R., Basrah, dated 4.12.1915 .

(٢٢) الريحاني، المصدر نفسه، ج ٢، ص ص ٥٨٨ - ٥٨٩.

البريطانيين. ومع أنه لم يكن ملزما بموجب نصوص تلك المعاهدة بعدم التعامل مع رعايا دولة أخرى غير بريطانيا إلا أن "روح" الفقرة الثالثة من تلك المعاهدة توحي بذلك، حيث نصت على ما يلي: "يوافق ابن سعود بهذا ويتعهد بالامتناع عن الدخول في أية مراسلة أو اتفاقية أو معاهدة مع أية دولة أجنبية..."[٢٣]. علما بأن المسؤولين البريطانيين في الخليج كانوا يريدون إبعاد داخل نجد عن متناول أية دولة أخرى، حتى أنهم رفضوا مرارا الإذن لبعض الأطباء الأمريكيين العاملين في البحرين بالسفر إلى نجد، ومن ذلك عدم تشجيع الوكيل السياسي البريطاني في البحرين الدكتور هاريسن على القيام برحلته سالفة الذكر إلى القطيف سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م[٢٤].

وكما مر آنفا تكتنف قدرة الدكتور الدملوجي المهنية شكوك كثيرة منها عدم اكتفاء الملك به لمعالجة آثار جرح كان قد أصيب به أثناء خوضه معركة مع بعض المتمردين قرب الهفوف في شعبان ١٣٣٣هـ/ يوليو ١٩١٥م[٢٥]؛ فقد كتب الملك إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين في غضون شهر صفر ١٣٣٤هـ/ يناير سنة ١٩١٦م مبينا أن جرحه ذاك

---

(٢٣) صفوة، نجدة فتحي، (محرر ومترجم)، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، (بيروت: دار الساقي،١٩٩٨)، المجلد الثاني، ص ص ٧١١ -٧١٢.

(24) IOR, L/P&S/10/462, No. CI - 97, op. cit.

(٢٥) عن تفاصيل تلك المعركة راجع: السعدون، خالد، أحداث في تاريخ الخليج العربي، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠١)، ص ٢٥٥ وما بعدها.

مـا زال يسـبب له بعض المتـاعب، وطلب منه إرسـال طبـيب لعلاجه بصورة عاجلة برفقة رسوله الذي حمل رسالته تلك للوكيل(٢٦). وقد وصف الدكتور الدملوجي الذي التقى الوكيل في البحرين وهو في طريقه للهند لشراء بعض الأدوية ذلك الجرح بأنه خطير، وأضاف أن الملك يعاني من جرح آخر أخف من سابقه أصيب به في معركة لاحقة مع أولئك المتمردين(٢٧).

وقد اهتم الوكيل السياسي البريطاني بتلبية طلب الملك، على الرغم مما يكتنفه من صعاب، إذ يوحي كلام الوكيل بأن الطلب لم يكن منصبا على أي طبيب، وإنما على طبيب مسلم لتفادي تعقيدات إرسال طبيب أوربي إلى قلب نجد على حد قوله، ونجح الوكيل في تأمين طبيب مسلم من رعايا بريطانيا الهنود كان ملحقا بالوكالة البريطانية في البحرين، واسمه موناني (A.S.Monani) وتقرر أن يغادر البحرين في الثاني من فبراير ليصل الرياض في حوالي الحادي عشر من الشهر نفسه. وبين الوكيل أن موناني كان شديد النفور من القيام بتلك الرحلة لأسباب عائلية، ولذلك فهو إذا أجبر على الذهاب يصر على العودة في أسرع وقت، وأضاف أن موناني يعتقد بناء على الوصف الذي تلقاه عن الجرح بوجود شظية من الرصاصة لا زالت غائرة تحته، وهو يرى إذا كان الأمر كذلك فعلا ضرورة الاستعانة بالأشعة لتحديد مكان الشظية، وسيكون من الأصوب في هذه الحالة جلب الملك نفسه إلى

(26) IOR, R/15/5/25, No. 15 - C, Major Keyes, P.A., Bahrain, to P. R. in the P. G., Bushire, dated 1/2/1916.

(27) IOR, R/15/5/25, No. 66- C, op.cit.

العقير أو القطيف، لأن جهاز الأشعة والفني العامل عليه لا يمكن الاستغناء عنهما فترة طويلة تكفي لنقلهما إلى الرياض للقيام بالتصوير هناك، وبناء على ذلك طلب الوكيل من المقيم السياسي البريطاني في بوشهر إعلامه بإمكانية إرسال جهاز الأشعة المطلوب إلى البحرين والبت في خيار إرساله إلى الرياض أو وصول الملك عبدالعزيز إلى الساحل[٢٨].

ولكن ترتيب إرسال ذلك الطبيب إلى الرياض وصل فجأة إلى طريق مسدود حين أعلن موناني لاحقا رفضه الجازم للسفر، مبررا ذلك بسيطرة حالة هستيرية على زوجته خوفا من البقاء وحدها في البحرين، وعزز موناني رفضه بالقول أنه موظف مدني غير ملزم بتنفيذ كافة الأوامر التي يصدرها الوكيل إليه بصرف النظر عن قناعته هو بها، ونقل الوكيل الأمر فورا إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج السر برسي كوكس الذي كان حينها في مدينة الكوت العراقية على نهر دجلة بصفته كبير الضباط السياسيين المرافقين للحملة البريطانية الزاحفة لاحتلال بغداد، وطلب الوكيل الموافقة على إرسال الطبيب فان فليك (Van Vlack)[٢٩]، والإيعاز للوكيل السياسي البريطاني في الكويت بوضع مساعده الجراحي على أهبة الاستعداد لأداء تلك المهمة على وجه السرعة، وختم الوكيل السياسي في البحرين برقيته إلى المقيم بالتعبير عن قناعته بعدم

(28) IOR, R/15/5/25, No. 15 - C, op.cit.

(٢٩) هو Dr. H.G. Van Vlack أحد أطباء المستشفى التبشيري الأمريكي في البحرين.

حراجة الوضع الصحي للملك على الرغم من قول الأخير له في رسالته إن كل يوم تأخير في إرسال الطبيب إليه يبدو مثل شهر بالنسبة له(٣٠).

وفي غضون إجراء تلك الاتصالات بين المسؤولين البريطانيين من أجل تهيئة الطبيب المطلوب وإرساله إلى الرياض تطور الوضع الصحي للملك بشكل انتفت معه حاجته لذلك الطبيب؛ فقد وصلت منه في ربيع الثاني ١٣٣٤هـ/ فبراير ١٩١٦م رسالة موجهة إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، شكره فيها على جهوده الرامية لتأمين الطبيب، وأعلمه بأن تدفق الصديد من جرحه قد توقف وأمكن إخراج شظية الرصاصة من الجرح، وأضاف الملك أنه تماثل للشفاء التام حتى أنه يفكر بالقيام برحلة خارج الرياض، وختم رسالته بالقول إن إرسال الطبيب غدا لذلك لا لزوم له(٣١). ولكن رسالة الملك هذه وصلت للوكيل بعد أن كان قد أرسل بالفعل فريقا طبيا مكونا من الطبيب فان فليك ومساعد الجراح هدسن (Hudson). ولم يصل الرجلان إلى أبعد من الهفوف حيث مكثا هناك أربعة أيام عاجزين عن مواصلة رحلتهما نحو عاصمة نجد نتيجة لغارات كان بعض الأعراب يشنونها على الطريق الواصل بين الأحساء والرياض(٣٢).

(30) IOR, R/15/5/25, Keyes to Trevor, op. cit.

(31) IOR, R/15/5/25, Translation of a letter dated Rabi-ul-Thani 1334 (February 1916) from Shaikh Abdul Aziz bin Abdur Rahman al Faisal Ruler of Nejd and Hasa to Major T. H. Keyes, P. A., Bahrain.

(٣٢) راجع: صفوة، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٤٦.

فاضطر الرجلان نتيجة لذلك للعودة إلى البحرين في الثامن عشر من ربيع الثاني ١٣٣٤هـ/ الثالث والعشرين من فبراير ١٩١٦م[٣٣].

ولم تكن تلك خاتمة محاولات الملك عبدالعزيز لجلب العلاج الطبي الحديث إلى عاصمة ملكه، فقد تجددت المحاولة في السنة التالية، حين وجه دعوة إلى الدكتور هاريسن للقدوم إلى الرياض، وكانت الدعوة ودية جدا على حد وصف عبدالله فلبي (Philby)[٣٤]. ولم يبين فلبي ما إذا كانت تلك الدعوة قد وجهت إلى هاريسن مباشرة أو عن طريق الوكيل البريطاني في البحرين، كما لا تتضح جلية الأمر من رواية منسوبة إلى الطبيب نفسه، حيث تفيد بأنه شخصيا استلم ظرفا مغلقا من "الشيخ" عبدالعزيز آل سعود يحوي دعوته لزيارة عاصمته الرياض، فبادر قبل تلبية الدعوة للحصول على موافقة القنصل البريطاني[٣٥]. وفي اليوم الثالث لاستلام الدعوة كان هاريسن في طريقه نحو الهفوف مع بعض مساعديه. وحال وصولهم الرياض في ذي القعدة ١٣٣٥هـ/ سبتمبر ١٩١٧م افتتحوا عيادة صغيرة كان إقبال الناس عليها كبيرا طيلة أيام عملها التي استمرت

---

(33) IOR, R/15/5/25, No. 26 - C, Major Keyes, P. A., Bahrain, to P. R. in the P. G., Basrah, dated 24.2.1916 .

(٣٤) صفوة، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٠٦.

(٣٥) أرميردينغ، المرجع نفسه، ص ص ٤٣ - ٤٤. والأصح القول "الوكيل السياسي" بدل "القنصل"، حسب التسميات البريطانية المحددة حينئذ.

عشرين يوما على حد قوله[٣٦]. وعزا فلبي سبب انتهاء عمل الدكتور هاريسن في الرياض إلى "خطأ ارتكبه" دون بيان لماهية ذلك الخطأ[٣٧]، ولكن الدكتور نفسه لا يشير إلى أي خطأ حدث، ويقول إن سبب عودتهم من الرياض هو نفاد مخزونهم من الأدوية مما أضطرهم للمغادرة على الرغم من إلحاح المرضى والأهالي عليهم بالبقاء[٣٨]. ولعل رواية فلبي لا تخلو من رغبة البريطانيين الدفينة للتعكير على أي نجاح يحققه طرف دولي آخر غيرهم في أصقاع كانوا يطمحون في إبقائها مغلقة أمام أي نشاط غير بريطاني، ويؤكد الإقبال الذي صادفه عمل هاريسن في الرياض ما سبق قوله من تعطش الناس للحصول على العلاج الحديث على الرغم من قلة إمكاناتهم المادية المتاحة.

افتتحوا عيادة صغيرة كان إقبال الناس عليها كبيرا طيلة أيام عملها

ولعل ذلك النجاح الطبي "الأمريكي" في الرياض كان محفزا لتفكير البريطانيين بوضع ضابط صحي بريطاني دائم بمعية الملك عبدالعزيز، فقد كتب المبعوث البريطاني إلى نجد "فلبي" رسالة من بريدة إلى السير برسي كوكس في بغداد في ذي القعدة ١٣٣٦هـ/ سبتمبر ١٩١٨م مؤكدا على أن يكون الضابط الصحي المقترح إرساله ذا معرفة كافية باللغة العربية، وإلا سيكون عديم الفائدة. وأضاف أن الملك نفسه لا يرغب بأي ضابط تكون لغته العربية ضعيفة، وبين

(٣٦) البسام، المرجع نفسه، ص ص ٤١-٤٣.

(٣٧) صفوة، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٠٦.

(٣٨) البسام، المرجع نفسه، ص ٤٤.

فلبي أن مهامه السياسية باعتباره مبعوثا بريطانيا ستناط عند مغادرته بالضابط الصحي المقترح، وبذلك سيقوم بوظيفتين صحية وسياسية معا[٣٩]. ولا يبدو أن ذلك المقترح قد دخل حيز التنفيذ بالفعل، إذ لا تشير الوثائق البريطانية أو المصادر المحلية إلى وجود مثل ذلك الضابط، خاصة وقد كانت نجد في أمس الحاجة إليه حيث اجتاحها الوباء بعد كتابة رسالة فلبي تلك بشهرين. وقد وصف الملك عبدالعزيز نفسه الحال في رسالة وجهها إلى فلبي في ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ديسمبر ١٩١٨م وجاء فيها: أن الحمى انتشرت في نجد قرب نهاية شهر صفر لمدة عشرة أيام وحصدت أرواح عدد كبير من السكان، ومن بينهم زوجته الأميرة الجوهرة بنت مساعد وولداه تركي وفهد[٤٠]. وقد حدث ذلك كله بشكل أسرع من سير العون الطبي الذي طلبه الملك من البحرين والمتمثل بالطبيب هاريسن نفسه؛ فقد وصل الطبيب المذكور الرياض مطلع ١٩١٩م وأسهمت جهوده في التخفيف عن عدد كبير من المصابين بذلك الوباء[٤١].

وتجددت حاجة الملك عبدالعزيز للعون الطبي الحديث في صيف سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، فقد كتب في السادس من شوال ١٣٣٨هـ/ الثالث والعشرين من يونيو ١٩٢٠م رسالة إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، أخبره فيها بمرض بعض

(39) IOR, R/15/5/103, No. M - 182, Philby, Buraida, to Political, Baghdad, dated 4/9/1918 .

(٤٠) صفوة، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨١٩.

(٤١) أرميردينغ، المرجع نفسه، ص ٤٧.

أفراد أسرته، ورجاه سرعة إرسال الدكتور هاريسن إلى الرياض، والتمس رده الفوري على طلبه؛ فأبرق الوكيل حال تسلمه الرسالة إلى المندوب المدني البريطاني في بغداد يعلمه بأن هاريسن موجود في الهند، وأن زميله الدكتور كوينيلا(Quinalla) لن يعود إلى البحرين قبل ثلاثة أشهر تالية، ولذلك فأنه يحيل للمندوب أمر تقرير كيفية الرد على طلب الملك، وبين الوكيل قيامه بسؤال عبدالله القصيبي وكيل الملك عبدالعزيز في البحرين عن طبيعة الداء الذي ألم ببعض أفراد الأسرة المالكة في الرياض، فنفى القصيبي علمه بأي شيء، ولكنه لمح إلى احتمال أن يكون الطبيب مطلوبا لمعالجة جريح، وختم الوكيل البريطاني برقيته بالقول إن طبيبا يدعى ديم (Dame) وصل إلى البحرين حديثا من أمريكا، ولكنه لا يراه صالحا لأداء المهمة في الرياض لجهله باللغة العربية[٤٢]. ورد المندوب المدني على الوكيل مخولا إياه بكتابة رسالة على لسانه إلى الملك تخبره بغياب هاريسن وعدم القدرة على تأمين إيصال طبيب له من بغداد في وقت ملائم. وطلب المندوب أن تتضمن الرسالة إطلاع الملك على وجود الدكتور ديم في البحرين وعدم تكليفه بالمهمة لأنه غير ملم باللغة والتقاليد العربية[٤٣]. ويبدو من المرجح توقف الأمر عند ذلك الحد وعدم ذهاب الطبيب ديم للرياض بسبب تلك المشكلة اللغوية، ولكنه توجه إليها فعلا في نهاية تلك

(42) IOR, R/15/5/25, No. 182 - C, P. A., Bahrain, to C. C., Baghdad, dated 5.7.1920 .

(43) IOR, R/15/5/25, No. 8166, Civil Commissioner, Baghdad, to P. A., Bahrain, dated 7.7.1920.

السنة(٤٤)، ولعله خلال الأشهر الفاصلة بين التاريخين الآنفين استطاع تطوير مهاراته اللغوية بما مكنه من القدرة على التفاهم مع محدثيه العرب فزال بذلك الحائل الذي منع توجهه للرياض أولا.

وظهرت الحاجة لطبيب في الرياض مرة أخرى صيف سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م؛ فقد أبرق السير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في بغداد إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين في التاسع من ذي القعدة ١٣٣٩هـ/ الخامس عشر من يوليو ١٩٢١م موجها إياه للكتابة باسمه إلى الملك ليعلمه عن "سماعه" بحاجته إلى خدمات طبيب، وأنه موشك على تلبية طلبه(٤٥). ويلفت النظر هنا حديث المندوب عن "سماعه" بحاجة الملك تلك، مما يدل على أن الملك لم يفاتحه مباشرة بطلبه، ولعله كتب عن ذلك لأحد الوكيلين السياسيين البريطانيين في البحرين أو الكويت. وكتب السير برسي كوكس لاحقا للملك يخبره بعزمه على إرسال الدكتور مان (Mann)(٤٦) إليه. بيد أن الملك رد برسالة مؤرخة في الأول من محرم ١٣٤٠هـ/ الرابع من سبتمبر ١٩٢١م استلمها الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، وتضمنت الشكر لكوكس على قراره ذاك، والاعتذار عن استقبال الدكتور مان على الفور لتنقل الملك خارج عاصمته حينئذ، ولذلك طلب الملك

(٤٤) أرميردينغ، المرجع نفسه، ص ٤٩.

(45) IOR, R/15/5/25, No. 856 - S, Highcom., Baghdad, to Political, Bahrain, dated 15.7.1921.

(٤٦) أحد أطباء المستشفى التبشيري الأمريكي في البحرين.

استبقاء الدكتور المذكور في البحرين إلى أن يستقر في مكان معين فيستدعيه إليه(٤٧). وقد أبرق الوكيل البريطاني في الكويت فحوى رسالة الملك تلك إلى كوكس في بغداد في السابع من محرم ١٣٤٠هـ/ العاشر من سبتمبر ١٩٢١م(٤٨).

ولا بد من الوقوف هنا أمام سبب مسارعة الجانب البريطاني للتجاوب مع طلبات الملك عبدالعزيز الطبية، ومرد ذلك دون ريب أهمية الملك السياسية في مجاله الإقليمي، مما جعل السلطات البريطانية منذ نشوب الحرب العالمية الأولى حريصة على استمالته إلى جانبها، ولعلها كانت تخشى أن يجد ذلك العون إن تلكأت هي في تقديمه لدى جهات أخرى تقف على مرمى حجر منه، وأقربها المؤسسات الصحية التبشيرية التابعة لأمريكا(٤٩). كما كان وجود أولئك الأطباء وسيلة لجمع المعلومات عن الأوضاع داخل نجد(٥٠)، وكانت تستخدمهم أيضا لتوصيل معلومات معينة إلى الملك نفسه لترك انطباعات لديه تتلاءم مع المصالح البريطانية(٥١).

(47) IOR, R/15/5/25, No. 149 - C, P. A., Kuwait, to the Secretary to H. E. the High Commissioner, Baghdad, dated 19.9.1921, with enclosure .

(48) IOR, R/15/5/25, No. 147 - C, Political, Kuwait, to Highcom., Baghdad, dated 10.9.1921 .

(٤٩) صفوة، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٠٦.

(50) IOR, R/15/5/25, No. 15- C, op.cit.

(51) IOR, R/15/5/25, No. 149 - C, op.cit.

الخاتمة

تظهر الصفحات السابقة وجود وعي بأهمية العلاج الطبي الحديث لدى قطاع ذي شأن من سكان نجد جعلهم يتطلعون نحو الحصول على تلك الخدمة، ويغتنمون أية فرصة تمكنهم من ذلك. وكان عاهلهم الملك عبدالعزيز آل سعود أكثرهم وعيا وتطلعا في هذا الميدان؛ بيد أن موارده المالية الضئيلة حينئذ كانت تحول بينه وبين وضع تطلعاته تلك موضع التطبيق، فلجأ بواقعيته المشهورة لمحاولة إدخال المتاح من وسائل الطب الحديث إلى بلده باللجوء إلى طلب العون من السلطات البريطانية الموجودة في المنطقة حينذاك، وكانت تلك السلطات تتجاوب مع طلباته فتمده ببعض الأطباء مستعينة في الغالب بأطباء البعثة التبشيرية الأمريكية العاملة في البحرين، وكان ذلك التجاوب ناشئا من تقديرها لمكانة الملك الإقليمية ورغبتها في تحقيق بعض المنافع السياسية والمعنوية التي تخدم مصالحها، واستطاع الملك عبدالعزيز الإفادة من تلك الخدمات الصحية دون تعريض بلاده ومواطنيه لأي تأثيرات تبشيرية.

موقف السلطات الاستعمارية في تونس من الملك عبدالعزيز بين عامي ١٣٤٤ - ١٣٥٥هـ/ ١٩٢٦ - ١٩٣٦م

د. التليلي العجيلي
قسم التاريخ - كلية الآداب والفنون والإنسانيات -جامعة منوبة - تونس

قابلت فرنسا استرجاع آل سعود لسلطتهم على الحجاز على يد الملك عبدالعزيز الذي بويع في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ الموافق لـ٨ يناير - كانون الثاني ١٩٢٦م ملكا على الحجاز، ونودي به في آخر السنة المذكورة ملكاً على نجد وملحقاتها بشيء من البرود.

لقد فاجأ الاسترجاع المذكور فرنسا، ومثل بالتالي إرباكا لمصالحها ونفوذها في المنطقة، فلا غرابة أن تقابل التطور الجديد - خصوصا في سنواته الأولى - بالرّيبة والتوجّس على الرغم من إدراكها لحاجتها الماسة والملحة إلى تمتين علاقاتها معه؛ لما لأهالي تونس الذين تستعمر بلادهم من صلات وطيدة - شأنهم في ذلك شأن غيرهم من المسلمين - بالحجاز لا يمكن لفرنسا أو غيرها تجاهلها، وهي التي حرصت دوما على الظهور أمام رعايا مستعمراتها من

المسلمين بمظهر المحترم لعقيدتهم، والضامن لهم حقهم في ممارسة شعائر دينهم، وفي مقدمتها الحج.

إن ما يلفت الانتباه في هذا الصدد هو قيام فرنسا باستغلالها لموسم الحج من أجل التعرف المباشر والميداني - بواسطة عيون أرسلت بها إلى هناك - على أطروحات وتوجّهات الحكومة السعودية خاصة في سنواتها الأولى، وبالتحديد بين ١٩٢٦م و ١٩٣٦م (١٣٤٤ - ١٣٥٥هـ).

فما الوسائل والأساليب التي اعتمدتها في هذا المجال؟ وما الجوانب والمجالات - المتعلقة بالسلطة السعودية - التي رامت سلطة الاستعمار الفرنسي في تونس التعرّف عليها؟

دواعي التوجّس ووسائل التعرّف:

تحيلنا بعض الوثائق المحفوظة في الأرشيف الوطني التونسي على جملة من الأسباب التي كانت وراء توجس سلطات الاحتلال الفرنسي في تونس من الحكومة السعودية في الحجاز، ومن بين تلك الأسباب نذكر:

١ - وصول مطوفين إلى بلدان المغرب العربي:

إن عدم الإلمام التام للسلطات الفرنسيّة بتوجهات الحكومة السعودية الجديدة وأطروحاتها دفعها - بتعلّة حماية مسلمي شمال إفريقيا - إلى منع وصول دعاتها إلى المغرب العربي.

لقد تتالت رسائل المقيم العام بتونس - الموجهة إلى وزير الخارجية الفرنسية والمنبهة له - إلى الانعكاسات الخطيرة التي يمكن أن تنتج عن تدفق مطوفين على البلاد التونسية

والمكلفين - على حسب رأيه - من طرف حكومة الملك عبدالعزيز بمهمّة الدعوة في أوساط المسلمين وحثّهم على الحج(١).

لقد عدت السلطات الفرنسية أولئك المطوفين قنوات اتصال وتواصل بين السلطة السعودية ومسلمي البلاد التونسية الذين لم يكن لهم انحياز تام فقط، وإنما بالخصوص تتبع كامل ودقيق لما شهدته المملكة من تطورات وتحولات في جميع المجالات في عهد الملك عبدالعزيز الذي قدمت له الصحف التونسية شهادة اعتراف بجلالة ما أنجزه للبلاد وما تحقق في عهده من الأمن والرخاء وخدمة الحجاج والمعتمرين والزوار للوصول إلى مكة والمدينة بكل يسر وسهولة في السنوات الأولى من توليه لمقاليد السلطة(٢). فلا غرابة أن تتوجّس سلطات الاحتلال في تونس من وصول مطوفين إلى البلاد؛ ففي رده على رسالة وزير الخارجية الفرنسية الواردة إليه بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٢٨م (١٠ رجب ١٣٤٧هـ) والمتعلقة بوصول مطوفين إلى شمال إفريقيا أوضح

(1) Archives Nationales de Tunisie (A.N.T.), A276 bis -13 (1929), Le Ministre des affaires étrangères françaises à Manceron - Résident Général (R.G.) à Tunis, le 19-2-1929, document (doc.) n°5

(٢) انظر ذلك في مداخلتنا "صدى مجهودات الملك عبدالعزيز في إرساء دواليب الدّولة وعلاقات التّواصل بين المملكة وتونس في الصّحافة التّونسيّة" في المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأوّل - تونس من ٢-٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ ٢ - ٤ يونيه ٢٠٠٣م - حول العلاقات بين دول الخليج والمغرب العربيّين: الواقع والمستقبل، نشر دارة الملك عبدالعزيز ومؤسّسة التّميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس، ٢٠٠٥م، ص١٨٣- ٢٠٨.

القائم بأعمال القنصليّة الفرنسيّة بجدّة أنّه لا يجهل الدّعاية التي يمارسها - "في ممتلكات فرنسا الإسلاميّة" - أولئك الأشخاص؛ إذ عمل على الحد من عدد أولئك المطوفين المتوجهين إلى الجزائر وتونس بأن رفض منح العديد منهم تأشيرات، لكن أمام ما أحدثه ذلك الرّفض من ردود فعل وأمام إصرار السّلطات المحلّية فإنّه منح جوازات دخول لأولئك الذين عدهم أقلّ خطورة من بين المطوّفين الذين أغلبهم من أصيلي المغرب العربي، ولهم جزء من عائلاتهم بشمال إفريقيا(٣).

لقد أوضح القائم بأعمال القنصليّة الفرنسيّة في جدّة أنّ نظيره القائم بأعمال القنصليّة الهولنديّة في جدّة تلقّى من حكومته تعليمات صارمة تطالبه بالحدّ أكثر ما يمكن من عدد أولئك الدّعاة المتوجّهين إلى جاوة، غير أنّ القنصل المذكور جُوبهَ بمؤازرة السّلطات المحليّة - وفي مقدّمتها القائمقام - أولئك المطوفين، فلم يستطع العمل بالحزم اللازم(٤).

لقد أشار القائم بأعمال القنصلية الفرنسية بجدة إلى أنه بإمكانه الحد من عدد أولئك المتوجهين إلى المغرب العربي، شريطة تلقيه من السلطات الفرنسية فيه تعليمات محددة في هذا المجال تلزمه بألاّ يمنح تأشيرات دخول للمطوفين إلى

---

(3) A.N.T, A276 bis - 13 (1930), le Gérant du Consulat français à Djeddah au Ministre des affaires étrangères à Paris, Djeddah, le 19-01-1929, doc. n°6, 2 pages (p.), p.1.

(٤) المصدر السابق، ص٢.

شمال إفريقيا إلا بعد ترخيص مسبق من السلطات هناك، إضافة إلى إلزام أولئك المتوجهين إلى هناك بأن يضعوا - في القنصلية الفرنسية بجدة - مبلغا لا يقل عن ٣٠ جنيه إسترليني يمكن اللجوء إليه لتغطية مصاريف العودة بهم إلى بلادهم إن هم وجدوا دون موارد[٥]، وتبعا لذلك أعرب المقيم العام الفرنسي بتونس عن موافقته التامة لما جاء على لسان القائم بأعمال القنصلية الفرنسية بجدة فيما يتعلق بالإجراءات اللازم اتّخاذها للحد من عدد الدعاة الوافدين على شمال إفريقيا من المملكة العربية السعودية، معلنا عن إعطائه للتعليمات الضرورية حتى لا يتمكنوا من دخول تونس إلا بعد حصولهم المسبق على ترخيص إقامتها العامة، بحيث يتوجب عليهم طلب ذلك عن طريق قنصل فرنسا بجدّة الذي عليهم أن يودعوا لديه ضمانا ماليا قدره ٣٠ جنيهاً إسترلينياً كفيلاً بتغطية مصاريف العودة بهم إلى بلادهم إن هم أعوزهم ذلك[٦].

تحيلنا مختلف هذه الإشارات إلى تخوّف السّلطات الاستعمارية في تونس من نشاط أولئك الدّعاة السعوديّين الوافدين على مسلميها، لذلك بادرت إلى الحد من أثر تلك الدّعاية بين الأهالي الذين حرصت - في الاتّجاه المعاكس - على مراقبتهم عن كثب أثناء توجّههم إلى الحجاز لأداء

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق:

Le Ministre plénipotentiaire -R.G. de la république Française- au Ministre des affaires étrangères à Paris, Tunis, le 21/3/1929, doc. n°4.

فريضة الحجّ خوفا دائما من الانعكاسات التي قد تنتج عن الالتقاء المباشر للتّونسيّين بإخوانهم السعوديّين:

من ذلك أنّه تطبيقا للتوجيهات المحدّدة في رسالة وزير الخارجيّة الفرنسيّة بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٢٩م (٢١ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ) أخضع الحجيج التّونسيّون طيلة سفرهم إلى مراقبة دقيقة من طرف مفوّض فرنسي (Com- Français missaire) يدعى نولاي (Nullet)، إضافة إلى المراقب المدني بالقيروان، يساعده محمد بن سليمان كاهية المكنين(٧).

لقد رافق هذا الأخير الحجيج التّونسيّين أثناء قيامهم بكلّ شعائر الحجّ سواء في مكّة أو في المدينة؛ فقد انصبّ اهتمامه بالخصوص على المراقبة السرّية لاتّصالات الحجيج التّونسيّين بإخوانهم من بقيّة أنحاء العالم الإسلامي؛ إذ لم تسجّل عليهم طيلة حجّهم وفق شهادة محمد بن سليمان السّابق الذكر مآخذ تستحقّ الذكر(٨).

٢ - تعطيل فرنسا لوصول موارد أوقاف الحرمين الشّريفين إلى مستحقّيها:

للتذكير فإنّ إجلال مسلمي تونس لمقام الحرمين الشّريفين وحرصهم على استمراريّة الخدمات المؤمّنة فيها للمسلمين - فضلا عن رغبة أهالي تونس في مدّ يد المساعدة للمجاورين وإعانتهم للمدارس والكتاتيب والرّباطات على

(٧) المصدر السابق:

du même au même, décembre 1930, doc.n°1, 4 p., p. 2 .

(٨) المصدر السابق، ص٣.

القيام بوظائفها الاجتماعيّة - دفع العديد من مسلمي البلاد التّونسيّة إلى تحبيس العديد من الدّور والأجنّة والحوانيت والأراضي الشّاسعة على الحرمين الشّريفين[٩]، بحيث يتولّى وكلاء السّهر على العناية بالأوقاف المذكورة من حيث الصّيانة والاستثمار والاستغلال عن طريق التّسويغ، على أن تخصم - من المداخيل - كلّ أنواع المصاريف لتوجّه المبالغ المتبقّية - سنويّا - في شكل صرّة مع المسؤول عن ركب الحجيج التّونسيّين[١٠].

مسلموا البلاد التونسية حبسوا العديد من الدور.... على الحرمين الشريفين

غير أنّ دخول الاستعمار الفرنسي إلى البلاد التّونسيّة وتفويته السّنوي عن طريق إدارة الفلاحة في الآلاف من هكتارات أراضي الأوقاف جعله - تجنّباً منه لردّة فعل مسلمي تونس - يواصل التّوجيه السّنوي للصّرة بعد أن جعل لها مقدارا قارّا حدّده بـ ٥٠,٠٠٠ فرنك، وهو مبلغ بعيد كلّ البعد عن الموارد الحقيقيّة المتأتّية سنويّا للحرمين الشّريفين من أوقافها بمختلف جهات البلاد التّونسيّة.

ومع ذلك فإنّ سلطات الاستعمار الفرنسي لم توجّه الصرّة سنوات ١٨٩٨م (١٣١٥هـ)، ١٩٠٠م (١٣١٧هـ)، ١٩٠٢م (١٣١٩هـ)، ١٩٠٣م (١٣٢٠هـ)، ١٩٠٤م (١٣٢١هـ)، ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)، ١٩١٨م (١٣٣٦هـ)، ١٩١٩م (١٣٣٧هـ)، ١٩٢٠م

(٩) راجع ذلك بالتّفصيل في كتابنا: أوقاف الحرمين الشريفين بالبلاد التونسيّة ١٧٣١-١٨٨١، زغوان (تونس) نشر مؤسّسة التّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ١٩٩٨م.

(١٠) انظر ذلك بتوسّع في المرجع نفسه.

(١٣٣٨هـ)، ١٩٢١م (١٣٣٩هـ)، ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ) على الرغم من أنّ عدد مختلف العقارات المحبّسة - بكامل أرجاء البلاد - على الحرمين الشّريفين بلغ ٣٨٦ عقاراً، في حين قدّرت مواردها السّنويّة بحوالي ٢٤٠,٠٠٠ فرنك[١١].

ولئن لم يصدر - على حدّ قول سلطات الاحتلال الفرنسي - إلى حدّ سنة ١٩٢٣م (١٣٤١هـ) أيّ احتجاج من السّلطة في الحجاز - ربّما لعدم إدراكها لقيمة تلك الأوقاف وأهميّة المبالغ المتأتّية منها - فإنّها بادرت ابتداء من سنة ١٩٢٣م (١٣٤١هـ) إلى مطالبة سلطات الاحتلال الفرنسي في تونس بضرورة تسديدها بحساب الفرنك الذّهبي لكلّ المبالغ المتخلّدة بذمّتها والمتعلّقة بخمس سنوات: ١٩١٨- ١٩٢٢م (١٣٣٦ - ١٣٤٠هـ)، والبالغة ٨٥٩,٣٢٠ فرنك[١٢].

غير أنّ الوضعيّة الماليّة السيّئة لجمعيّة الأوقاف حالت دون تسديدها للمبالغ المذكورة، كما أنّ الحكومة الهاشميّة رفضت سنة ١٩٢٤م (١٣٤٢هـ) مبلغ ٥٠,٠٠٠ فرنك كمقدار للصّرّة التّونسيّة، بعد أن أكّد القنصل الفرنسي بجدّة استحالة تسديد المبلغ المذكور ذهباً، وبذلك بقيت الوضعيّة دون حلّ منذ التّاريخ السّابق الذّكر[١٣].

---

(11) A.N.T, A276 bis-3 /28 (1930-35), le Ministre -R.G. à Tunis - à Hérriot- président du conseil, Ministre des affaires étrangères, le 21-9-1932, doc. n°163, 7p., p.2.

(١٢) المصدر السابق، ص٣.

(١٣) المصدر السابق، ص٤.

لقد وجدت سلطات الاستعمار الفرنسي في البلاد التّونسيّة في المأزق المذكور سببا في التملّص من إيفائها بحقوق أهالي الحرمين؛ إذ وصل بها الأمر إلى حدّ التّشكيك في ذلك أصلاً، مدّعية أنّ عقود التّحبيس تنصّ على تمتّع الحرمين الشّريفين دون سواهما بريع تلك الأوقاف، فلا سبيل - على حسب زعمها - إلى تجاوز نصوص التّوقيف بإقحام المجاورين والفقراء من مختلف البلدان الإسلاميّة المقيمين في جوار الحرم[١٤].

أدّت مختلف تلك العوامل إلى توقّف توجيه الصرّة التّونسيّة من ١٩٢٣م (١٣٤١هـ) إلى سنة ١٩٣١م (١٣٤٩هـ)، وهي مدّة عملت فيها جمعيّة الأوقاف المتعلّلة برفض الحكومة الهاشميّة إلى صرف المبلغ السنوي المقرّر في ميزانيّتها للصّرة في أوجه مختلفة[١٥]، ناهيك أنّ وضعيّتها الماليّة التي أصبحت عليها في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين لم تعد تسمح لها بتسديد ما تخلّد بذمّتها عن تسع سنوات.

لقد اقترحت السّلطات الاستعماريّة في تونس على الحكومة السّعوديّة العودة إلى العمل بمبلغ سنوي قدره ٥٠,٠٠٠ فرنك ورقي ابتداء من سنة ١٩٣٢م (١٣٥٠هـ)، غير أنّ رفض الحكومة السعودية لتلك الصّيغة وإصرارها على التّسديد ذهبا لكلّ المبالغ

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) من تلك الأوجه نذكر مثلا تقديم إعانات ماديّة لبعض المؤسّسات الصحّية كالمستشفى الصّادقي (٥٦٠٠٠ فرنك سنة ١٩٢٦م ١٣٤٤هـ)، والتعليميّة كمدرسة البنات المسلمات (٣,٠٠٠ فرنك سنة ١٩٢٦م/ ١٣٤٤هـ)، وغيرها من بقيّة الأوجه. انظر، المصدر السابق، ص٦.

المتــخلّفــة دفع سلطات الاحــتــلال الفــرنسي ليس فــقــط إلى مطالبتها للحكومة السّعوديّة بمدّها بالمجالات التي تصرّف فيها الصـرّة التّـونسـيّـة، وإنّمـا بالخـصـوص إلى إلـزامـهـا للحكومـة المذكورة بمدّها بكشـوفات مـفـصّلة عن مـخـتلف الأوقـاف التي حبّسـهـا رعـايا فـرنسـا من المغاربة في المملكة والتي قـدّر مسح ميداني أنجـز سنة ١٩١٩م (١٣٣٧هـ) عـائداتها بـ ١,٥٠٠,٠٠٠ فرنك ذهبي تمّ تحويلها إلى خزينة الأوقاف السّعوديّة[١٦].

لقـد بادرت جـمعـيّة المطالبة بأوقـاف الحـرمين الشّـريفين ممثّلة في رئيـسـهـا يـوسف ياسين إلـى تقـديم عـريضـة إلى السّلطـات الفـرنسـيّـة فـي تونس، سلّمـت لهـا عن طـريـق الحكومـة السـعـودية تضـمّنت مطالبـة أهـالـي الحـرمـيـن بحقوقهم[١٧]، وبذلك تمّ تضييق الخناق أكثر على السّلطات الاستعماريّة في تونس التي أحـرجت أمام مسلميها الذين لم تفتأ تكرّر لهم التزامها تجاههم باحترامها لتعاليم دينهم.

ما نخلص إليه من كلّ ما سبق هو حاجة فرنسا الأكيدة والملحّة للتّعـرّف على الحكومة السعودية الذي تعرف جيّدا مـدى قـدرتهـا على التّـأثيـر في الأوضـاع الدّاخليّـة للبـلاد التّونسيّة من خلال موسم الحج.

إنّ أهميّة موسم الحج كمناسبة تجمع بين مختلف مسلمي أنحاء العالم على صعيد واحد، وحرص الملك عبدالعزيز – وهو الذي كما سنرى لاحقا كان حريصا في كلّ موسم حجّ

(١٦) المصدر السابق، ص٦.

(١٧) المصدر السابق، ص٧.

على الاجتماع بوفود الحجيج وإكرامهم بالضّيافة في قصره - دفع سلطات الاحتلال الفرنسي في تونس إلى استغلالها هي الأخرى لموسم الحجّ للإرسال بعيون لها من بين المرافقين الرّسميّين للحجّاج التّونسيّين للتّعرّف عن كثب على الملك عبدالعزيز، ومدّها - بعد العودة - بتقارير مفصّلة عن كلّ المشاغل والنّقاط التي حدّدتها وزارة الخارجيّة خصوصا لأولئك "المخبرين".

كما عوّلت فرنسا في إحاطتها بالأوضاع السياسيّة والاقتصادية للمملكة العربيّة السّعوديّة على القائم بأعمال قنصليّتها بجدّة، إضافة - كذلك - إلى ما كان يمدّها به المدعو الحاج بلقاسم حمدي القائم على شؤون التكيّة (Hôtellerie) الفرنسيّة بمكّة[١٨].

---

(١٨) بدعوى تسهيل إحاطتها بحجيج مستعمراتها والحد من تكاليف حجّهم في البقاع المقدّسة طرحت اللجنة الوزاريّة للشّؤون الإسلاميّة بالبرلمان الفرنسي في جلسة يوم ١٩١١/١٢/٢٩م (١٣٣٠/١/٩هـ) مشروع إيجاد تكيّة في مكّة يأوي إليها حجّاج المستعمرات الفرنسيّة، وهو مقترح قوبل بالإجماع، لكن استحال تطبيق المشروع لرفض الرّأي العام في الحجاز التفويت في عقار لدولة أجنبيّة، الأمر الذي حتّم على فرنسا - تجاوزا منها للموانع الفقهيّة - الالتجاء إلى تكوين جمعيّة خيريّة تتألّف من أعضاء مسلمين تتولّى ظاهريّا عوضا عن فرنسا شراء العقار، وبالفعل تمّ سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ) بعث جمعيّة أوقاف الحرمين الشّريفين (Société des Habous des Lieux Saints) المتركّبة من ٧ أعضاء (٢ من تونس، ٢ من الجزائر، ٢ من المغرب، وواحد من السنغال) برئاسة المغربي الحاج عبدالقادر بن غبريط مدير التّشريفات لملك المغرب الأقصى، وقد عقدت أوّل اجتماع لها بالجزائر يوم ١٩١٧/٢/٧م (١٣٣٥/٤/١٥هـ)، ومن جهته طرح أحد النّوّاب مشروع قانون يسمح بالحصول على مبلغ ٥٠٠,٠٠٠ فرنك لشراء تكيّة في كلّ من مكّة والمدينة، فتمّت الموافقة من البرلمان =

فما مختلف المهام التي أوكلت السّلطات الفرنسيّة لمختلف أعوانها وعيونها القيام بها لتمكينها من الإلمام بمختلف توجّهات الحكومة السعودية وأطروحاته؟ وما الصّورة التي كوّنتها تقارير مختلف تلك الأطراف لدى السّلطات الفرنسيّة عن النّظام المذكور، وما الأسس التي أقامت عليها فرنسا على ضوء ذلك علاقاتها مع المملكة العربيّة السّعوديّة بين ١٩٢٦م و١٩٣٦م (١٣٤٤ و١٣٥٥هـ)؟

يبدو - في حدود ما اطّلعنا عليه من وثائق - أنّ أبرز دور في هذا الاتّجاه قام به الدّكتور البشير الدنقزلي[١٩].

= الفرنسي على ذلك، وأمكن لابن غبريط وفق توكيل تفويض صلاحيّاته إلى الجزائري الحاج مصطفى شرشالي لإبرام عقد الشراء باسم الجمعية المذكورة على يد قاضي مكّة يونس الخطيب لبناية واقعة في مكّة في حيّ أجياد (Quartier Djiad) خلف الفرن المعروف بفرن الجراية (fourn el Djiraya)، علماً أنّ البناية المذكورة كانت على ملك المدعو عبدالستّار ابن المرحوم محمد أمين بن أبي طالب بن عبدالله الميمني، وقد فاق ثمنها ١٢٠,٠٠٠ فرنك ذهبي لغلاء أسعار العقارات آنذاك في مكّة، أمّا تكيّة المدينة المنوّرة فقد تمّ اقتناؤها سنة ١٩٣٩م (١٣٥٧هـ).

(١٩) من مواليد ١٨٦٩/٢/١٧م (١٢٨٥/١١/٦هـ) بمدينة تونس، زاول تعلّمه الثّانوي بالصّادقيّة، ثمّ انتقل سنة ١٨٨٨م (١٣٠٥هـ) إلى فرنسا لمتابعة دراسته العليا بكليّة الطبّ بمونبليي، تحصّل على رتبة مأمور للصّحّة، وسنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ) حصل على الدّكتوراه في الطبّ، ساهم في تونس في عديد من الأنشطة لمعالجة الأوبئة، رافق سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ) الحجيج التّونسيّين في مهمّة لصالح وزارة الخارجيّة الفرنسيّة، منحته أكاديميّة الطبّ بباريس سنة ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ) شرف العضويّة مراسلاً لها، توفّي سنة ١٩٣٤م (١٣٥٢هـ). حول ترجمته انظر: عبدالرحمن الونيسي، السياسة الصحيّة بتونس في عهد الحماية، دكتوراه في التّاريخ، مخطوطة، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، ٢٠٠٣م، ص ١٨٩ وما بعدها.

للتّذكير فإنّ فرنسا زعمت أنّها أخذت على نفسها العهد بعد بسطها لهيمنتها على تونس باحترام معتقدات وعادات الأهالي الذين وضعتهم تحت "حمايتها الرّحيمة"، فكانت تبعا لذلك تسمح لهم بالتّوجّه إلى البقاع المقدّسة إمّا فرادى أو جماعات وفق ما تسمح به الاتّفاقيّات الصحّية العالميّة(٢٠).

وتأكيدًا منها على عنايتها بأهالي البلاد فإنّ فرنسا لم تسمح لهم فقط بالحجّ، وإنما كانت دومًا حريصة على صحّتهم، الأمر الذي كان وراء تعيين سنوي لطبيب مسلم يرافق الحجيج التّونسيّين، ويسهر على صحّتهم طيلة إقامتهم في الحجاز، بمقتضى قرار من الوزير الأكبر للباي يوافق عليه المدير العام لداخليّة الإيالة(٢١).

في الحقيقة - وخلافا لما كانت تدعيه السلطات الفرنسية - فإن الساهرين على صحة الحجيج المغاربة لم يكونوا أطباء حقيقيّين؛ ففي سنة ١٩٢٨م (١٣٤٦هـ) مثلاً كلفت الإدارة الجزائرية المعاون الصحيّ الشريف الجواتي (M.chérif DJouati) بالمصلحة الصحيّة على الحجيج الجزائريّين، في حين عيّن شيخ مدينة تونس علي الموالي لنفس المهمّة لدى

(20) A.N.T., A276 bis - 1/12, Rapport Complémentaire sur le pèlerinage musulman tunisien à la Mecque de 1929 par le docteur Dinguizli - membre correspondant de l'Académie de médecine et de l'Académie des sciences colonials - chargé de missions à la direction générale de l'intérieur du gouvernement tunisien, 1929, doc. n°3, 84 p., p.3.

(٢١) المصدر السابق، ص٣.

الحجّاج التّونسيّين[٢٢]، وهو ما يعني أنّ هؤلاء لم يكونوا مصحوبين أثناء حجّهم بطبيب مسلم إلاّ إذا كان هذا الأخير قاصدا بدوره الحجّ، أو مكلّفا بإنجاز مهمّة خاصّة كما كان الشّأن للدّكتور الدنقزلي[٢٣].

لقد جاء تعيين الدّكتور البشير الدّنقزلي طبيباً مرافقاً للحجيج التونسيّين في موسم ١٩٢٩م (١٣٤٧هـ) وفق أمر من الوزير الأوّل حظي بموافقة المدير العام للداخليّة بالإيالة التّونسيّة مؤرّخا في ١١ أبريل ١٩٢٩م (٢ ذي القعدة ١٣٤٧هـ):

لقد أوضح وزير الخارجيّة الفرنسيّة في رسالته إلى المقيم العام الفرنسي بتونس أنّ الدّكتور المذكور لن يدّخر جهدا طيلة إقامته في الحجاز في تجميع كلّ المعلومات ذات الصّيغة السياسيّة الكفيلة باستكمال صورة فرنسا عن ملك الحجاز وإتمامها للوثائق التي تجمعها حول بلاده[٢٤].

لقد أوضح الوزير المذكور أنّ ولاء الدكتور الدنقزلي لفرنسا وحرفيّته المعترف له بها تخوّل له أن يعيّن طبيبا رسميّا للحجيج، كما أنّ درايته بالشّؤون الإسلاميّة وخبرته

---

(٢٢) المصدر السابق:

A276 bis -3/22, Note pour le directeur général de l'intérieur, Tunis, le 15/11/1928, doc n°28.

(٢٣) المصدر السابق.

(٢٤) المصدر السابق:

A276 bis -3/22 (1929), Le Ministre des affaires étrangères à Paris à Manceron- R.G. de France à Tunis- le 16/4/1929, doc. 231.

في هذا المجال من شأنها أن تساعده - إذا سمحت له الظّروف - في الحصول على معلومات وتسجيل انطباعاته التي سيجمعها[٢٥].

فما المهام الموكولة للدكتور الدنقزلي الطّبيب الرّسمي ظاهريًا للحجيج التّونسيّين سنة ١٩٢٩م (١٣٤٧هـ)، والمكلّف في الحقيقة من قبل السّلطات الفرنسيّة بالوقوف مباشرة وعن قرب على طبيعة الوضع القائم في المملكة العربيّة السّعوديّة؟

لقد أوضح المدير العام للدّاخليّة بالبلاد التّونسيّة أن الطبيب المذكور كلّف - إلى جانب مندوب جمعيّة أوقاف الحرمين الشّريفين - بإخضاع الحجّاج إلى مراقبة سياسيّة لصيقة[٢٦].

غير أنّ المهام الحقيقيّة للدكتور الدنقزلي كانت تخصّ بالأساس الحكومة السعودية؛ فقد جاء في وثيقة سريّة أنّ الدّكتور المذكور - العضو المراسل لأكاديميّة الطبّ الفرنسيّة، والحائز على نيشان الافتخار - وبصفته طبيبا للحجيج بإمكانه من الناحية السياسية تقديم أكبر الخدمات من أجل خدمة المصالح الفرنسية في المملكة العربيّة السعوديّة، وتبعاً لذلك فمن الضّروري تمكينه من الاقتراب تحت غطاء ظاهري رسمي من الملك عبدالعزيز الذي يجب أن يكون له

---

(٢٥) المصدر السابق.

(٢٦) المصدر السابق:

le directeur général de l'intérieur au R.G. à Tunis, le 23/04/1929, doc no 232.

معه محادثات متكرّرة، كما كان شأن الدّكتور الدنقزلي نفسه مع الشريف حسين سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ)، من شأن هذه المحادثات أن تسمح بالوقوف بشكل قاطع على المشاعر الحقيقيّة للملك عبدالعزيز تجاه فرنسا والعمل - إن أمكن - على تصويبها وتعديلها[٢٧].

وتيسيرا لمهمّته اقترح الدّكتور الدنقزلي على حكومة الاحتلال الفرنسي أن يتولّى بنفسه باسم باي تونس تسليم الملك عبدالعزيز الوسام الأكبر لنيشان الافتخار[٢٨]، وهو - على حدّ قول الدّكتور المذكور - تكريم من شأنه أن يؤكد لابن سعود - خلافاً لما يروّجه أعداء النّفوذ الفرنسي - أنّ باي تونس ليس حاكماً صوريّاً بما أنّه هو الذي منح الوسام المذكور، كما اقترح الدّكتور - فضلاً عن منح نائب الملك بالحجاز وساما أقلّ - العودة إلى العمل بتقليد حسن يتمثّل في إرسال عطورات من روح الياسمين والورود وسبح (جمع سبحة) من العنبر الرّمادي إلى نائب الملك بالحجاز، إضافة إلى أقراص معطّرة من البخور تستعمل في تعطير الكعبة من الدّاخل عند غسلها السّنوي بماء الورد[٢٩].

---

(٢٧) المصدر السابق:

A276 bis - 1/12. “Questions politiques à étudier en Arabie”, Annexe confidentielle à la note du 20/3/1929 concernant le pèlerinage à la Mecque en 1929, doc. no1.

انظر الملحق رقم ١.

(٢٨) المرجع السابق، انظر الملحق نفسه.

(٢٩) المرجع السابق، انظر الملحق نفسه.

لقد عبّر الدّكتور الدنقزلي عن فائق غبطته بعد أن حدّدت له مجمل النّقاط والجوانب التي كانت الحكومة الفرنسيّة حريصة على توضيحها خاصّة من النّاحية السّياسيّة في الجزيرة العربيّة[٣٠]، وبهذا الخصوص فإنّ الدّكتور الدنقزلي طلب من المدير العام للدّاخليّة بتونس وضع اتّفاق بين الإقامة العامّة بها ووزير الشّؤون الخارجيّة الفرنسيّة للوقوف على النّقاط المطالب الدّنقزلي بدراستها على عين المكان - أي في المملكة العربيّة السعوديّة - بكلّ تمعّن وعناية[٣١].

صورة المملكة العربيّة السّعوديّة من خلال تقارير الدكتور الدّنقزلي:

حظيت مختلف مواسم الحجّ بين ١٩٢٦م و١٩٣٦م (١٣٤٤ و١٣٥٥هـ) بتقارير أعدّتها أطراف مختلفة كمحمد بن سليمان كاهية المنستير[٣٢] ومولاي (Mullet) مندوب الحكومة[٣٣] بالنّسبة إلى حجّ سنة ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ)، وتقارير الحاج بلقاسم حمدي المسؤول عن تكية مكّة بالنّسبة إلى حجّ ١٩٣١م (١٣٤٩هـ)[٣٤] و١٩٣٢م (١٣٥٠هـ) مثلاً[٣٥]، غير أنّ أهمّها على الإطلاق تلك التي أعدّها الدّكتور البشير الدّنقزلي، ليس فقط لكبر حجمها من حيث

(٣٠) المرجع السابق، انظر الملحق نفسه.

(٣١) المرجع السابق، انظر الملحق نفسه.

(٣٢) انظر: N.T., A276 bis -3/28, doc.n°8, p11

(٣٣) انظر: Ibid., A276 bis -15, doc. n°8, p17

(٣٤) انظر: A276 bis -3/28, doc. n°17, p11 Ibid

(٣٥) انظر: doc. n°120, p8 المصدر السابق.

عدد صفحاتها، وإنّما بالخصوص للمواضيع الحسّاسة التي تطرّقت إليها طبقا - كما أشرنا - لتعليمات وزارة الخارجيّة الفرنسيّة:

فلئن تعلّق ما جاء في تقارير بقيّة الأعوان بأمور عاديّة ومألوفة تتعلّق أساسا بأطوار رحلة الحجّ ومراحلها، إضافة إلى ملاحظات سطحيّة تتعلّق بوصف طريق الرّحلة، وأبرز ما شدّ انتباههم أثناءها وخصوصا بعد وصولهم إلى البقاع المقدّسة، فإنّ تمكّن الدّنقزلي - خلافا لمرافقيه - من الوصول إلى مواطن حسّاسة ونفوذه إلى مقامات رسميّة أهّلته لاقتحامها ليس فقط كطبيب، وإنّما ما لقيه من تسهيلات أعوان فرنسا في المملكة جعله يسجّل في تقاريره انطباعات واستنتاجات تفرّد بها دون سواه، بل وصل به الأمر - كما سنرى - إلى توجيهه السياسة الفرنسيّة في الحجاز والتّأثير فيها بشكل مباشر، وهو ما يفسّر نجاحه بامتياز، فلا غرابة أن يكلّف بمراقبة الحجيج التّونسيّين أكثر من مرّة.

فبالنّسبة إلى حجّ ١٩٢٩م (١٣٤٧هـ)- مثلاً - جاء تقرير الدّكتور الدنقزلي مفصّلا في (٨٤) صفحة، ذكر فيها أسماء الذين طلب إليه التنسيق معهم والاستعانة بدرايتهم بالمملكة وخبرتهم بمختلف فئاتها الاجتماعيّة؛ كحسن التريكي مترجم ومستشار القنصل العام لفرنسا بجدّة، وهو تونسي الأصل يتقن في طلاقة اللغة الفرنسيّة، وقد كان في استقباله عند وصوله يوم ٩ ماي ١٩٢٩م (٣٠ ذي القعدة

١٣٤٧هـ) إلى جدّة نيابة عن ميغراي Maigret - القنصل العام - ونائبه قو Gau(٣٦).

لقد أمكن للدكتور الدنقزلي - اعتمادا على فطنة الحاج بلقاسم الحمدي - التّوصّل إلى مقابلة شخصيّات مرموقة قريبة من الملك عبدالعزيز؛ فقد تردّد كثيرا مثلا على منزل وزير الدّاخليّة والمسؤول الأوّل عن الأمن، إضافة إلى العديد من كبار الموظّفين وأعيان مكّة(٣٧) من الذين أمكن للدّكتور أن يفحصهم ويمدّهم بوصفات طبيّة كان لها أطيب الأثر على صحّتهم، الأمر الذي زاد في إكبارهم للتكوين الطبّي الفرنسي(٣٨).

لقد تبيّن للدكتور المذكور أنّ أهالي مكّة ليست لهم معطيات كافية وصحيحة عن العلاقات اليوميّة بين الفرنسيّين والمسلمين التّونسيّين؛ مما اضطرّ الدّكتور الدّنقزلي إلى تصحيح الأمور تحسينا منه لصورة فرنسا لديهم(٣٩).

لقد أثمرت مساعي الدّكتور المذكور ثقة متبادلة مع أعيان مكّة ووجهائها، حتّى إنّ الحاج بلقاسم الحمدي أكّد له بفضل

---

(٣٦) المصدر السابق:

A276 bis - 3/22, Rapport complémentaire sur le pèlerinage musulman Tunisien de la Mecque de 1929 par le Docteur Béchir Dinguizli - chargé de mission à la direction générale de l'intérieur du gouvernement Tunisien, doc. no21, 84 p., p.21.

(٣٧) المصدر السابق، ص٣٣-٣٤.

(٣٨) المصدر السابق، ص٣٤.

(٣٩) المصدر السابق.

زياراته تلك أنّه أمكنه حلّ العديد من المسائل السياسيّة المعلّقة بين فرنسا والمملكة العربية السعودية[٤٠].

غير أنّ أبرز ما استرعى انتباه الدّنقزلي هي المأدبة التي أقامها الملك عبدالعزيز بقصره، وسبقها حفل استقبال على شرف رؤساء مختلف البعثات، وذلك يوم ١٤ ماي ١٩٢٩م (٥ ذي الحجة ١٣٤٧هـ)، فلقد أمكنه - على حدّ قوله - الجلوس قريبا من مكان جلوس الملك الذي رآه مباشرة لأوّل مرّة، فبدا له كسائر النّاس؛ إذ لا شيء كان يميّزه عن أفراد رعيّته، وبعد انتهائه من خطابه دعا ضيوفه إلى قاعة الأكل.

كما أمكن للدكتور الدنقزلي التحدّث - على حدّ قوله - إلى نائب الملك الأمير فيصل أثناء احتفالات كسوة الكعبة، واشتكى إليه من ارتفاع الرّسوم الموظّفة على الحجيج المغاربة، زاعما له أنّ فرنسا التي تعد مسلمي المغرب العربي أبناء لها لا تسمح لجباتها بجباية دانق واحد كأداء فوق ما حدّده القانون، وإن كلّ موظّف يسمح لنفسه بأخذ مبلغ يفوق المقدار الموظّف من الضرائب سرعان ما تتمّ معاقبته بل فصله عن وظيفته[٤١].

لقد خصّص الدّكتور الدنقزلي جانبا كبيرا من تقريره للحديث عن محدوديّة الاهتمام الفرنسي في المملكة العربيّة السعوديّة؛ مما جعل لسكّانها - على حدّ قوله - صورة مشوّهة عنها، وهو أمر عزاه الدّكتور المذكور إلى أعوان بريطانيا وألمانيا[٤٢].

---

(٤٠) المصدر السابق.

(٤١) المصدر السابق، ص٤٨.

(٤٢) المصدر السابق، ص٣٤.

لقد حمل الدّكتور الدّنقزلي على الاهتمام البريطاني في المملكة، مؤكّدا أنّ كلّ سكّان مكّة وجدّة والمدينة يجمعون على أنّ فرنسا تركت المجال لبريطانيا، وهي وضعيّة استاء لها الطّبيب، مدّعيا أنّه في الوقت الذي تقابل فيه بريطانيا بعداء من قبل أهالي المنطقة، فإنّ فرنسا تحظى هناك بودّ واحترام، وهي وضعيّة وجب - على حدّ قوله - استغلالها(٤٣).

لقد أطال الدّكتور الدّنقزلي في المقارنة التي عقدها بين الدّولتين، لينتهي إلى الجزم بأنّ فرنسا يجب أن تتفوّق على بريطانيا من حيث الحضور في المملكة، موضّحا أنّه مثلا في مدينة جدّة المهمّة بمينائها التّجاري لا وجود - باستثناء القنصليّة - لأيّة مؤسّسة أخرى للنّفوذ الفرنسي؛ إذ ليس هناك - على حدّ قوله - وكلاء تجاريون فرنسيون، كما أنه لا وجود لأيّ مشروع خيري فرنسي من شأنه أن يجذب إلى فرنسا قلوب السعوديين، موضّحا - في الآن نفسه - أنّه في الوقت الذي يعجّ فيه البحر الأحمر بالسّفن البريطانيّة، وتغرق فيه أسواق جدّة بمختلف البضائع، فإنّ السّلع الفرنسيّة تكاد تكون غير معروفة في الحجاز(٤٤).

إنّ تأكيد العديد من الذين التقاهم الدّكتور الدّنقزلي على مواصلة بريطانيا لتدعيم حضورها في المملكة العربيّة السعوديّة مقابل عدم الاهتمام الكامل لفرنسا بذلك - دفعه

(٤٣) المصدر السابق، ص٥٤.

(٤٤) المصدر السابق، ص٥٧.

إلى لفت انتباهها إلى ما يمثّله بالنّسبة إليها مدّ سكك حديديّة في الحجاز وضرورة مبادرتها إلى أخذ حصّتها في هذا المجال.

لقد مثّل تقرير الدّكتور الدنقزلي محاكمة لتقصير الدّيبلوماسيّة الفرنسيّة في تدعيم حضور بلادها في المملكة العربيّة السّعوديّة، فلا غرابة تبعاً لذلك أن يقوم سنة ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ) بوضع برنامج مفصّل يقوم على التحرّك خاصّة في المجال الاجتماعي؛ خدمة لذلك الحضور وتدعيما لمصالحها في البلاد.

وسائل الاهتمام الفرنسي:

سبقت الإشارة إلى وقوف الدكتور الدّنقزلي على مؤشّرات أكّدت له - على حسب زعمه - تفضيل أهالي المملكة العربيّة السّعوديّة لفرنسا على منافستها بريطانيا، مدّعيا وجود "محبّة جنينيّة لفرنسا" لا بدّ من تطويرها بالتّحرّك في المجال الاجتماعي عبر أمرين مهمين جدّا:

أوّلهما: المبادرة ببعث مستوصف (مشفى) في مكّة:

يبدو أنّ حماس الدّكتور الدنقزلي وغيرته على فرنسا وإلحاحه على ضرورة تدعيم حضورها الاقتصادي والاجتماعي في المملكة العربيّة السعوديّة قد لقي - على حدّ ما ذكره هو نفسه - تجاوبا لدى أصحاب القرار الفرنسي، الأمر الذي يفسّر تعيين الدّكتور المذكور مرّة أخرى طبيبا مرافقا لحجيج موسم ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ)[٤٥].

---

(٤٥) المصدر السابق:

A276 bis - 15, Dinguizli Béchir «Rapport sur le pèlerinage des indigènes musulmans Tunisiens en 1930 », doc. no2, 47 p., p.2.

لقد اقترح الدّنقزلي بعث مستوصف (مشفى) فرنسي في مكّة بالذّات، جاعلاً توجّهه إلى البقاع المقدّسة سنة ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ) يندرج ضمن التحوّل على عين المكان لإنجاز المشروع المذكور، وهو أمر سيخصّص له كامل وقته، لذلك طلب من السّلطات الفرنسيّة أن يلحق به معاون صحّي بإمكانه التعويل عليه في الاهتمام بصحّة الحجيج، فتمّ تعيين المدعو حمّودة لسود أحد أعيان بنزرت(٤٦).

للتذكير فإنّ البعثة العسكريّة الفرنسيّة(٤٧) إلى الحجاز سنة ١٩١٦م (١٣٣٤هـ) أمكنها - نسجا منها آنذاك على منوال كلّ من بريطانيا وإيطاليا - تركيز مستوصف في جدّة كان له أكبر الأثر سواء على حجيج المغرب العربي أو على أهالي الحجاز أنفسهم(٤٨).

غير أنّه منذ انتهاء مهمّة البعثة المذكورة كان لا بدّ من تخصيص اعتمادات كبيرة للإبقاء عليه قدّرت بـ ٢٠,٠٠٠

---

(٤٦) المصدر السابق.

(٤٧) دعما منها لثورة الشّريف حسين ضدّ العثمانيّين - بداية من يونيو ١٩١٦م (شعبان ١٣٣٤هـ) - وجّهت فرنسا بعثتين:

١ـ واحدة عسكريّة تحت رئاسة العقيد بريمون Brémond، كان أغلب أفرادها من الضبّاط، وقد وصلت إلى مكّة يوم ١٩١٦/٩/٢٩م (١٣٣٤/١٢/٢هـ).

٢ـ وثانية سياسيّة دينيّة تحت رئاسة عبدالقادر بن غبريط مدير التّشريفات السلطانيّة بالمغرب الأقصى، وقد وصلت هي الأخرى إلى مكّة يوم ١٩١٦/١٠/٢م (١٣٣٤/١٢/٥هـ). انظر ذلك بالتفصيل في كتابنا السّابق الذكر، ص٤٣٩ وما بعدها.

(48) A.N.T., A276 bis - 9, le Président du conseil - Ministre des affaires étrangères - au R.G. à Tunis, le 2/3/1921.

فـرنك سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ)، دعـيت بلدان شـمـال إفـريـقـيـا إلى تقاسم عبء تسديدها من ميزانيّاتها[٤٩].

مـا أردنـا إبرازه هو أنّ مـشـروع إنجـاز مـسـتـوصـف في مكّة بالذّات لا يتنزّل فقط في إطار حرص الدّكتور الدنقزلي على تدعيم الخدمات الصّحيّة والاجتماعيّة لفرنسا في المملكة تدعيما لحضورها فيها، وإنّما لأسباب إستراتيجية وسياسيّة أجهد الدّكتور نفسه في إبرازها والإلحاح على أهميتها، الأمر الذي جعله يعد إنجاز المشروع المذكور ودخوله حيّز العمل "أمرا لا مفرّ منه يتحتّم على فرنسا إنجازه مهما كانت التّكاليف" على حدّ قوله[٥٠].

فما المبرّرات والدّواعي التي قدّمها الدنقزلي لحمل فرنسا على إنجاز المشروع المذكور، وما كلفته والاعتمادات التي يتطلّبها؟

لقد برّر الدنقزلي ضرورة إنجاز المستشفى المشار إليه بأسباب عدة، منها[٥١]:

- ما هو بشري وإنساني: إذ بإمكانه تقديم خدمات صحيّة ليس فقط لحجيج شمال إفريقيا، وإنّما كذلك لأهالي البلاد المحتاجين لعون طبّي.

---

(٤٩) المصدر السابق.

(٥٠) المصدر السابق:

A 276 bis - 15, Dinguizli, B., “Rapport sur le pèlerinage...”, doc. no2, 47 p., p.25.

(٥١) المصدر السابق، ص٢.

- وما هو سياسي بدعوى أنّ هولاندا ومصر وقوى أخرى أوجدت لها في كلّ من مكّة وجدّة مؤسّسات من هذا القبيل لخدمة مصالحها، وهي - على حدّ قول الدكتور الدنقزلي - "سوابق" تحتّم على فرنسا عدم التّأخّر كثيرا في إنجاز مشروع مماثل، خصوصاً أنّها أوجدت لها تكيّة مهمة "تسمّى دار فرانسا" مخصّصة لرعاياها الشّمال إفريقيين[٥٢].

وتبعا لتلك الأسباب كلّفت الإدارة العامّة للدّاخليّة بعد اتّفاقها مع المقيم العام الفرنسي الدّكتور الدنقزلي بمناسبة حجّ ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ) بدراسة إمكانية تركيز مستشفى فرنسي دائم في مكّة بالذّات، وهو الهدف الأساس من مهمتّه، كما أوضح ذلك الأمر الصّادر عن المدير العام للداخليّة بتونس عندما أوكل إليه مسؤوليّة الإشراف على المصلحة لحجيج ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ)[٥٣].

لقد أكّد الدنقزلي كما سبقت الإشارة - خلافاً لما كان يروّج له على حسب رأيه المناوئون لفرنسا - أن هذه الأخيرة تتمتع بين أهالي مكة بميولات جنينيّة نحوها وجب تطويرها "بكلّ ثمن"، معتقداً أنّ أفضل وسيلة مناسبة لذلك تتمثّل - على حسب تقديره - في تركيز مستشفى دائم في مكّة، سيكون - في صورة إنجازه - ليس فقط وسيلة ناجعة للدّعاية المؤثّرة لصالح فرنسا في البلاد، وإنّما كذلك ضروريّا لحجّاج المغرب العربي وخاصّة لأهالي مكّة؛ فالحجّاج سيستفيدون

(٥٢) المصدر السابق.

(٥٣) المصدر السابق، ص١٤.

من خدماته أثناء تواجدهم في موسم الحجّ، كما أنّه سيكون خاصّة أفضل وسيلة لكسب قلوب السكّان، ويزيد - بالتّالي - في حظوة فرنسا في تلك الرّبوع[٥٤]؛ ذلك أنّ "السياسة الإسلاميّة" لفرنسا - على حدّ قول الدكتور الدنقزلي - تحتّم عليها "مهما كان الثمن" إنجاز المشروع الذي لا يمكن - وفق تقديره - أن تكون أهميّته وضروريّته محلّ أيّ نقاش[٥٥].

ومساهمة منه في إكساب المشروع المذكور واقعيّة تجعله سهل التنفيذ وممكن الإنجاز أوضح الدّنقزلي العديد من جوانبه:

ففيما يتعلّق بالمقرّ أوضح أن المستشفى يتطلّب: قاعة بمثابة مكتب لعيادة الطّبيب، قاعتين للانتظار: واحدة للرّجال، وأخرى للنّساء، قاعة مخصّصة للصيدليّة، قاعة خامسة تركّز داخلها الأدوات والآلات الضّروريّة للتدخّلات الاستعجاليّة؛ بمعنى أنّها غرفة عمليّات، إضافة إلى قاعة أخرى صغيرة محاذية للغرفة المذكورة تستعمل في التّضميد[٥٦].

لقد أوضح الدّكتور الدّنقزلي أنّه بالإمكان تركيز المستشفى في أحد أجنحة الطّابق الأرضي لتكيّة فرنسا في مكّة، موضّحا أنّه قام مصاحبًا المسؤول الأوّل عليها بزيارة ميدانيّة إليها جعلته يقتنع بأنّ ذلك ممكن وهي صيغة من شأنها ألاّ تجعل المشروع باهظ التّكاليف[٥٧].

---

(٥٤) المصدر السابق، ص٢١-٢٢.

(٥٥) المصدر السابق، ص٢٥.

(٥٦) المصدر السابق، ص٢٧.

(٥٧) المصدر السابق.

وفيما يتعلّق بالأثاث أوضح الدنقزلي أنّه يتطلّب بعض المصاريف التي قدّرها على النّحو الآتي(٥٨):

- أثاث مكتب الطّبيب بـ ١,٤٠٠ فرنك.
- أثاث قاعتي الانتظار بـ ٤٠٠ فرنك.
- أثاث غرفة العمليّات بـ ٥,٤٨٠ فرنك.
- أثاث قاعة التّضميد بـ ٧٥٠ فرنك.
- أثاث الصيدليّة بـ ١,٠٧٥ فرنك، الجملة ٩,١٠٥ فرنك.

لقد أوضح الدنقزلي أنّ الخطوة الأولى لانطلاقة المشروع لا يجب أن تكون عملاقة؛ إذ يمكن الاكتفاء بما هو موجود، والعمل في الأثناء على التّحسين والتّطوير، مشيراً - في ختام مقترحه إلى أنّ حبّه الكبير لفرنسا ورغبته الجامحة في أن يرى تأثيرها ونفوذها يأخذان انطلاقة كبرى في الجزيرة العربيّة - إلى تأكيده على النّقاط الآتية:

أوضح الدنقزلي أنّ الخطوة الأولى لانطلاقة المشروع لا يجب أن تكون عملاقة

- ضرورة إيجاد مستشفى فرنسي دائم في مكّة.
- إعادة تركيز المستشفى المفتوح في جدّة.
- دراسة إمكانية تركيز مشروع مماثل في المدينة المنوّرة(٥٩).

(٥٨) المصدر السابق، ص٢٨-٢٩.

(٥٩) المصدر نفسه، ص٤٧.

ثانيهما: ضرورة الإسراع بإعادة العمل بتوجيه الصرّة:

سبقت الإشارة إلى أنّ ذلك توقّف منذ ١٩٢٣م (١٣٤١هـ)، كما استحال على جمعيّة الأوقاف تسديد ما تخلّد بذمّتها عن السنوات السابقة، الأمر الذي وتّر نسبيّا العلاقات بين فرنسا والمملكة.

وفي ذلك الوقت وصل الأمر - كما رأينا - ببعض المسؤولين الفرنسيّين ليس فقط إلى التّشكيك في شرعيّة إرسال تلك المبالغ إلى خارج البلاد، وإنّما إلى حدّ اقتراح الانقطاع نهائيّاً عن إرسال الصرّة، بدعوى "أنّه لا فائدة من تفقير تونس لمصلحة ذلك(٦٠)، فإنّ الدّكتور الدنقزلي ألحّ كثيرا على إعادة العمل بذلك التّقليد، مؤكّدا أنّ سمعة فرنسا وصداقتها يمكن اكتسابها إذا ما وقع الرّجوع إلى إرسالها السّنوي للصرّة التي توقّف توجيهها إلى الأماكن المقدّسة منذ سنوات، مضيفا أنّ أعيان المدينة المنوّرة ووجهاءها رجوه تبليغ مطلبهم ذلك إلى باي تونس نفسه، بل وصل بهم الأمر إلى توجيه شكوى في الموضوع إلى ممثّل فرنسا في المملكة وإلى السّلطات الفرنسيّة في تونس(٦١).

لئن كان لانعكاسات الأزمة الاقتصاديّة العالميّة سنة ١٩٢٩م (١٣٤٧هـ) آثارها السيّئة على البلاد التّونسيّة منذ مطلع

---

(60) A.N.T., A276 bis - 3/18, le R.G. à Tunis au Directeur général de l'intérieur, Tunis, le 19/4/1928, doc. n°98.

(٦١) المصدر نفسه:

A276 bis - 2/22 Rapport complémentaire sur le pèlerinage musulman Tunisien de la Mecque de, 1929..., doc. no21,84 p., p.72.

الثّلاثينيات الميلادية (نهاية الأربعينيات الهجرية)؛ إذ تبيّن لنا من خلال الوثائق الأرشيفيّة عزوف التّونسيّين عن الحجّ؛ إذ مرّ عددهم من ٣٩٧ حاجًا سنة ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ)(٦٢) إلى ١٦٨ سنة ١٩٣٣م (١٣٥١هـ)(٦٣)، في حين لم يتجاوز سنة ١٩٣٢م (١٣٥٠هـ) مثلاً أربعة حجاج(٦٤)، الأمر الذي دفع السّلطات إلى عدم تنظيمها الرّسمي للحجّ الجماعي مقابل سماحها بالحجّ الفردي، وهي وضعيّة قد تكون حالت دون العودة إلى العمل بإرسال الصرّة بعد انقطاع توجّه الوفد الرّسمي للحجيج التّونسيّين إلى البقاع المقدّسة في السّنوات الأولى من ثلاثينيات القرن العشرين الميلادية (نهاية الأربعينيات من القرن الرابع عشر الهجري)، وهي المدة التي عرفت فيها البلاد التّونسيّة أوج انعكاسات الأزمة الاقتصادية العالميّة(٦٥).

غير أنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ السّلطات الفرنسيّة عملت بمقترح الدّكتور الدّنقزلي بعودتها إلى إرسال الصرّة التي حملها سنة ١٩٣٦م (١٣٥٤هـ) الحاج عبدالرحمن بن زاكور أحد وكلاء المحكمة الشّرعيّة بتونس(٦٦)، أمّا من حيث مبلغها

(٦٢) المصدر السابق، انظر: A276 bis - 3/27, doc.n°6 .

(٦٣) المصدر السابق، انظر: A276 bis - 3/27, doc. n°181 .

(٦٤) المصدر السابق، انظر: A276 bis - 3/28, les doc. n°103 .

(٦٥) انظر ذلك بتوسّع – مثلا – في:

M'Halla, M.M., La crise de 1929 en Tunisie, Mémoire de Maitrise d'Histoire (dactylographiée), Paris VII, 1974 -1975.

(66) A.N.T., A 276 bis - 3/31, doc. n°63et 71.

فيبدو أنّه لم يتغيّر كثيرا على الأقل إلى حدّ اندلاع الحرب العالميّة الثّانية(٦٧)؛ إذ لم يتجاوز ستين ألف فرنك.

يبدو أنّ الإجراء المذكور كان له كبير الأثر في إذابة بعضٍ من الجليد الذي ميّز في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين الميلادية (نهاية الأربعينيات الهجرية) العلاقات بين السّلط الاستعماريّة في تونس والمملكة العربيّة السّعوديّة؛ إذ وقفنا بعيد المدة الوارد عليها الحديث في هذه المداخلة على بعض علامات الوداد والتّصافي وتبادل الهدايا؛ فإلى جانب توجيهه لمبلغ صدقة أهالي الحرمين مع أمير اللّواء حسن حسني عبدالوهاب صحبة الشّيخ محمود الحشيشة قاضي مدينة صفاقس - بادر باي تونس أحمد باشا (حكم ١٩٢٩ - ١٩٤٢م الموافق ١٣٤٧ - ١٣٦١هـ) إلى توجيه جملة من الهدايا تمثّلت في نياشين إلى الملك عبدالعزيز وبعض أفراد حاشيته، توزّعت عليهم على النّحو الآتي(٦٨):

---

(٦٧) يبدو أنّ مبلغ الصرّة قد ارتفع بعد ذلك حيث بلغ ٥٠٠,٠٠٠ فرنك سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) (انظر، المصدر السابق: A276 bis - 3/41, doc. n°59)
ليصل إلى ١,٠٠٠,٠٠٠ فرنك سنة ١٩٥١م (١٣٧١هـ)
(انظر، المصدر السابق: A276 bis - 3/45, doc. n°311)
وليظلّ كذلك بالنّسبة إلى سنوات:
١٩٥٢م (١٣٧٢هـ)، (انظر، المصدر السابق: A276 bis - 3/47, doc. n°486)
و١٩٥٣م (١٣٧٣هـ)، (انظر، المصدر السابق: A276 bis - 3/48, doc. n°265)
و١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، (المصدر السابق، انظر: A276 bis - 3/49, doc. n°254)

(٦٨) انظر، المصدر السابق: الملحق رقم٢ A276 bis - 3/38, doc. n°4.

نوع النّيشان	الطّرف الموجّه إليه النّيشان
العهد	الملك عبدالعزيز
الصنف الأكبر من نيشان الافتخار	- ولي العهد الأمير سعود - الأمير فيصل
الصنف الأوّل من نيشان الافتخار	- عبدالله السليمان وزير الماليّة - يوسف ياسين مدير الشعبة السياسية
الصّنف الثّاني من نيشان الافتخار	- محمد مهدي باي مدير الأمن العام بالحجاز - إبراهيم بن معمّر، قائمقام جدة - جميل داود، رئيس مصلحة بالشؤون الخارجيّة - حسين باي العويني - محمد باي زينبريزا قنصل تشيكوزلوفاكيا بالمملكة العربيّة السعوديّة
الصنف الثالث من نيشان الافتخار	- محسن الطيّب قائد الجيش السعودي

لقد أثنى جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل - رحمه الله - على مبادرة باي تونس بتفضّله بفتح باب الصّلات بين البلدين ببعثه "للصّدقة السنوية لأهل الحرمين..."، مؤكّدا على ما لكلّ ذلك من بعيد الأثر في تمتين أواصر الأخوّة.

وممّا جاء في رسالته إلى باي تونس قوله: "فقد كان لما تفضّلتم به من آيات المودّة والإخاء أحسن الأثر وأجمله، وأرجو أن يتأكّد سموكم أنّ سرورنا يكبر ويعظم كلّما رأينا

حبل المودّة بيننا يتوثّق، وابتهاجنا يزداد حينما نرى أواصر الأخوّة الإسلاميّة تظهر بيننا وتتألّق..."(٦٩).

وفيما يخصّ النّياشين الموجّهة إليه ولوليّ عهده ولنائبه في الحجاز ولبعض رجال دولته شكر الملك باي تونس قائلاً: "وستكون هذه الهدايا... أحسن الذكريات لدينا، ونرجو بهذه المناسبة أن تتقبّلوا هديّة تذكاريّة بسيطة من أخيكم سيفا عربيّا مرصّعا يكون تذكارًا لمكارمكم، وسبباً لحسن الصّلات بيننا وبينكم..."(٧٠).

إنّ ما لفت انتباهنا في الرّسالة المذكورة هي إشارة الملك إلى أحد ثوابت سياسته القائمة أساساً على تدعيم صلات التّواصل والاتّصال بين سائر المسلمين دعما لأواصر الأخوّة الإسلاميّة، وهي معانٍ لم يفتأ جلالته يؤكّد عليها في كلّ خطبة يلقيها بمناسبة استقباله كلّ سنة لرؤساء وفود الحجيج، حتّى إنّ الدكتور الدنقزلي أفرد - في تقريره عن حجّ ١٩٢٩م (١٣٤٧هـ) مثلاً - صفحات عديدة لنصّ خطاب الملك عبدالعزيز حتّى كاد ينقله حرفيّا بتمامه(٧١)، على الرغم

---

(٦٩) المصدر السابق: A276 bis-3/35

رسالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، ملك المملكة العربيّة السعوديّة إلى أحمد باشا باي صاحب المملكة التّونسيّة، بتاريخ ١٤ ذي الحجّة ١٣٥٨هـ الموافق ١٩٣٩/١٢/٢م، وثيقة رقم ٢١، انظر الملحق رقم ٣.

(٧٠) المصدر نفسه، انظر الملحق نفسه.

(71) A.T.N., A276 bis - 22/3, Rapport complémentaire sur le pèlerinage musulman tunisien de la Mecque de ...1929, doc. n°21, 84p., pp. 39-45.

من إشارته هو نفسه إلى أنّ جريدة أمّ القرى نشرت نصّه كاملا في اليوم التالي.

لقد كان لتأكيد الملك على تلك المعاني الأثر السيّئ لدى سلطات الاحتلال الفرنسي في تونس والتي - كما سبقت الإشارة - كانت تحصي على التّونسيّين أثناء رحلة الحجّ حركاتهم وسكناتهم؛ فبالنّسبة إلى موسم حجّ سنة ١٩٣٦م (١٣٥٤هـ) مثلاً غادر الحجيج التّونسيّون البلاد يوم ٩ فبراير (١٧ ذي القعدة)، ليصلوا إلى مكّة في السّادس والعشرين من الشهر نفسه (٤ ذي الحجة)، وقد أقاموا بمكّة من غرّة مارس إلى العاشر منه (٨-١٧ ذي الحجة)، ليتحوّلوا يوم ١١ مارس (١٨ ذي الحجة) إلى المدينة المنوّرة التي مكثوا فيها حتّى ٢١ مارس (٢٨ ذي الحجة).

وكما كان الشّأن بالنّسبة لكلّ سنة كانت لوفود الحجيج مقابلة مع الملك عبدالعزيز الذي أقام على شرفهم مأدبة فاخرة، ألقى على إثرها خطابا دعا فيه المسلمين كافّة إلى التّعاون والتّآزر، وهي نفس المعاني التي ألحّ عليها عند استقباله كلّ وفد على حدة؛ إذ أثار مشكلات السّاعة مبديًا تعاطفه ودعمه للقضيّتين المصريّة والسوريّة، مثنيا على الصداقة بين الحجاز والعراق(٧٢).

أمّا بالنّسبة إلى حجيج شمال إفريقيا فإنّ أغلبهم قد عادوا إلى بلدانهم وكلّهم إعجابٌ وتأثّرٌ بشخصيّة ابن سعود

(٧٢) المصدر السابق:

A 276 bis - 3/31, Note pour le chef du service de la sécurité générale, Tunis, le 4/4/1936, doc. no81, p3.

وإنجازاته، علماً أنه قد استقبل على انفراد عبدالرّحمن بن زاكور مبعوث باي تونس، وحمّله رسالة خطّيّة منه إلى هذا الأخير(٧٣).

لقد كان استياء السلطات الاستعمارية في تونس من حجّ سنة ١٩٣٦م (١٣٥٤هـ) من أمرين بارزين:

أوّلها: إتاحة الموسم المذكور للحجّاج التّونسيّين للالتقاء بإخوانهم من بقيّة أنحاء العالم الإسلامي والذين بحثوا معهم - على حدّ قول التقارير الفرنسيّة - الوضعيّة التي يعيش فيها المسلمون الرّازحون تحت الاستعمار بعد أن تمّ الاعتراف بالاستقلال الدّاخلي لكلّ من المصريّين والعراقيّين، وقد عبّر بقيّة المسلمين التّونسيّين عن تضامنهم معهم ومع بقيّة الشعوب التي مازالت ترزح تحت وطأة الاستعمار الفرنسي والإنجليزي(٧٤)، وبذلك يكون الحجّ مناسبة لوقوف المسلمين على ظروف بعضهم بعضا، وتبادلهم للتّآزر والتّضامن وشحن بعضهم لبعض بمعاني الصّمود والتصدّي طمعا في حصول من تبقّى منهم على حرّيته واستقلاله، وهي معانٍ - حتّى لو كانت على مستوى الشعور والوجدان - توجّستْ منها السّلطات الاستعماريّة، وعدّتها مهدّدة لوجودها.

---

(٧٣) المصدر السابق.

(٧٤) المصدر السابق:

Le Commissaire spécial -chargé du service des renseignements généraux- au chef du service de la sécurité générale, Tunis, le 27/5/1936, doc.no88, p.1.

ثانيهما: استقبال الملك عبدالعزيز لوفود الحجّاج: فقد أبدت سلطات الاحتلال الفرنسي في تونس انزعاجها من التقاء حجّاج مستعمرتها بالملك الذي عبّر لهم عن تعاطفه الكبير معهم، حاثّا لهم على مواصلة الدّفاع عن الدّين الإسلامي واللغة العربيّة في بلادهم(٧٥)، ومحرّضا لهم على الاستمرار في مقاومة لا هوادة فيها من أجل تحرّرهم المادّي والمعنوي في إطار المبادئ الإسلاميّة والتّضامن الرّوحي والأخلاقي بين البلدان الإسلاميّة(٧٦)، علماً أنّ الملك عبدالعزيز وزّع على الحجّاج التّونسيّين - في نهاية لقائه بهم - هدايا كثيرة(٧٧).

لقد رأت سلطات الاستعمار الفرنسي بتونس في ذلك إثارة لمسلمي مستعمرتها، معتقدة أنّ "حجّاجها عادوا متشبّعين بشعور جارف من الوحدة الإسلاميّة، وبرغبة صادقة في العمل من أجل رفع معنويّات مواطنيهم"(٧٨).

(٧٥) عمدت سلطات الاحتلال الفرنسي في تونس سنة ١٩٣١م (١٣٤٩هـ) إلى تنظيم مؤتمر حول اللغة العربيّة، عدّه العديد من الوطنيّين آنذاك موجّها ضدّ هويّة السكّان ولغتهم الأصليّة، علماً أنّ ذلك تزامن في تونس مع إصدار السّلطات الفرنسيّة - في التّاريخ نفسه - للظّهير البربري في المغرب الأقصى، كما عرفت مدينة تونس - من ٧ إلى ١١ مايو ١٩٣٠م ٢٠-٢٤ ذي الحجة ١٣٤٩هـ - تظاهرة مسيحيّة في أبرز شوارعها تمثّلت في انعقاد المؤتمر الأفخارستي، وهي كلّها مؤشّرات رأى فيها التّونسيّون - آنذاك - حملة صليبيّة على دينهم.

(76) A.N.T., A276 bis- 3/22 le Commissaire spécial... . p. 1et 2.

(٧٧) المصدر السابق، ص٢.

(٧٨) المصدر السابق.

إنّ ممّا زاد في تخوّف السّلطات المذكورة من كلّ ذلك هو الظّرفيّة التي كانت عليها البلاد التّونسيّة والمواتية للعمل الوطني فيها، وهو ما من شأنه أن يزيد في تأجّج تلك المشاعر واحتدادها، خصوصًا أنّ العديد من الحجّاج ظلّوا - على حدّ قول السّلطات الاستعماريّة - على علاقة بواسطة الرّسائل مع إخوانهم من المشارقة الذين التقوا بهم في البقاع المقدّسة، وهو ما من شأنه - وفق تقدير السّلطات المذكورة - أن يزيد في حماس التّونسيّين واستماتتهم في مواجهة الاستعمار[٧٩].

وبذلك لم يعد الحجّ - بالنّسبة إلى السّلطات الاستعماريّة - مجرّد موسم يؤدّي فيه المسلمون أحد أركان دينهم، وإنّما بالخصوص مناسبة تتجلّى فيها معاني التّآخي والتّآزر والتّضامن بين مختلف روّاد الأماكن المقدّسة، وهي معانٍ كانت حاضرة في كلّ خطب الملك عبدالعزيز وإحدى ثوابت سياسته الإسلاميّة القائمة على دعم المملكة العربيّة السّعوديّة لحركات التحرّر في العالم الإسلامي، وهو ما تجلّى - بالنّسبة إلى البلاد التّونسيّة مثلا - في دعم كلّ من الأميرين فيصل وخالد أثناء زيارتهما لتونس من ١٢ إلى ١٤ ديسمبر ١٩٣٤م (٦-٨ رمضان ١٣٥٣هـ)؛ إذ تأكّد تسلّم الأمير فيصل خلال زيارته لجامع الزّيتونة يوم ١٢ ديسمبر ١٩٣٤م (٦ رمضان ١٣٥٣هـ) رسالة موجّهة من التّونسيّين عامّة ومن علماء جامع الزّيتونة وطلاّبه خاصّة، تولّى عند وصوله إلى القاهرة قادما إليها من تونس - في طريق عودته إلى جدّة -

(٧٩) المصدر السابق.

تسليم مذكّرة مرفقة بعريضة ترجمت إلى الإنجليزيّة إلى السّلطات البريطانيّة هناك(٨٠):

فقد ذكر الأمير فيصل بكلّ صراحة للوزير البريطاني أنّ "التّونسيّين يأملون في أن تبذل بريطانيا والولايات المتّحدة مساعدتها؛ لكي يتحرّروا من الهيمنة الفرنسيّة... سائلاً الوزير المذكور عمّا إذا كانت بلاده ستقف إلى جانب التّونسيّين، متسائلا عمّا إذا كانت الهيمنة الفرنسيّة على تونس ستستمرّ إلى ما لا نهاية له، خصوصاً أنّ هيئة الأمم أعلنت أنّ عالم ما بعد الحرب ستتمكّن فيه الشّعوب من تقرير مصيرها"(٨١).

وبذلك نتبيّن أنّه في الوقت الذي يئس فيه الوطنيّون التّونسيّون من سلطات الاحتلال الفرنسي وأصبحوا فيه في أمسّ الحاجة إلى تدويل قضيّتهم وإلى نصير يسمع صوتهم وسند يدعمهم خارجيّا؛ كان للملكة العربيّة السعوديّة شرف إكساب القضيّة التّونسيّة صدى دوليّا سيزداد اتّساعا على إثر تأسيس كلّ من هيئة الأمم المتّحدة والجامعة العربيّة.

(٨٠) العجيلي، "صدى مجهودات ..."، ص ٢٠٤ و٢٠٥ .

(٨١) المقالة نفسها، ص٢٠٧.

الملاحق

CONFIDENTIEL

ANNEXE à la note du 20 Mars 1929, concernant le Pèlerinage de La Mecque en 1929.

Questions politiques à étudier en Arabie

Le docteur DINGUIZLI, Membre correspondant de l'Académie de Médecine, Officier de la Légion d'Honneur, en raison même de sa qualité de médecin de pèlerinage, peut rendre, au point de vue politique, les plus grands services à la cause de l'influence bienfaisante de la France en Arabie.

Pour cela il est nécessaire de lui permettre d'approcher, sous une apparence officielle, le roi d'Arabie, Ibn Essaoud, avec lequel des conversations réitérées, comme il le fit en 1927 avec l'ex-roi Hussein, permettront d'être fixé d'une manière indéniable sur ses vrais sentiments à l'égard de la nation protectrice et de les rectifier si besoin était.

Il propose au Gouvernement du Protectorat de faire remettre par lui à ce monarque musulman, au nom de S. A. le Bey de Tunis, le Grand Cordon du Nichan Iftikhar.

Cette distinction sera d'autant mieux appréciée qu'elle montrera aux yeux d'Ibn Essaoud que le Bey de Tunis n'est pas un Souverain purement nominal, comme le propagent les ennemis de la France - ennemis qui se rencontrent parmi les indigènes du Hedjaz - puisque S. A. le Bey lui décerne un Ordre officiel.

Une distinction d'un rang moindre pourra être accordée à son représentant à La Mecque.

Il est un usage qu'il serait bon de reprendre et qui consiste dans l'envoi à l'Emir de La Mecque de parfums : essences de jasmin et de roses, puis de [illegible] en ambre gris et de pastilles odorantes que l'on brûle au feu. Ces parfums serviront à asperger l'intérieur du temple de la Caaba, après son nettoyage annuel à l'eau de rose, et les pastilles odorantes à être brûlées dans l'intérieur de ce même temple.

Le docteur DINGUIZLI serait très heureux d'être fixé sur les points divers que le Gouvernement français désirerait voir élucidés, tout spécialement au point de vue politique en Arabie.

A cet effet, il demande à Monsieur le Directeur général de l'Intérieur de bien vouloir provoquer un accord entre la Résidence générale et le Ministère des Affaires Etrangères pour les lui signaler. Il les fera siens et les étudiera sur place avec autant d'ampleur que de sollicitude.

Il en a déjà référé, à titre privé, à M. le Président POINCARÉ avec lequel il entretient des relations particulières./.

ملحق رقم (١)

مهمة الدكتور البشير الدنقزلي في حج ١٩٢٩م

المصدر: ANT A276bis - 3/22 Doc. N°85

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية
إلى حضرة صاحب العظمة والسمو أحمد باشا باي صاحب المملكة التونسية
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تلقينا كتابكم الكريم الفخيم الذي
احتوى على مكارمكم وحسن سجاياكم فقد كان لما تفضلتم به من آيات المودة والاخاء
أحسن الأثر وأجمله وأرجو أن يتأكد سموكم أن سرورنا يكبر ويعظم كلما رأينا
حبل المودة بيننا يتوثق وابتهاجنا يزداد حينما نرى أواصر الأخوة الإسلامية
تظهر بيننا وتتألق ولقد شاء سموكم ان يكون له فضل السبق في هذا المضمار
فتفضلتم في فتح باب هذه الصلات بيننا ببعثكم الصدقة السنوية
لأهل الحرمين على أيدينا وأتبعتم ذلك بمندوبكم الكريم الأعز المنتخب
أمير اللواء الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب رئيس مصلحة الادارة العامة
والبلدية بدولتكم وآزرتموه بالفاضل الزكي الشيخ سي محمود
الحشيشة قاضي مدينة صفاقس وصحبهم الاكرمين الذين حملوا الينا هديتكم
نيشان الأمان كما حملوا هديتكم الكريمة لولي عهدنا ولنائبنا في الحجاز
ولبعض رجال دولتنا وانا نشكر لسموكم هذا السبق في الأفضال
وستكون هذه الهدية الكريمة أحسن الذكريات لدينا ونرجو لهذه
المناسبة أن تقبلوا هدية تذكارية بسيطة من أخيكم سيفاً عربياً
مرصعاً يكون تذكاراً لمكارمكم وسبباً لحسن الصلات بيننا وبينكم
وأرجو أن تقبلوا في الختام تحياتي الفائقة حفظكم الله وأبقاكم
حرر بقصرنا في مكة المكرمة في اليوم الرابع عشر من شهر
ذي الحجة سنة ثمان وخمسين بعد الثلاثمائة والألف

ملحق رقم (٢)

رسالة الملك عبدالعزيز إلى باي تونس

المصدر: ANT A276bis - 3/35 Doc. N°21

LISTE DES DISTINCTIONS HONORIFIQUES ACCORDEES

AU ROI IBN SEOUD ET A SON ENTOURAGE A L'OCCASION DU PELERINAGE A

LA MECQUE

-;-:-:-:-:-:-

L'AHED AU ROI IBN SEOUD

GRAND CORDON DU NICHAN IFTIKHAR	S.A.R. le Prince Séoud S.A. le Prince FAYCAL
GRAND OFFICIER DU NICHAN IFTIKHAR	ABDALLAH AS SILAIMAN Ministre des Finances CHEIKH YOUSSEYASSIN Chef du Cabinet Politique
COMMANDEUR DU NICHAN IFTIKHAR	MOHAMED MAHDHY BEY-Chef de la Sécurité Publique au Hedjaz- IBRAHIM BEN MAAMAR-Kaïm Makam Nedji Gouverneur de Djeddah DJEMIL DAOUD -Chef de service aux Affaires Etrangères- HUSSEIN BEY AOUINI MOHAMED BEY ZAINABRIZA,Conseul de Tchécoslovaquie en Arabie-
OFFICIER DU NICHAN IFTIKHAR	MOHSEN TAYEB Commandant de l'armée séoudienne aide camp du roi.-

ملحق رقم (٣)

المصدر: ANT A276bis - 3/38 Doc. N°4

مرسوم لنائب جدّة جاني بك المملوكي الجركسي مؤرخ بسنة ٨٦٣هـ منقوش بالحرم المكي الشريف

د. محمد بن فهد الفعر
قسم التاريخ والحضارة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى

يعالج هذا البحث نصًا لمرسوم أميري خاص بالأمير جاني بك نائب السلطنة المملوكية بثغر جدة، نقش على عمود رخامي بالزيادة العثمانية بالمسجد الحرام، وقد وردت فيه وظائف وألقاب لهذا الأمير الذي كان يشغل نيابة جدّة، وتقديرات نقدية لمصروفات حددت بالدراهم والدنانير الأشرفية، كما أشار إلى عمارته لمدرسة وجامع بثغر جدّة رتب له إمامًا ومؤذنًا وخطيبًا ووقادًا، كما أورد النص عمارة لمدرسة وبئر بالأبطح بالمعابدة بمكة المكرمة، وكذلك تعمير لعين حنين إحدى عيون مكة المكرمة، وإنشاء دارين بردم سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجهة الشرقية من الحرم المكي الشريف، وأوقف على كل ذلك أوقافًا بالقاهرة.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٨هـ، السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

وقد قام الباحث بقراءة نص المرسوم والتعليق عليه والتعريف بصاحبه، وهو الأمير جاني بك نائب جدّة، وما تقلده من وظائف، وما خلع عليه من ألقاب، ثم تحليل للنص.

التعريف بالنقش:

نقش النص على عمود رخام بالحرم المكي هو العمود الثالث للداخل من باب السلام بالنسبة للمتجه إلى الكعبة المشرفة بالرواق الشرقي بالمسجد الحرام بقياسات (١٨٥) سم ارتفاعًا و(٨٠) سم قطرًا في هيئة دائرية تشغل ثلثي العمود في أربعة عشر سطرًا أسفل زخارف نباتية تقع أسفل تاج العمود الكورنثي [تاج شله لوحة رقم (٣، ٤)].

ويمتاز النص الذي نقش بالقلم النسخ الثلث[١] بوجود زخرفة، وهي ميزة تميزه عن النصوص المنقوشة بالحرم المكي التي قام الباحث بدراستها، ومن ثم نشرها في مرحلتي الماجستير والدكتوراه من نقوش الحرم المكي الشريف[٢].

---

(١) يعادل خط الثلث ثلث خط الطومار، وهو الدرج أو الملف المتخذ من البردي أو الورق، ويتكون من عشرين جزءاً، يلصق بعضها ببعض في وضع أفقي، ثم يلف في هيئة أسطوانية، وكان سدس الدرج يسمى خط الطومار، ومنه تولد الثلث؛ أي ثلث الطومار. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٣، القاهرة، المطبعة الأميرية، ص٥٩ وما بعدها.

(٢) محمد فهد عبدالله الفعر: تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، رسائل جامعية رقم (٢٣)، الطبعة الأولى، نشر مؤسسة تهامة، جدة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م. وانظر للمؤلف نفسه: الكتابات والنقوش في العصرين المملوكي والعثماني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ، تحت الطبع.

نص المرسوم:

[١] بسم الله الرحمن الرحيم أمر المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبيري جاني بك الظاهري.

[٢] الملكي الأشرفي نائب السلطنة الشريفة بثغر جدة المحروس وعين أعيان الأمراء...

[٣] عز الله أنصاره وضاعف اقتداره أن يصرفه من ريع أوقاف القرى بالقاهرة المحروسة [ما مقداره] ثلاثون ألف درهم.

[٤] [.........] الآن بالديار المصرية لعمارة عين مكة المشرفة المشهورة بعين حنين.

[٥] [صهريج] الغيط بإنشائه بالأبطح بمكة المشرفة يشرب منها [متى أحب] [........] الناظر..

[٦] [..........] إلى بقية الجهات الموقوف عليها مكان الأشرف المشار إليه [قبل] تاريخه في سنة اثنين وخمسين وثمانماية.

[٧] الغيط المذكور ومدرسة بالأبطح [ودرقاعة] ذلك كله بالخشب النقي الجديد المانع أصناف [.....] ولمدرسته المذكورة.

[٨] ومحراب [وخمسة] شبابيك [......] صهريج مياه عظيم وسقاية للواردين والصادرين [........] ولحوض [الماء] لشرب البهائم [........] والسقف المذكور بالغيط المذكور.

[٩] مزارع [وبستان] وأشجار وغير ذلك ورتب لقراءة المصحف الشريف ووقود القناديل بالمدرسة المذكورة وعلى السقاية والصهريج وحوض البهائم [والبقر].

[١٠] في كل عام مائة دينار ذهبًا أشرفيًا خارجًا عما أمر بصرفه لعمارة العين المذكورة [............] وعلى وقف المدرسة المذكورة والجامع الذي أنشأه بجدة المعمورة.

[١١] وقرر فيه خطيبًا وإمامًا ومؤذنًا ووقادًا [وموضعان] [يعرفان] بالخرمانية بجوار المعابدة [.........] ودار بردم سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه [ودارين] [..............].

[١٢] بجدة المعمورة [رسم] [يغني عن تجديدهما] وحصل الناظر بالديار المصرية أن يصرف على ذلك كله [.......] ولو لم يتحصل [جرت] [.........] المذكورة.

[١٣] شيء وصرف الناظر على ذلك من ريع أوقافه ما جرت العادة بصرفه على ذلك وقفًا شرعيًا ابتغاء وجه الله العظيم وطلبًا لثوابه والحسنى بكتابته ورسم ذلك في.

[١٤] تاريخ سنة ثلاث وستين وثمانماية.

التعليق على نص المرسوم:

١ - نقش المرسوم في أربعة عشر سطرًا، بدأ بالبسملة كاملة، ثم الأمر الأميري من السطر الأول.

٢ - احتفظ السطران الأول والثاني بألقاب الأمير جاني بك والممثلة في المقر، الأشرف، العالي، المولوي، الكبيري

[الأميري]، الظاهري، [الملكي الأشرفي]، نائب السلطنة الشريفة بثغر جدة المحروس وعين أعيان الأمراء.

٣ - دعاء للأمير: "عز الله أنصاره"، "وضاعف اقتداره" في السطر الثالث.

٤ - السطر الثالث يحدد مصروف بما مقداره ثلاثون ألف درهم [٣٠٠٠٠] درهم من ريع أوقاف الأمير بالديار المصرية في السطر الرابع أيضاً.

٥ - حدد نوعيات المصارف في السطر من [٤] إلى السطر [٩].

٦ - في السطر العاشر تحديد مبلغ ١٠٠ دينار ذهب أشرفي خارج عن أمر الصرف للعين المذكورة [عين حنين] وعلى وقف المدرسة والجامع بجدة.

٧ - من السطر الحادي عشر رتب خطيباً وإماماً ومؤذناً ووقاداً للجامع والمدرسة.

٨ - تاريخ النقش خصص له سطر [١٤] وهو تاريخ سنة ٨٦٣هـ.

٩ - يفتقد النص لقراءة بعض الكلمات في الأسطر: الأول، والرابع، والخامس والسادس والسابع والثامن والعاشر والحادي عشر والثاني عشر.

١٠ - أمكن قراءة بعض الكلمات في الأسطر: الأول، الثاني، الثالث، الرابع، الخامس، السادس، السابع، الثامن، التاسع، الحادي عشر، والثاني عشر.

صاحب المرسوم:

الأمير جاني بك ولد عام ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م في إحدى بلاد الجركس، وجلب إلى مصر، واشتراه الأمير إسنبغا الطياري وعلَّمه ورباه، وباعه شابًا إلى السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٥٣م)(٣)، وهو أمير قد بلغ ٢٧ عاماً في سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م(٤)، وقد تدرج عند السلطان الظاهر جقمق، وجعله خاصكياً(٥)، وأمَّره في سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م، وولاه نيابة جدة(٦)،

---

(٣) عن السلطان انظر من هذا البحث الهامش رقم (١١) الخاص بأسماء سلاطين المماليك الذين خدمهم جاني بك، وظل نائباً لثغر جدّة في عهودهم، وانظر أيضًا ملحق رقم (١) بنهاية البحث.

(٤) السخاوي: شمس الدين أحمد بن عبدالرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٣، طبع بيروت، ص ص٥٧-٥٨. محمد محمود الجهيني: "الأمير جاني بك نائب جدّة وآثاره المعمارية بالقاهرة"، مجلة كلية الآداب، بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص ص٣٨٩-٣٩٠.

وقد وجد هذا الأمير عناية خاصة من بعض الباحثين الغربيين، مثل ريتشارد مورتيل انظر: Richard Mortel, "Grand Dawadar and Governor of Jedda: The Career of the Fifteenth Century Mamluk Magnate Ganibak al zahiri Arbica, Vol.43, 437-56 (1996).

(٥) الخاصكي: مفرد لأحد أفراد الخاصكية، وهي مجموعة من المماليك السلطانية يطلق عليهم المماليك الجوانية تمييزاً لهم عن المماليك البرانية، انظر: حسن الباشا: الفنون والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٤١٢.

(٦) عن جدّة انظر: ثغر جدة بالبحث، أما النائب فهو من النيابة، وسوف يرد ذكرها بالبحث، والنائب هو من ينوب عن السلطان في حكم المدينة، ويعد السلطان فيها حيث يقوم مقامه في كثير من الأمور والمتعلقات الخاصة بالنيابة. انظر: أحمد عبدالرازق أحمد: "نواب الإسكندرية في كتاب الضوء اللامع"، ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط، المجلد الأول، ١٩٨٢م، ص ص١٢-١٣.

فعظم ونهض فيها حتى صار حاكمًا للحجاز جميعه، وكاتبه ملوك الأقطار من كل جهة(٧).

ويصفه ابن إياس بقوله: "أمَّره فكان أميراً جليلاً في سعة من المال، وكان كثير الخيل والخداع والدهاء في نفسه، سيوساً في أفعاله وأحكامه، كريم النفس، سخي اليد، كان أسمر اللون، قصير القامة جدًا، شايب اللحية، عليه الوقار والسكينة، كان مولعًا بغرس الأشجار وحب الرياض"(٨)، ووصفه السخاوي "بمهارته وحذقه وحسن كلامه وفصاحة عبارته، وهو في مجمله كثير المحاسن والمساوئ"(٩).

قتل في مستهل ذي الحجة سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م عند باب الجامع الناصري بالقلعة، وجهز، وصُلِّي عليه عند باب القلعة، ودفن تربته بالقرافة(١٠).

وقد نجح الأمير جاني بك في تولي نيابة جدة، وحقق لسلاطينه(١١) مكاسب كبيرة، فضلاً عن تزايد ثروته ومكاسبه

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٥، تحقيق إبراهيم علي طرخان، ص٣٦٨، ج١٦، تحقيق محمد فهيم شلتوت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص٣٢٢-٣٢٤.

(٨) ابن إياس (أبوالبركات محمد بن أحمد ت٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣١٣هـ، ج٢، ص ص٤٠٥-٤٠٩.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، بيروت، ص ص ٥٧-٥٨.

(١٠) ابن إياس: المصدر السابق، ج٢، ص ص٤٠٧، ٤٠٨.

(١١) تسلطن عليه: السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)، وابنه السلطان المنصور فخر الدين عثمان (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، والسلطان الأشرف إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦١م)، وابنه =

الشخصية، فكان لذلك أثره في العمارة والتشييد الذي أثرى به الآثار الإسلامية في مصر ومكة المكرمة.

ثغر جُدّة:

جُدّة بالضم والتشديد. والجدة في الأصل الطريقة، والجُدة: الخطة التي في ظهر الخمار عادة تخالف سائر لونه [يعني البيئة أو السجافة التي تحيط بنهاية الثوب أو الأسُل].

وجدة فرضة مكة بينها وبين مكة ثلاث ليال كما حدد ياقوت الحموي عن الزمخشري وعن الحازمي يذكر أن بينهما يومًا وليلة(١٢).

وهي إحدى موانئ الجزيرة العربية في المملكة العربية السعودية تقع على شاطئ البحر الأحمر، كانت تمتد على طول الساحل قدر ميل(١٣)، طولها من جهة المغرب أربع

= السلطان المؤيد شهاب الدين أحمد (٨٦٥هـ/ ١٤٦١م)، والسلطان الظاهر سيف الدين خوشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م)، وهم خمسة سلاطين توالوا على السلطنة وهو نائب على جدّة. عن هؤلاء السلاطين وفتراتهم التاريخية انظر ملحق رقم (١) بنهاية البحث. وانظر أيضاً: زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وآخرين، طبع جامعة القاهرة، ١٩٥١م، ص ص١٦٣-١٦٤، وانظر أيضاً: أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، القاهرة، ص ص١٦٢-١٦٣.

(١٢) ياقوت الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت، ص ص ١١٤-١١٥.

(١٣) الميل: يساوي من الياردات ١٤٦٠ ياردة، والياردة تساوي ٩٠ سم، ويعني ذلك ١٣١٤متراً؛ أي: أن ساحل جدة في ذلك الوقت يعني كيلو متراً و٣١٤ متراً، انظر، فالترهنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، نشر الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص٤٥.

وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة[١٤].

وقد شيّد لها السلطان المملوكي قانصوه الغوري[١٥] سورًا له أبراج[١٦] ذا خمسة أضلاع، ارتفاعه أربعة أمتار، اشتمل على تسعة أبواب لتأمين ثغر جدة من البرتغاليين، وظل السور قائمًا حتى عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م[١٧].

وترجع أهمية ثغر جدة بعد تدهور ميناء عدن الذي كانت تمر به السفن القادمة من الهند[١٨] حتى إن القلقشندي وصفها بأنها محل حط وإقلاع[١٩] السفن؛ مما يقف دليلاً على آلية الحركة التجارية داخل هذا الثغر الذي كان يجلب للدولة المملوكية الرسوم الجمركية والمكوس المفروضة على السفن، مما جعل السلاطين المماليك يهتمون بهذا الثغر، ويولون عليه نائبًا عن السلطنة شريطة الولاء، وقد أطلق على

---

(١٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص١١٤.

(١٥) السلطان الأشرف قانصوه الغوري: هو السلطان الثالث والعشرون في سلسلة سلاطين المماليك الجراكسة (البرجية في مصر تولى آخر رمضان سنة ٩٠٦هـ إلى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ - ١٥١٦م)، انظر ملحق رقم (١).

(١٦) دائرة معارف البستاني، مج٦، بيروت، ١٨٨٣م.

(١٧) محمد سعيد فارسي وحمزة إبراهيم عامر: "جدة القديمة والحديثة"، أبحاث ندوة المدينة العربية وخصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١م، ص١٨٣.

(١٨) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص١٣٩.

(١٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ ص٢٥٨.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٨هـ، السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

هذا النائب لقب "ناظر جدة"، وكان أول من تولاَّه بصفته ناظرًا الكاتب سعد الدين إبراهيم بن المرة، الذي عمر بها جامعًا[٢٠].

وإذا لم يحظ الوالي أو النائب أو الناظر برضا السلطان لقلة عطائه وتهاونه في جني المكوس وجددها للسلطان أو الاستئثار بها لنفسه يتعرض للعزل أو مصادرة الأموال، وربما للنفي كما حدث في زمن السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢١-١٤٣٧م)[٢١].

ويلحظ أن الأمير جاني بك استطاع أن يدير هذا الثغر باقتدار؛ مما كان له أثره في نفسية السلاطين الذين أبقوا عليه نائبًا لجدة.

وظائفه:

شغل الأمير جاني بك وظائف عدة، كما خُلع عليه كثير من الألقاب تظهر هذه الوظائف والألقاب من خلال النصوص والنقوش الكتابية[٢٢]، وأيضًا من خلال ما ورد بوثيقة بيع

---

(٢٠) السيد عبدالعزيز سالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م، ص٣٥.

(٢١) عن هذا السلطان، انظر: الملحق رقم (١) بنهاية البحث، وانظر أيضاً حكيم أمين عبدالسيد، قيام دولة المماليك الثانية، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ص٩٥.

(٢٢) انظر نص الوثيقة، سطر (١-٢)، وانظر أيضاً ما نشره Van Berchem من كتابات خاصة بمجموعة جاني بك المعمارية بشارع القادرية بالقاهرة:

Moteraux Pourm Corpus In Scriptionum ArabiCarum, Memories del In Stitut, Francisd' Archologie Qriental, Egypt. I, Paris, 1903 P.411-412.

منسوبة للأمير جاني بك مؤرخة بسنة ٨٦٤هـ[٢٣]، أو ما أوردته المصادر التاريخية[٢٤]، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: نائب جدة

من الوظائف المهمة في العصر المملوكي؛ نظراً لأهمية ميناء جدة بالنسبة للدولة المملوكية، وقد أشرنا إلى ذلك أيضًا[٢٥].

وقد وردت هذه الوظيفة ضمن الكتابات التذكارية[٢٦] بصيغة "نائب السلطنة الشريفة" و"نائب السلطنة الشريفة بالأقطار الحجازية"، "مسبوقة باسم جاني بك"، بينما وردت بوثيقة البيع "السيفي جاني بك نائب جدة"[٢٧]، ووردت بالسطر ٢٧ من الوثيقة نفسها بـ "السيفي جاني بك أحد الأمراء المقدمين بالديار المصرية ونائب السلطنة الشريفة بجدة المعمورة"[٢٨]. أما المصادر التاريخية فورد بـ "نائب جدة"[٢٩].

---

(٢٣) انظر نص الوثيقة، سطر (١-٢).

(٢٤) وثيقة رقم ١٢٢ محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، سطر (٢١-٢٧).

(٢٥) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٥، ص٣٦٨، ج١٦، ص٣٠، وانظر: السخاوي: الضوء اللامع ج٣، ص٥٧، وانظر أيضاً: ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص ص٣٨٠-٣٨١.

(٢٦) انظر نص الوثيقة، سطر (٢).

(٢٧) الوثيقة المشار إليها سابقًا، سطر (٢).

(٢٨) الوثيقة المشار إليها سابقًا، سطر ٢١.

(٢٩) الوثيقة المشار إليها سابقًا، سطر ٢٧.

وقد استمر جاني بك أميرًا على جدّة حوالي ثمان سنوات من سنة ٨٤٩هـ إلى سنة ٨٥٧هـ (١٤٤٥-١٤٥٣م)، وقدم عليه من السلاطين خمسة سلاطين من الدولة الجركسية[٣٠]، وذلك لما حظي به لدى سلاطينه من مهارة وذكاء ومهابة ووقار وسياسة ورجاحة عقل وقوة نفوذ؛ فنهض بما لم ينهض به غيره من الأمراء[٣١]، واستطاع أن يحقق أرباحًا طائلة عاد بها إلى السلطان مما زاده حظوة عنده[٣٢].

وخلع جاني بك عن نيابة جدة سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، وتولاها الخاصكي المعروف برصاص[٣٣]، وولي هو الاستادارية كما سيرد، والدوادارية كدوادار كبير عام ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م[٣٤].

ثانياً: الاستادارية

وليها "جاني بك" سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م[٣٥] في عهد السلطان المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق[٣٦]، وتعذر بشغله هذه الوظيفة توجهه إلى جدة. أما عن لقب الاستادار؛ فيذكر الباشا[٣٧] أن لفظ "دار" يدخل في تكوين بعض ألقاب

---

(٣٠) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٥، ص٣٦٨.

(٣١) انظر ملحق رقم (١) بنهاية البحث.

(٣٢) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٥، ص٣٦٩.

(٣٣) السخاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٥٧.

(٣٤) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٦، ص٣٠.

(٣٥) ابن إياس، المصدر السابق، ج٢، ص ص٣٨٠-٣٨١، وانظر: الجهيني، المرجع السابق، ص ص٤٩١-٤٩٢.

(٣٦) السخاوي، الضوء، ج٣، ص٥٧.

(٣٧) انظر الملحق رقم (١) بنهاية البحث.

الوظائف في الدولة الإسلامية لا سيما في عصر المماليك، ويعد مشتقًا من المصدر الفارسي "داشتن" بمعنى التملك أو التصرف أو الضبط، ويختلف بعض المؤلفين المحدثين مع القلقشندي من أن لفظ "دار" ليست من الفارسية بقدر كونها من اللفظة العربية بمعنى القصر أو المحلة، وأن اللقب في أصله هو "أستاذ الدار"(٣٨).

وبالتعرض للعرض التاريخي للنقوش التذكارية التي ورد بها اللقب يؤيد الرأي الحديث، ففي نص تذكاري خاص بخان العقبة مؤرخ سنة ٦١٠هـ يرد اللقب كاسم لوظيفة أبي منصور أيبك(٣٩). وورد اللقب نفسه في نص تذكاري مؤرخ بسنة ٦٣٠هـ في المسجد الجامع في صلخد(٤٠). وورد أيضًا بقلب حرف الذال إلى حرف الدال "أستاد الدار" لوظيفة الأمير سلار في نقش تذكاري بمدرسة الأمير سلار سنة ٧٠٣هـ(٤١). وفي سنة ٧٤٠هـ جاء اللقب "أستاذ الدار العالية" بصفته لقبًا لوظيفة الأمير أقبغا في مدرسته(٤٢). ونلحظه بصيغة "أستادار العالية" بصفته لقبًا لوظيفة الأمير سيف الدين جرجي الملكي الناصري على إناء من الزجاج محفوظ بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن(٤٣).

---

(٣٨) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٧٨م، ص٢٨٤.

(٣٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٥٧، وانظر أيضاً:
Van Berchem, Corpus, Egyte, Vol.1, P.158-159, 186-188, 762.

(40) Repertoire, Vol. 10,nd - 3720.

(41) Repertoire, Vol. 11,nd -4049.

(42) Van Berchem, Corpus, Egypte Vol, L, nd - 107.

(43) Ibid - Vol.nd -127.

وقد استشهد الباشا بهذه النصوص من خلال تطور اللقب من "أستاذ الدار" إلى "استدار" للترجيح على كينونته العربية وأصله على ذلك[٤٤]، وهو رأي يعد له قيمة في تفسير كلمة "أستاذ" التي حددها المقريزي[٤٥]، ووردت لفظة "استادار" بما أورده محمد مصطفى زيادة عند تحقيقه كتاب السلوك.

واستمر جاني بك في وظيفة الاستادارية حتى ولي الأشرف سيف الدين إينال السلطنة (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦١م)[٤٦]؛ فأعفي منها، واستمر نائبًا لجدة؛ وهي ما يعني أن شغله هذه الوظيفة كان لبضعة أشهر، وبعزله منها وعودته لنيابة جدة وظيفته الأولى يقف دليلاً على ثقة السلطنة المملوكية فيه، على الرغم من ثرائه من هذه الوظيفة. ولم ترد هذه الوظيفة ضمن الكتابات التذكارية أو الوثائقية رغم أنها دونت عام ٨٦٤هـ[٤٧]، وربما أن قصر مدة وظيفته فيها حدا بجاني بك عدم تسجيلها ضمن نصوصه التذكارية.

ثالثاً: أحد الأمراء المقدمين

وردت هذه الوظيفة في وثيقة البيع[٤٨]، ولم ترد في أي من النصوص التذكارية أو المصادر التاريخية.

---

(44) Wiet, Lampes. P. 162.

(٤٥) حسن الباشا، الألقاب، ص٢٨٥.

(٤٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ج١، ط القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص٧٩٤ حاشية (١).

(٤٧) الجهيني، المرجع السابق، ص٤٩٢.

(٤٨) الوثيقة، سطر ٢٧، وهو قيادة مئة فارس وقت السلم، وألف فارس وقت الحرب.

والمقدم يعني القائد، وهو لقب فخري لم يستعمل إلا بعد إضافة ياء النسب إليه فيرد "المقدمي"، وكان يطلق على مقدمي الألوف من الأمراء في عصر المماليك[٤٩]. وقد دخل هذا اللقب في تكوين بعض الألقاب المركبة مثل "مقدم الجيوش" و"مقدم العرب"[٥٠]. وقد يكون اللقب قد ارتبط بالأمير "جاني بك" كونه من الطبقة العسكرية لاتخاذه لقب السيفي ضمن الألقاب الخاصة به كما سنجد ذلك واضحًا عند تعرضنا لألقاب الأمير جاني بك.

رابعاً: الدوادارية الكبرى

وظيفة تتألف من مقطعين: "الدار" التي سبق أن تعرضنا لها في الوظيفة الثانية "الاستادارية"، وأصلها الفارسي أو العربي[٥١]. وكلمة دواة التي تعني صاحب أو ممسك الدواة أو الموكل بها. وقد تعرض المقريزي[٥٢] لهذه الوظيفة، فذكر أن الدوادار كان يقوم بالإشراف على الشؤون الكتابية للسلطان؛ فكان يشترك مع كاتب السر وأمير جاندار في تقديم البريد إليه، وكان من مهمته أيضاً عرض الصور النهائية من المكاتبات الرسمية على السلطان لتوقيعها. والأمير جاندار كان يقوم بمهام الحجابة في القصر، ويدير أمر حراسته في حالة خروجه كما كان يوكل إليه الإشراف على الزرد خاناه،

(٤٩) القلقشندي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٩.

(٥٠) حسن الباشا، الألقاب، ص ص ٤٨٧-٤٨٨.

(٥١) انظر ما تقدم من حديثنا عن الاستادارية في هذا البحث.

(٥٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٢، وانظر، حسن الباشا، الألقاب، ص٢٨٤، هامش رقم (٤).

وهو أخطر المتعلقات إليه وتنفيذ أوامره بخصوص مكافأة الأمراء أو التخلص منهم، فضلاً عن ذلك كان يشترك مع "الدوادار" وكاتب السِّر "في تقديم البريد للسلطان"[٥٣]، وهي من الوظائف التي يشغلها العسكريون[٥٤]، وقد أسندت هذه الوظيفة للأمير جاني بك في عهد السلطان الظاهر سيف الدين خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م)[٥٥]، وذلك في رمضان من عام ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م[٥٦]، ويدل ذلك على ثقة السلطان بالأمير جاني بك بعد نجاحه في موقعه بصفته نائبًا للسلطنة في جدة، وكان رنكه عبارة عن داوة[٥٧].

> **أسندت الدوادارية الكبرى للأمير جاني بك، ويدل ذلك على ثقة السلطان بالأمير بعد نجاحه نائبا للسلطنة في جدة**

وقد وردت هذه الوظيفة في المصادر التاريخية[٥٨]، كما وردت ضمن النصوص التذكارية التي وجدت في قُبَّتِه الملحقة بمدرسته بالقادرية بالقاهرة[٥٩].

---

(٥٣) حسن الباشا، الألقاب، ص١٠٦، هامش رقم (٢).

(٥٤) حسن الباشا، الفنون والوظائف على الآثار العربية، ج٢، ص ص١٥٩، ٥٣٥.

(٥٥) انظر ملحق (١) بنهاية البحث.

(٥٦) ابن إياس، المصدر السابق، ج٢، ص ص٣٨٠-٣٨١.

(٥٧) يقصد بالرنك، الشعار الذي يتخذ ليدل على وظيفة، وقد عرف على نطاق واسع في العصر المملوكي، ولمعرفة المزيد من التفاصيل، انظر: أحمد عبدالرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة المصرية التاريخية، مج٢، عام ١٩٧٤م، ص ص٦٩، ٩٢.

(٥٨) ابن إياس، المصدر السابق، ج٢، ص ص٣٨٠-٣٨١.

(59) Van-Berchem, op. Cit, Vol. Ind, P. 284 - 444

الجهيني، المرجع السابق، ص ص٤٩٣-٤٩٤.

خامساً: مدبر المملكة

والمدبر هو الذي ينظر في الأمر ويتقصى عاقبته. وقد استعمل لقبًا وظيفيًا منفرداً أو في حالة الإضافة إلى ياء النسب "المدبري"[٦٠]، أو لقبًا مركبًا مضافًا إلى السلطنة أو المملكة أو الجيوش أو المماليك أو الدولة أو أمور السلطنة والسلطة للوزراء ومن في معناهم من كتاب السر وغيرهم[٦١].

وظهرت الوظيفة على الآثار الإسلامية بصيغة مدبر الممالك الإسلامية ومدبر الممالك الشريفة الإسلامية[٦٢]. ووردت بالمصادر التاريخية بصيغة مدبر المملكة[٦٣] للإشارة إلى مملكة مصر وما يليها من بلاد تحت الحكم المملوكي. وهذه الوظيفة لم يرد ذكرها ضمن الكتابات التذكارية، ووردت بالمصادر التاريخية[٦٤].

وأطلقت على جاني بك بعد أن أسند إليه السلطان الظاهر خشقدم منصب دوادار كبير، وفي ذلك تذكر تلك المصادر أنه "صار مدبِّر المملكة، وصاحب حلها وعقدها، ومحط الرحال، وزادت عظمته، وشاع ذكره، وبعد صيته في الآفاق، وكاتبه الملوك من كل جهة وقطر. وقد لازم وظيفة الدوادار الكبير

(٦٠) حسن الباشا، الألقاب، ص ص٤٦٥-٤٦٦.

(٦١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص ص ٢٧، ٦٩.

(٦٢) حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج٣، ص ص١٠٤٣-١٠٤٤.

(٦٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ص٣٢٢ -٣٢٤. وانظر: السخاوي: الضوء، ج٣، ص٥٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ص٤٠٨-٤٠٩.

(٦٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ص٣٢٢-٣٢٤.

منصبه كنائب لجدة وصاحب الفضل في اعتلاء السلطان الظاهر خشقدم دست الملك والسلطنة"[٦٥].

ألقابه:

تلقب جاني بك بألقاب وصل عددها ستة عشر لقباً، وردت ضمن النصوص الكتابية التذكارية والنصوص الوثائقية والتاريخية، بعضها من ألقاب الأصول، والكثير منها من ألقاب الفروع، ومنها ألقاب النسب للسلاطين، وهذه الألقاب هي:

[أ] **المجلس:**

ويعني في اللغة موضع الجلوس، وقد استعير للإشارة إلى شخص الجالس تعظيماً له عن التعبير عنه باسمه. وصار اللفظ عند كتاب المماليك أحد الألقاب الأصول التي ترد في سلسلة الألقاب، وتتفرع عليها باقي الصفات.

وظهر اللقب في أيام بني بويه[٦٦]، ويحدد ابن شيث أنه في بدايته كان يختص بالسلطان في العصر السلجوقي[٦٧]، وأطلق على السلطان سنجر قبل منتصف القرن السادس

(٦٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٠٩. السخاوي، الضوء، ج٣، ص٥٨. الجهيني، المرجع السابق، ص ص٣٩٤-٣٩٥.

(٦٦) حكم بني بويه في الفترة من ٣٢٠ - ٤٤٧هـ/ ٩٣٢-١٠٥٥م. زامباور، معجم الأنساب، ج١، ص ص٦٥-٦٦. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية، ج١، ص ص٢٨٧-٢٩٢.

(٦٧) حكم السلاجقة في الفترة من ٤٣٢-٧٠٨هـ/ ١٠٤٠ - ١٣٠٨م. زامباور، معجم الأنساب، ج١، ص٣٣٣. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية، ج١، ص ص ١٣١، ٣٢٥.

الهجري[٦٨]. وأطلق على عماد الدين زنكي في الدولة الزنكية[٦٩]. وفي الدولة الفاطمية[٧٠] أطلق اللقب على العذراء من أمراء الجيوش كونهم كانوا بمثابة السلاطين[٧١]. وفي عصر الدولة الأيوبية[٧٢] شاع استعمال اللقب الذي لم يكن من ألقاب السلطان وحده بل استعمل إلى جانب ذلك للأمراء الأيوبيين والوزراء.

وخوطب بلقب "المجلس" وزراء الخلافة العباسية[٧٣] حيث أطلق على وزير بغداد في كتاب خاص بالقاضي الفاضل عن صلاح الدين يلتمس التقليد سنة ٥٦٧هـ بعد القضاء على الخلافة الفاطمية[٧٤].

وتوسع في استعمال اللقب؛ فأطلق في أواخر العصر الأيوبي على كبار الأمراء؛ مما أدى إلى اتضاعه دون مقام

---

(٦٨) أبو الحارث سنجر بن ملكشاه، كان لقبه الأول ناصر الدين، حكم فيما بين سنتي ٥١١-٥٥٢هـ/ ١١١٧-١١٥٧م.

(٦٩) الدولة الزنكية حكمت فيما بين سنتي ٥٢١-٦٣١هـ/ ١١٢٧-١٢٣٧م. زامباور، معجم الأنساب، ج١، ص٣٤١.

(٧٠) الدولة الفاطمية حكمت فيما بين سنتي ٣٤٧ - ٥٦٧هـ/ ٩٥٩ - ١١٧٩م، انظر: زامباور، معجم، ج١، ص ص١٤٤-١٤٥. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية، ج١، ص ص١٣١-١٣٥.

(٧١) حسن الباشا، الألقاب، ص ص٤٥٥ - ٤٥٦.

(٧٢) حكمت الدولة الأيوبية فيما بين سنتي ٥٦٩ - ٦٨٩هـ/ ١١٧٤ - ١١٩٣م. انظر: زامباور، معجم الأنساب، ج١، ص ص١٥٠-١٥١. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية، ج١، ص ص١٣٩-١٤٢، ١٥٨.

(٧٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص١٩٨، ج٧، ص٢٣. حسن الباشا، الألقاب، ص ص٤٥٥-٤٥٦.

(٧٤) أبوشامة: (شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل) الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، القاهرة، ١٢٨٧هـ، ص١٩٥.

السلطان[٧٥]. وتضعضع اللقب في عصر المماليك حتى أصبح أدنى الألقاب الأصول في درجته، وإن كان أكثرها شيوعاً عند الكتـاب، وربما يرجع اتضـاع اللقب في عـدم ظهـوره في النقـوش الآثارية النادرة؛ إذ إن الآثار تعمل في العادة باسم كبار رجال الدولة ذوي الألقاب العالية[٧٦].

وأقدم نقش آثاري يحمل هذا اللقب هو نص تذكاري باسم المجلس الرفيع الشيخ الإمام محمد بن محمد بن عمر الكاساني بتاريخ سنة ٦٠٨هـ من طشقند[٧٧]، ثم أطلق لقب "المجلس" مرتبطاً بلقب "العالي" على السلطان أبي الفتح طغرل في نص تذكاري بتاريخ سنة ٦٤٠هـ[٧٨].

وأطلق على القاضي الأجل محمد بن الأشيتي عبدالله بن عمر بن علي بن أبي الوفا الأشيتي المديني[٧٩].

وقد أطلق اللقب مرتبطاً "بالكبير"؛ أي: "المجلس الكبير" على جمال الدين الدمياطي ابن الشيخ بدر في نص تذكاري بتاريخ ٦٧٢هـ في أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس[٨٠].

وقد تناول الكتـاب في عصـر المماليك لقب "المجلس" بالتصنيف والتبويب إذا لم تحدد درجاته وأقسامه وفروعه؛

---

(٧٥) المقريزي، السلوك، ج١، ص ص٣٥٦-٣٥٧.

(٧٦) حسن الباشا، الألقاب، ص ص٤٥٦-٤٥٧.

(77) Repertoire, Vol, 10, no. 3701.

(78) Repertoire, Vol, 11, no. 4215.

(79) Repertoire, Vol, 11, no. 4383.

(80) Repertoire, Vol, 12, no. 4673.

فقد يأتي مفرداً أو ملحقاً بصفات نادرة "كالزعيم"[٨١] أو "الكبير"[٨٢] أو بصفات معروفة "كالعالي"[٨٣] أو "السامي"[٨٤]، ولم يكن الفرق بينها واضحاً أو محدداً، بل كثيراً ما كان يستعمل أحدها لسلطان أو لأحد القضاة[٨٥] من غير تعريف.

وانقسم اللقب إلى درجات عدة في عصر المماليك[٨٦]، أعلاها "المجلس العاليّ" بتشديد الياء مع الدعاء، ثم "المجلس العاليّ" بالتشديد بغير الدعاء، ثم "المجلس الساميّ" بالياء المشددة، ثم "المجلس الساميْ" بياء ساكنة، ثم "مجلس" مضاف إلى اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة، مثل: "مجلس الأمير" أو "مجلس القاضي" أو "مجلس الشيخ" أو "مجلس الصدر"، وليس أدل على ذلك إلاّ الإتيان باللقب الدال على الوضع مع حذف لفظ "المجلس"، فيقال: "الأمير" و"القاضي" و"الصدر" و"الشيخ". ومن التصنيف السابق يتضح أن لقب "المجلس السامي" حدٌّ فاصل بين الألقاب الأصول، "فالمجلس الساميّ" بالياء المشددة فما فوقه يستلزم ورود فروعه المفردة في صيغة البنية، أما "المجلس السامي بياء ساكنة فتأتي فروعه بالصيغة المجددة. هذا وقد ألحق كل من الألقاب السابقة بفروع معينة تتناسب مع الوظائف والطوائف

---

(81) Repertoire, Vol, 10, no. 3701.

(82) Repertoire, Vol, 12, no. 182.

(٨٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص٨٥.

(٨٤) حسن الباشا، الألقاب، ص ص٤٥٧-٤٥٨.

(٨٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٨، ص٨٥.

(٨٦) حسن الباشا، الألقاب، ص ٤٥٨.

الخاصة به، فأطلق "المجلس العالي" مع الدعاء على بعض الموظفين والطوائف، ومنهم أمير مكة وأمير المدينة(٨٧) والوزير بالشام والملك في الأجانب وناظر الخاص وكاتب السر وناظر الجيش وناظر الدولة وكاتب سر الشام ونائب الكرك(٨٨)، وكان الرسم له وفروعه كما ورد في كتاب أمير مكة "أدام الله نعمة المجلس العالي"(٨٩).

[ب] **العالي:**

وقد ارتبط لقب المجلس بلقب فرعي هو العالي، وكانت مرتبته أعلى من لقب (السامي) الذي كان يشترك معه في وصف "المجلس"، فيقال: "المجلس العالي"(٩٠)، ويأتي مضافاً إلى ياء النسب "العالي"، وكان من اللازم أن تكون جميع الألقاب المفردة اللاحقة مضافة إلى ياء النسب كذلك.

وهو من الألقاب التي تجري مجرى التشريف، فكان في عصر المماليك البحرية(٩١) يطلق على النائب الكافل، أو النواب بالممالك الشامية، فإذا كان الأمر صادراً عن نائب السلطنة كان يكتب ما صورته بالإشارة العالية الكافلية الفلانية

---

(٨٧) ابن فضل الله العمري: (شهاب الدين أحمد)، التعريف بالمصطلح الشريف، طبعة القاهرة، ص ص١٩-٢٠، وانظر: حسن الباشا: الألقاب، ص٤٥٨.

(٨٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص١٣٩.

(٨٩) حسن الباشا، الألقاب، ص ص٤٥٨-٤٥٩.

(٩٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص ص١١٥-١١٦.

(٩١) عن المماليك البحرية انظر: سامح عبدالرحمن فهمي، الوحدات النقدية المملوكية، الكتاب الجامعي رقم ١٨، جدة، نشر تهامة، ص٤٩١.

أعلاها الله تعالى(٩٢). وكذلك في حالة التوقيع عن النواب بالممالك الشامية كان الأمر يوصف "بالعالي" لا "بالشريف"، فيقال: "رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الفلاني"(٩٣).

غير أنه في عصر المماليك البرجية(٩٤) استقرت الحال على استعمال "الشريف" و"العالي" لكل من السلطان ونوابه؛ فكان يقال في حال التوقيع عن النائب: "رسم بالأمر الشريف العالي" كما كان يكتب عن السلطان(٩٥).

وكان اللقب يستعمل في مكاتبات السلطان وولاة العهد بالخلافة عن الخليفة، فيكتب "بالإذن العالي المولوي الإمامي النبوي الثلاثي (بلقب الخلافة) أعلاه الله تعالى"(٩٦).

كما كان يوصف به أمر السلطان إذا كان الوزير يكتب على المراسم ونحوها "امتثل الأمر العالي"(٩٧).

وكان اللقب يأتي على صيغة التفضيل "الأعلى" ضمن ألقاب ملوك المغرب حسب عاداتهم في التفضيل من الصفات في التلقيب كـ [الأرفع](٩٨).

---

(٩٢) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص٩٠، وانظر: الباشا، الألقاب، ص٣٩١.

(٩٣) الباشا، الألقاب، ص٣٩١.

(٩٤) عن المماليك البرجية، انظر الملحق رقم (١) بنهاية البحث.

(٩٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص٢٨٣.

(٩٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٥٢.

(٩٧) المصدر نفسه، ج٦، ص١٨٨.

(٩٨) المصدر نفسه، ج٦، ص٩. وانظر: حسن الباشا، الألقاب، ص ص٣٩١-٣٩٢.

[ج] **المقر:**

من الألقاب الأصول في عصر المماليك(٩٩)، وهو في اللغة يعني الموضع والاستقرار، ويستعار به في المكاتبات للإشارة إلى صاحب المكان تعظيماً له عن التطلع باسمه.

وكان يرد في المرتبة التنازلية للقب "المقام"، وقد ورد في المكاتبات "المقر الأشرف" للسلطان مثله في ذلك مثل "المقام العالي"، وقد ظل هذا اللقب من اختصاص السلطان حتى أواخر القرن السابع، وأطلق "المقر العالي"، على المنصور قلاوون في العهد إليه بالسلطنة سنة ٦٧٨هـ(١٠٠)، غير أنه لم يستمر في مكانته الرفيعة حيث انخفض مركزه إلى كبار الأمراء، ولكنه قبل اتخاذ السلطان قلاوون لهذا اللقب ظهر لنا في نص تذكاري لسبيل سيف الدين سلطمش بدمشق(١٠١).

ظل هذا اللقب "المقر الأشرف" من اختصاص السلطان حتى أواخر القرن السابع

وأطلق لقب "المقر الكريم العالي" على الأمير الكبير بدر الدين بيسري الظاهري في نقش على مبخرة من النحاس من مصر بالمتحف البريطاني(١٠٢).

وفي سنة ٦٧٧هـ أطلق لقب "المقر الأشرف العالي" على الأمير بدر الدين محمد بن بركة الظاهري في نص تذكاري لمسجده في جمادى الآخرة سنة ٦٦٩هـ(١٠٣).

---

(٩٩) حسن الباشا، الألقاب، ص٤٨٩.

(١٠٠) القلقشندي، المصدر السابق، ج١٠، ص ص٧، ١١٦-١١٨.

(101) Van Berchem, op. Cit-Vol. Ip.183. Repertoire, Vol,12,no 4715.

(102) Van Berchem, op.cit Vol, I, p.80.

(103) Repertoire, Vol, 12, No. 4760.

وأطلق هذا اللقب أيضًا على سيف الدين بكتمر الجوكندار في مسجد الصالح طلائع على لوح خشبي وضِع أعلى عتب المنبر الخشبي بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٦٩٩هـ حيث لقب بلقب "المقر العالي"(١٠٤).

ويقر القلقشندي أن اللقب نُزل به من ألقاب السلاطين إلى كبار الأمراء والأعيان والوزراء من العسكريين، واستعمل في المكاتبات الرسمية والمستخدم للمدنيين من الوزراء والكتاب في المكاتبات غير الرسمية(١٠٥)، وذلك في القرن الثامن الهجري.

أما في القرن التاسع فقد أجاز القلقشندي(١٠٦) استعمال اللقب لأصحاب الوظائف الدينية والمشايخ الصوفية وأهل الصلاح في المكاتبات غير الرسمية بالإضافة إلى استعمالاته في القرن السابق.

وقد أطلق اللقب على سيف الدين قوصون في مسجد في نقش مؤرخ بسنة ٧٢٧هـ(١٠٧)، وأطلق على سيف الدين أرغون الناصري نائب السلطنة المعظمة في نص على مشكاة بتاريخ سنة ٧٢٧هـ بمجموعة موروت(١٠٨).

وأطلق على الأمير الكبير قيسون الملكي الناصري في نص على شمعدان كبير من البرونز مؤرخ بسنة ٧٣٠هـ من

(104) Van Berchem, Vol.1. No 47.

(١٠٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٩٤، ج٦، ص ص١٢٧-١٤٨.

(١٠٦) المصدر نفسه، ج٦، ص ص١٥٤-١٦١.

(107) VanBerchem, op, Cit, Vol, I, nd, 127.

(108) Wiet, Lampes et boutelles, p. 159.

مدرسة السلطان حسن محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة(١٠٩).

وأطلق اللقب على الأمير سيف الدين آلماس أمير حاجب الملك الناصر في نص مؤرخ بسنة ٧٣٠هـ على إحدى المشكاوات(١١٠).

وكما أطلق على سيف الدين أقبغا الأوحدي أستادار العالية في نص تذكاري بتاريخ سنة ٧٣٤هـ في مدرسته(١١١)، واستخدم للأمير بشتك في نص بتاريخ ٧٣٦هـ على قطعة من مشكاة(١١٢)، وأطلق على الأمير أقبغا في نص بتاريخ ٧٤٠هـ في مدرسته(١١٣)، وأطلق على الأمير علاء الدين الطنبغا الساقي الناصري في التاريخ نفسه على قطعة من مشكاة(١١٤)، وأطلق على سيف الدين طقشم الدوادار في نص على إحدى المشكاوات مؤرخة بسنة ٧٤٥هـ(١١٥).

وأطلق اللقب على الأمير سيف الدين صرغطمش رأس نوبة في نص على مشكاة صنعت لمدرسته بالقاهرة بتاريخ ٧٥٦هـ(١١٦)، وورد في نقشين آخرين لذات الأمير بتاريخ شهر

(109) VanBerchem, op Cit, Vol, 1, nd, 469.

(110) Wiet, Lampes, p. 123, nd 3154.

(111) VanBerchem, op. Cit, Vol, 1, nd 183.

(112) Wiet, Lampes, p. 134 nd 4067.

(113) VanBerchem, op, Vol, 1, p. 183.

(114) Wiet, Lampes, p. 132 nd 4065, 5880-5882.

(115) Id. P.71, nd 314.

(116) Yacoub Artin, Lampe en Verre Emaill, p. 160.

ربيع الآخر سنة ٧٥٧هـ في مدرسته(١١٧)، وأطلق على الأمير طلبغا في نص تذكاري بضريحه مؤرخ ٧٦٥هـ(١١٨).

وقد ورد هذا اللقب الخاص "بالمجلس العالي" للأمير جاني بك ضمن وثيقة البيع(١١٩) "... بمعاقدة المجلس العالي الأميري الكبيري القصدي الذخري السيفي جاني بك الأشرفي الكريم نائب جدة"، كما ورد لقب العالي صفة للمقر "الظاهري" في نقش على عضادتي مدخل منشأته بشارع القادرية(١٢٠).

[د] الأميري:

لقب فخري يصف الشخص أو صاحبه بالإمارة تفاخراً، وقد ورد اللقب مرتبطاً بالصفة الخاصة بالكبيري فسوف نذكرهما معاً بعد لقب المولوي.

[هـ] المولوي:

لقب نسبة إلى المولى والمولى هو السلطان أو الملك أو الحاكم أو الوالي، وينسب إليه صاحب اللقب للحصول على قوته من قوة حاكمه فهو يده الباطشة وعينه الباصرة في موقعه لا يعطي أمراً إلاّ مِنْ خلاَل قوة مولاه ووليه وحاكمه. وقد تلقب بهذا اللقب جاني بك في المرسوم في سطره الأول(١٢١).

---

(117) VanBerchem, Vol, 1, neds, 161-162.

(118) I bid, Vol, 1, nd, 175.

(١١٩) الوثيقة رقم ١٢٢ سطر ٢١.

(١٢٠) الجهيني، المرجع السابق، ص٣٩٥.

(١٢١) انظر النص موضوع الدراسة، سطر (١).

[و] الأميري الكبيري:

وقد استعملت النسبة في هذا اللقب كلقب فخري(١٢٢). وأول من لقب به سيف الدين رستم بن علي بن محمد بن مروان الكردي الجلالي في نص تذكاري بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ٥٣٣هـ في مدرسة السادات بدمشق(١٢٣).

وكثر استخدام هذه النسبة من هذا اللقب في عصر المماليك البحرية، واستعمله ابن فضل الله العمري للنائب الكافل من العسكريين(١٢٤)، وللقب الأشراف من المدنيين(١٢٥).

أما في عصر المماليك البرجية فقد عم استخدامه للعسكريين(١٢٦)، ووردت بعض النصوص التي تشتمل على هذه النسبة، فأطلق "الأميري" على "بدر الدين بيبرس الظاهري السعدي الشمسي في نص تذكاري من سنة ٦٧٥هـ على مبخرة من النحاس من مصر "الأميري الكبير"(١٢٧)، وعلى الأمير بشتك في قطعة من مشكاة من سنة ٧٣٦هـ(١٢٨)، تحتوي على نقش بتاريخ شهر المحرم سنة ٧٤٨هـ، وعلى قطونيا

---

(١٢٢) الباشا، الألقاب ص١٨٤.

(123) Wiet, Ganres, Vol, 2, p. 33.

(١٢٤) ابن فضل الله العمري، التعريف، ص٦٦.

(١٢٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص ص١٦٢-١٦٣.

(١٢٦) انظر جدول أسماء المماليك البرجية وفترات حكمهم في ملحق رقم (١) في نهاية البحث.

(١٢٧) القلقشندي، المصدر السابق، ج٦، ص١٠ وانظر:

Repertoire, Vol. 12,nd3 4725.

(128) Wiet, Lompes, nd. 4067, p.134.

ذهب في مدرسة "الأميري الكبيري"، وأطلق على الأمير طنبغا في نص مؤرخ بسنة ٧٦٤-٧٦٨هـ في ضريحه(١٢٩)، وعلى الأمير سيف الدين يلبغا الناصري الأشرفي أمير حاجب الأبواب الشريفة على مشكاة باسمه بعد سنة ٧٧٥هـ(١٣٠).

وأشار القلقشندي(١٣١) إلى ورود اللقب في التقاليد وفي مراسيم الولايات السلطانية، وقد أوردها الديوان السلطاني في طرة التقليد، ثم صار يقتصر في المراسيم على "الأميري" دون "الكبيري".

غير أن لقب الأمير الكبير يعد وحدة لقبية ذات مدلول فخري؛ إذ إنه لم يلحق منذ البداية بوظيفة معينة وإنما كان يطلق على قدامى الأمراء، وقد تفرع عن هذا على اللقب النسبة إليه "الأميري الكبيري"(١٣٢).

هذا الرأي للقلقشندي(١٣٣) حيث يعد "الكبير" لقبًا فرعيًا يأتي في الترتيب السكاني بعد لقب الأمير أو القاضي أو الصدر، فيقال: "المقر العالي الأميري الكبير" أو "المجلس السامي الأمير الكبير"(١٣٤).

---

(129) Van-Berchem, Gorpus, Egyte Vol. IP. 206.

(130) I bid, no. 174.

(١٣١) القلقشندي: المصدر السابق، ج٦، ص١٠، وانظر:

Wiet, LamPes, P. 174.

(١٣٢) الباشا، الألقاب، ص١٨٥، وانظر:

Van-Berchem, Gorpus. Egypt, Vol,1 p. 276, 452.

(١٣٣) القلقشندي، المصدر، السابق، ج١، ص١١٧.

(١٣٤) الباشا، الألقاب، ص ص ١٧٦-١٧٧.

وفضلاً عن ذلك فإن القلقشندي يعد لقب "الأميري الكبيري" أعلى من "الأمير الكبير"؛ ولذلك يلحق اللقب الأول "بالمقر" والثاني "بالمجلس".

وفي عصر المماليك شاعت النسبة؛ فاستعملت في صيغة النسبة، وأطلق على بدر الدين بسيري الظاهري السعيدي الشمسي في نص من سنة ٦٧٥هـ على مبخرة من النحاس من مصر محفوظة بالمتحف البريطاني[١٣٥].

وأطلق على الأمير قطونيا الذهبي في نقش بمدرسته في المحرم سنة ٧٤٨هـ[١٣٦]، وعلى الأمير طنبغا في ضريحه في نقش من سنة ٧٦٤هـ وسنة ٧٦٨هـ؛ وعلى الأمير سيف الدين يلبغا الناصري الأشرفي أمير حاجب بالأبواب الشريفة في نقش على مشكاة[١٣٧].

وقد ورد في النص للأمير جاني بك بالوثيقة بالسطر ٢٦ "اشترى مولانا المقر الأشرف العالي الأميري الكبيري الذخري العضدي النصيري"[١٣٨].

وأطلق على كثير من أمراء المماليك[١٣٩]، واستمر استعماله كذلك لأكابر الأمراء العسكريين حتى أواخر عصر المماليك وأطلق على الأمير جاني بك أمير دوادار الكبير الملكي الظاهري في نقش تذكاري في جامع نائب جدة بتاريخ سنة ٨٦٩هـ[١٤٠].

---

(135) Van Berchem Garpus, Egypte. Vol I, p. 151.

(136) I Bid, Vol. I nd 175.

(١٣٧) الباشا، الألقاب، ص١٨٧. وانظر: .Wiet, Lompes. P. 174

(١٣٨) الوثيقة رقم ١٢٢، سطر٢٦.

(١٣٩) الباشا، الألقاب، ص ص٤٩١-٤٩٤.

(140) Van - Berchem, Gorpuse, Egypte, Vol, I nd 283.

وقد ورد اللقب أيضاً للأمير جاني بك في نص الوثيقة "بالسطر رقم ٢٦"[١٤١] "اشترى مولانا المقر".

[ز] **العضدي:**

وهو لقب نسبه من العضد، والعضد في اللغة الساعد وقد ورد في القرآن الكريم[١٤٢]، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾، واستعمل اللقب ليدل على المعين المساعد لقيامه في المساعدة مقام العضد من الإنسان والنسبة إليه العضدي، وقد وردت ضمن ألقاب الأمير جاني بك بالوثيقة[١٤٣] سطر ٢١ "بمعاقدة المجلس العالي الأميري العضدي الذخري".

[ح] **الذخري:**

لقب للعسكريين في عصر المماليك[١٤٤]، وهو من الذخر؛ أي ما يذخر من النفائس. ويستخدم اللقب النسبة الذخري، أو يلحق بلقب لتكوين الألقاب المركبة كذخر "ذخر الإسلام والمسلمين"، و"ذخر الأمة"، و"ذخر الدولة"، وهو لقب لكبار العسكريين، و"ذخر الغزاة والمجاهدين"، و"ذخر الطالبين"، و"ذخر الملة"، وهو من ألقاب العسكريين، "وذخر الممالك من ألقاب الملوك"، و"ذخر المملكة" و"ذخر الموحدين" من ألقاب كبار العسكريين كالنائب الكافل ونحوه، و"ذخر أمير المؤمنين"،

---

(١٤١) الوثيقة سطر (٢٦).

(١٤٢) سورة الكهف الآية ٥١، وسورة القصص الآية ٣٥.

(١٤٣) الوثيقة سطر (٢١).

(١٤٤) الباشا، الألقاب، ص٢٩٢.

وهو دون لقب "خليل أمير المؤمنين" في مصطلح كتاب الإنشاء في عصر المماليك[١٤٥].

[ط] **السيدي:**

يطلق على الأجلاء من الرجال والسيد في اللغة المالك والزعيم، واصطلح على إطلاقه على أبناء "علي بن أبي طالب"، وكثيراً ما كان يلحق في هذه الحالة "بالشريف"، فيقال: "السيد الشريف"، ولم يقتصر "السيد" على المنتسبين إلى النبي ﷺ، بل أطلق على بعض الولاة والوزراء[١٤٦]، وأطلق على السامانيين وأمراء بخارى وخوقند وخيوة[١٤٧].

ولقب "السيد" يحرف عند العامة إلى "سيدي"، وكان "السيد" يضاف إلى لقب ضمير المتكلم الجمع، فيقال: "سيدنا"، وهو من الألقاب التي تستعمل في مخاطبة أجل رجال السياسة والعلم والدين وخوطب به الخلفاء حتى كاد أن يقتصر عليهم دون غيرهم[١٤٨]، واستعملت النسبة في العصر المملوكي إلى "سيدنا" أو إلى "السيد".

---

(١٤٥) ابن حجر، نزهة الألباب في الألقاب مخطوط بدار الكتب المصرية، مصور على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٧١، ج٦، ورقة ١٤. حسن الباشا: الألقاب، ص٢٦٢.

(١٤٦) حسن الباشا، الألقاب، ص ص٣٤٥-٣٤٦.

(١٤٧) إنستاس ماري الكرملي: النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، المكتبة الثقافية، د. ت، ص١٣٤.

(١٤٨) الباشا، الألقاب، ص ص٣٤٨-٣٤٩.

[ي] السَّنَدِيْ:

من ألقاب النسب وهو نسبة للسند والسند المعتد، وكان يطلق على بعض الغزنويين، إذ وجد على نقودهم(١٤٩).

[ك] السيفي:

نسبة إلى "السيف" ويعني القوة(١٥٠)؛ واجتهد واضعو الألقاب في عصر المماليك ومؤرخوه في العصر الحديث في تصنيفه؛ فذكر القلقشندي أنه خاص بالعسكريين سواء أكانوا من الترك أم من المولدين لرغبتهم في الانتساب إلى القوة والشدة، ويتفق ذلك مع أسماء القواد الترك التي تعني القوة، مثل: يلبغا، ومنكلي بغا، وبي خجا، والمسني خجا، وتغري بردي؛ وأما المولدين فكان يطلق أحيانًا على من يسمى أبا بكر منهم.

غير أن اللقب كاد يقتصر على العسكريين في عصر المماليك البرجية، وقد حصر فان برشم (Van Berchem) ألقاب السلاطين البحرية والبرجية من المماليك ووضعها في جدول جمع فيه الألقاب الخاصة بالسلاطين وأعدادهم، والذين تلقب بها منهم بسيف الدين. كما أن السلطان الظاهر جقمق قد أطلق اللقب في سنة ٨٤٢هـ على كبار موظفيه العسكريين(١٥١). فضلاً عن أن عشرة سلاطين من سبعة

---

(١٤٩) الكرملي، المرجع السابق، ص١٣٢. الباشا، المرجع السابق، ص٣٤٠.

(١٥٠) المرجع نفسه، ص ص٣٤١-٣٤٤.

(١٥١) القلقشندي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٨٨ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٢٥، وانظر أيضًا:

Van-Berchem, Gorpus Egypte, Vol. I, pp. 386-387.

عشر سلطانًا من المماليك البرجية قد تلقبوا بـ "سيف الدين"(١٥٢).

وقد تلقب جاني بك بهذا اللقب ـ أي السيفي ـ في وثيقة "السيفي جاني بك بن عبدالله أحد الأمراء المقدمين بالديار المصرية ونائب السلطنة الشريفة "بجدة المعمورة"(١٥٣).

[ل] **الأشرفي:**

من الأشرف نسباً وهي أفعل التفضيل من "شريف" بمعنى عال، وهو من "الألقاب التوابع" المتفرعة عن "الألقاب الأصول"، وهو أعلاها في عصر المماليك ودونه "الشريف"، ثم "الكريم"، ثم "العالي"، ثم "السامي"، ويعلل هذا الترتيب تعليلاً لغوياً مبنياً على المعنى، فيقال: "أشرف" أرفع من "شريف"؛ لأن "أشرف" أفعل تفضيل كما هو مقرر في علم النحو(١٥٤).

ونظراً لعلو هذا اللقب فإنه يتفرع إلى أعلى "الألقاب الأصول" "المقام" و"المقر"(١٥٥)، وكانا يستعملان للسلاطين ومن يقربهم من الرتبة(١٥٦).

---

(١٥٢) ابن إياس، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥ وانظر، الباشا، الألقاب، ص ص٣٤٤-٣٤٥.

(١٥٣) الوثيقة سطر (٢٧).

(١٥٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٩٨.

(١٥٥) المصدر نفسه، ج٦، ص١١٥، ج١٠ ص١٣٣.

(١٥٦) الباشا: المرجع السابق، ص ص ١٦٠-١٦١.

وقد استعمل بصفته لقباً خاصاً لجماعة من الملوك أولهم موسى بن العادل[١٥٧] ومحمد بن صلاح الدين[١٥٨] وخليل بن قلاوون[١٥٩]، غير أن اللقب أصبح رفيعاً لكثرة تلقب سلاطين المماليك به[١٦٠]. وربما جاء اللقب ضمن ألقاب ملوك المغرب[١٦١] جرياً على عاداتهم في استعمال الألقاب بصيغة أفعل التفضيل. وتلقب به الأمير جاني بك، ونجده ضمن ألقابه في الوثيقة[١٦٢] "الملكي الأشرفي أعز الله تعالى نصره".

[م] **النصيري:**

من ألقاب العسكريين من درجة "المجلس السامي" استخدم في عصر المماليك، وياء النسب نسبة إلى "نصير". وكان يضاف إليه بعض الألفاظ، لتكون ألقابًا مركبة، مثل: "نصير الدين"، و"نصير الحق بالبراهين"[١٦٣].

[ن] **الملكي:**

من لقب "ملك" مضافاً إليه ياء النسبة "الملكي"، واستعمل في عصر المماليك مثله مثل غيره من الألقاب؛ فكان يأتي أحيانًا ضمن ألقاب السلطان أو الملك حين ينسب إليه الأمر

(١٥٧) ابن حجر، المصدر السابق، ج٦، ورقة ١٠.

(١٥٨) أبوشامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ط القاهرة، ١٢٨٧هـ، ص ص ٢٧٦-٢٧٧.

(١٥٩) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص١١٥.

(160) Lane- Poole (s.), The Mohammedan Dynasties, pp. 81-82.

(١٦١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص٨.

(١٦٢) الوثيقة رقم ١٢٢، سطر (٢٨).

(١٦٣) الباشا، الألقاب، ص٥٣٣.

أو غيره إلى السلطان الملك المذكور، وفي هذه الحالة كان اللقب يلحق بالنعت الخاص مضافًا إلى ياء النسب كأن يقال: "رسم بالأمر الشريف السلطاني الملكي"، وكان يأتي في أحيان أخرى بعد اسم الملقب أو وظيفته في النقوش، ثم يتبع بنعت السلطان الخاص مضافاً إلى ياء النسب، وكان في هذه الحالة يشير إلى أن صاحب اللقب من أتباع السلطان المذكور، وأن النص الذي يضم اللقب قد نقش حين كان السلطان قائماً في السلطنة، وذلك بعكس الاكتفاء بذكر النعت الخاص دون لقب "الملكي" يعني ذلك أن السلطان كان على قيد الحياة وقائماً في الحكم أثناء نقش النص(١٦٤). وفي حالة ثالثة كان لقب "الملكي" يذكر تحت جرة البسملة في أول المكاتبات عن السلطان، وكان يلحق به في هذه الحالة النعت الخاص بالسلطان مضافاً إلى ياء النسب(١٦٥).

وقد تلقب به الأمير جاني بك حيث ورد بالوثيقة(١٦٦) ما نصه: "الملكي الأشرفي أعز الله تعالى أنصاره".

[ص] **عين أعيان الأمراء:**

من الألقاب المركبة والعين هي الشيء الرئيس في الوجه وهي أساسه بها تكتمل المعرفة فهي من الحواس المهمة بعدها السمع واللمس. وكان اللقب يضاف إلى كلمات أخرى لتكوين

---

(164) Van - Berchem, GorPuse Egypte. Vol. I, nd 149.

الباشا، الألقاب، ص ص٥٠١ - ٥٠٢.

(١٦٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٢١. الباشا، الألقاب، ص١١١.

(١٦٦) الوثيقة، سطر (٢٨).

اللقب المركب، ويشير المؤرخون إلى لقب "عين القضاة" الذي تلقب به عبدالله بن محمد الحسن الهمداني، الذي قتل في أول المئة السادسة من الهجرة[١٦٧] و"عين المملكة"؛ أي: العين الحارسة للمملكة، "وعين الأعيان" من الألقاب المدنية في عصر المماليك[١٦٨]، وتلقب "بعين أعيان الأمراء" يعني أهم أمير من أمراء السلطان جاني بك في مرسومه المؤرخ سنة ٨٦٣هـ بالحرم المكي الشريف[١٦٩]. ويبدو الاختلاف في تدوين ألقاب الأصول والألقاب الفروع المترتبة عليها اختلاف وظائفه التي تدرج في شلغها.

الإصلاحات التي قام بها صاحب المرسوم الأمير جاني بك بكل من مكة وجدّة ووردت بهذا النص المؤرخ بسنة ٨٦٣هـ:

لا تقتصر أهمية هذا النص على ما أورده من أسماء أو ألقاب ووظائف تقلدها الأمير جاني بك نائب جدة، وإنما تأتي أهميته أيضاً من خلال ما ذكره من إصلاحات وأعمال خيرية قام بها هذا الأمير في كل من مكة المكرمة وجدّة المعمورة على حد تعبير النص، وبمقارنة هذه المعلومات بما أورده المؤرخون نجد ما أورده المؤرخون يعدّ نزراً يسيراً لما ذكر في هذا النص المهم، فالسخاوي يشير في عبارة مقتضبة إلى أن جاني بك قد أنشأ قصراً بالعسيلات بطريق منى وبستاناً

أهمية هذا النص تأتي فيما ذكره من أعمال خيرية قام بها هذا الأمير في مكة وجدّة

(١٦٧) الباشا، الألقاب، ص٤١١.

(١٦٨) ابن حجر، نزهة الألباب، ورقة ٤٣.

(١٦٩) انظر النص موضوع الدراسة، سطر ٢.

وسبيلاً(١٧٠) دون تفصيل، كما يبدو أن السخاوي قد أخطأ في اسم المنطقة التي أقام عليها الأمير جاني بك بعض منشآته الخيرية حين سمّاها العسيلات، بينما حددها النص موضوع الدراسة بكل وضوح بأنها بالأبطح بالمعابدة بأعلى مكة وهي البستان الذي عبّر عنه بلفظ "الغيط" والبئر والصهريج؛ لأن الأبطح من المناطق الرئيسة التي يمر بها الحجاج والمعتمرون أثناء تنقلهم بين المسجد الحرام والمشاعر المقدسة في كل من منى ومزدلفة وعرفات فضلاً عن أن النص قد أوضح الهدف من إنشائها بالأبطح وذلك بقوله: "ليشرب منها الحجاج والمعتمرون وأهل مكة متى أحبوا الارتواء"(١٧١).

ولم يقتصر النص على الإشارة إلى ما سبق، بل أشار إلى إنشاء مدرسة بالأبطح ودرقاعه وبستان وحوض لشرب البهائم؛ أي: أن النص أشار إلى مجموعة متكاملة من الأعمال الخيرية أقامها الأمير جاني بك في مكان واحد بالأبطح بالمعابدة بأعلى مكة(١٧٢)، وهو ما لم يهتم المؤرخون بذكره تفصيلاً، بل إن النص أمدنا بمعلومات أخرى أقامها الأمير جاني بك بأماكن أخرى بمكة، وهي دار أنشأها للأيتام بردم سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١٧٣)، وهي المنطقة التي

---

(١٧٠) الضوء اللامع، ج٣، ص ص٥٧-٥٨، الجهيني....، المرجع السابق، ص ص٣٩٧-٤٠٧.

(١٧١) انظر النص موضوع الدراسة، سطر (٥).

(١٧٢) انظر النص موضوع الدراسة، السطور (٧-٩).

(١٧٣) انظر النص موضوع الدراسة، سطر (١١).

تعرف بالمدعي حالياً، وكذلك عمارته لعين حنين، وإنشاء دارين بجدة ومدرسة وجامع بجدة أيضاً، ورتب للجامع خطيباً وإماماً ومؤذناً ووقاداً[١٧٤]، فضلاً عما أنشأه من أوقاف بمصر يصرف منها على أوقافه بمكة وجدّة[١٧٥].

تحليل النص:

١ - نقش نص مرسوم الأمير جاني بك المؤرخ بسنة ٨٦٣هـ بالخط الثلث الحجازي الجلي.

٢ - يعد هذا النص على درجة كبيرة من الجودة والإتقان سواء في رسم الحروف أو حجمها أو توزيعها بين الأسطر؛ مما يقوم دليلاً على مدى ما بلغه الخطاط المكي من جودة في تنفيذ النصوص الكتابية، خاصة وأنه نقش على عمود من الرخام بطريقة دائرية تعد في الواقع من أصعب طرق التنفيذ مما يجعل الخطاط الحجازي - المكي - على قدم المساواة مع أشهر الخطاطين المصريين الذين بلغ الخط الثلث على أيديهم في مصر غاية الجودة والإتقان.

٣- لم يكتف الخطاط المكي بجودة الخط فحسب بل قام بوضع إطار زخرفي نباتي في غاية الإتقان لتحديد بداية

(١٧٤) انظر النص موضوع الدراسة، السطور (١١-١٣).

(١٧٥) انظر النص موضوع الدراسة، السطرين (١٢-١٣)، وقد سبق أن أشرنا إلى الأعمال الإصلاحية والأوقاف التي أنشأها الأمير جاني بك في كل من الحجاز ومصر، وحظيت بدراسة قام بها د. ريتشارد مورتيل، الذي لم يشر إلى نص هذا المرسوم؛ مما يجعل هذا المرسوم إضافة جديدة لم يذكر المؤرخون ما ورد به من إصلاحات على سبيل التفصيل.

النص ونهايته وهذا هو شأن الخطاط الحجازي وشدة تعلقه وغرامه بالزخرفة.

٤- ربما يقال: إن الخطاط الذي نقش هذا النص هو خطاط مصري استقدمه الأمير جاني بك لتنفيذ هذا المرسوم على أحد أعمدة المسجد الحرام، وهذا الرأي لا يمكن الأخذ به؛ لأن أي خطاط يؤتى به من خارج الحجاز سوف يكون حريصاً على نقش اسمه في أعلى النص أو أسفله تخليداً لذكراه خاصة أنه نقش في أطهر بقعة على وجه الأرض يحرص كل خطاط على تخليد ذكراه فيها وهو ما لم يحدث مطلقاً، رغم كثرة النقوش والكتابات التي نفذت في المسجد الحرام، والتي لم يظهر فيها اسم خطاط غير مكي إلا في نقوش الخليفة المهدي عند إتمامه لعمارة المسجد الحرام سنة ١٦٧هـ وإتيانه بخطاطين من أهل الكوفة حرصوا على ذكر ذلك في نهاية عملهم بعبارتين هما "مما عمل أهل الكوفة" أو عمل "الكوفيين".

أو ما فعله الخطاط التركي عبدالله زهدي حين نفذ أعمالاً كتابية في المسجد النبوي الشريف بالمدينة وبعض الأعمال التي نفذها في مكة (١٧٦).

---

(١٧٦) محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية، الطبعة الثالثة، الطائف، نشر مكتبة المعارف، د. ت، ص٢٤٥. يوسف أحمد، المحمل والحج، ج١، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، ص١٥٧. الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، ص ص ٢٠٦-٢١٠ لوحة رقم ٣٠-٣١. محمد الفعر، الكتابات والنقوش في الحجاز، ص٥١٠.

ملاحق البحث:

ملحق رقم (١)

ثبت بأسماء سلاطين المماليك البرجيّة(*)

[٧٩٢هـ - ٩٢٣هـ/ ١٣٩٠-١٥١٧م]

١ - الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس العثماني اليلبغاوي ٧٩٢هـ/١٩٣٠م، توفي في ١٥ شوال سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م.

٢ - الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق شوال ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م، هو الناصر زين الدين أبو السعادات فرج.

٣ - المنصور عز الدين عبدالعزيز بن برقوق ٢٥ ربيع الأول ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، توفي في ٦ ربيع الثاني سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م.

- فرج، [للمرة الثانية] ٤ جمادى الآخرة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م (اغتيل في دمشق).

٤ - العادل المستعين بالله أبو الفضل العباسي ٨١٥هـ/ ١٤١٢م [الخليفة].

٥ - المؤيد سيف الدين شيخ المحمودي ٨١٥هـ/١٤١٢م [توفي في ١٧ المحرم سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م].

(*) عن هذا الثبت انظر:

زامباور - معجم الأنساب وتاريخ الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ج١، ص١٦٣-١٦٤.

أحمد السعيد سليمان - تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج١، ص ص١٦٢-١٦٣.

٦ - المظفر شهاب الدين أحمد بن المؤيد شيخ ٨٢٤هـ/١٤٢١م.

٧ - الظاهر سيف الدين ططر ٢٩ شعبان ٨٢٤هـ/١٤٢١م.

٨ - الصالح ناصر الدين محمد بن ططر ٤ ذي الحجة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م.

٩ - الأشرف سيف الدين برسباي ٨٢٥هـ/١٤٢٢م.

١٠ - العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م (حكم ٩٤ يوماً).

١١ - الظاهر سيف الدين جقمق [تشقمق] ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م.

١٢ - المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م.

١٣ - الأشرف سيف الدين إينال العلائي الظاهري الأجرود ٤ ربيع الأول ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، توفي في ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م.

١٤ - المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال ١٥ جمادى الأولى ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م (أربعة أشهر).

١٥ - الظاهر سيف الدين خشقدم ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م

١٦ - الظاهر سيف الدين بلباي ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م

١٧ - الظاهر تمربغا ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م

١٨ - الأشرف سيف الدين قايتباي ٨٧٢هـ/١٤٦٧م (توفي في ٢٩ ذي القعدة سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٦م).

١٩ - الناصر ناصر الدين محمد بن قايتباي ذو الحجة ٩٠١هـ/ ١٤٩٦م.

٢٠ - الظاهر قانصوه، تولى في ١٧ ربيع الأول ٩٠٤هـ (١٤٩٨م) وفرّ في ٢٧ ذي القعدة ٩٠٥هـ (١٥٠٠م).

٢١ - الأشرف جانبلاط (اغتيل في ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ) مستهل جمادى الآخرة ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م.

٢٢ - العادل سيف الدين طومان باي (لم يدم حكمه أكثر من مئة يوم) جمادى الآخرة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م.

٢٣ - الأشرف قانصوه الغوري آخر رمضان ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م.

٢٤ - الأشرف طومان باي ٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م (قتله سليم الأول سنة ٩٢٣هـ).

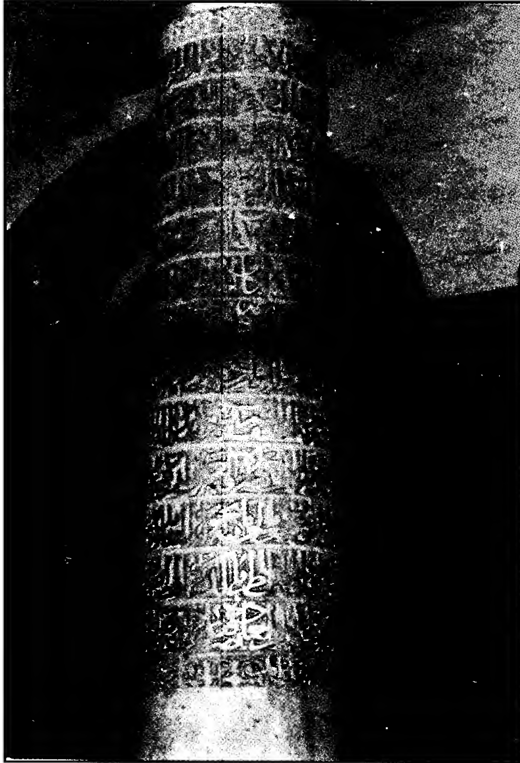
٢٥ - الضم العثماني. ذو الحجة سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م.

كشاف لوحات البحث:

١- اللوحات من [١-٦]:

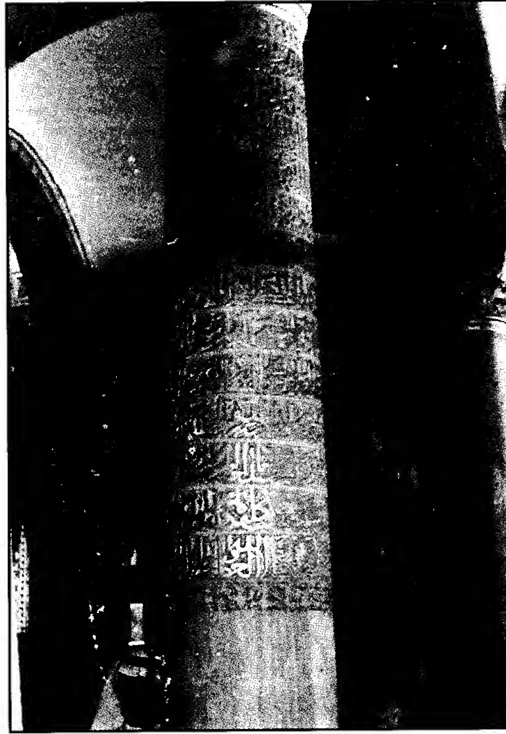
نص مـرسـوم الأمـيـر جـانـي بك على عـمـود من الرخـام بالناحية الشرقية من المسجد الحرام مؤرخ بسنة ٨٦٣هـ.

اللوحات



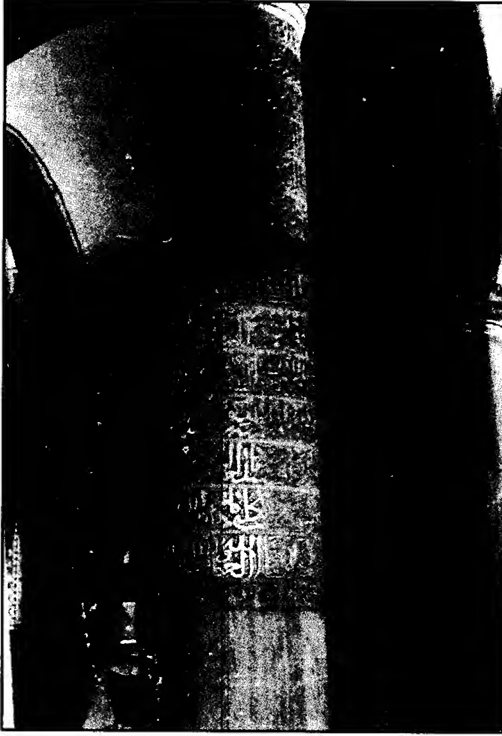
لوحة رقم [١]

الجزء الأول من نص مرسوم الأمير جاني بك على عمود بالحرم المكي الشريف



لوحة رقم [٢]

الجزء الثاني من نص مرسوم الأمير جاني بك على عمود بالحرم المكي الشريف



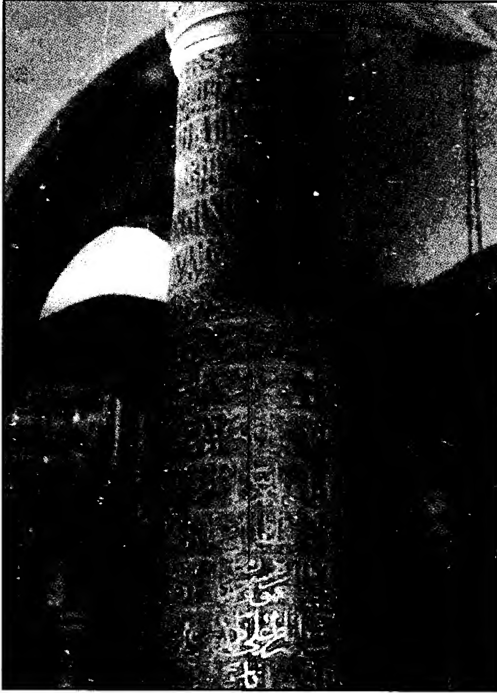
لوحة رقم [٣]

الجزء الثالث من نص مرسوم الأمير جاني بك على عمود بالحرم المكي الشريف



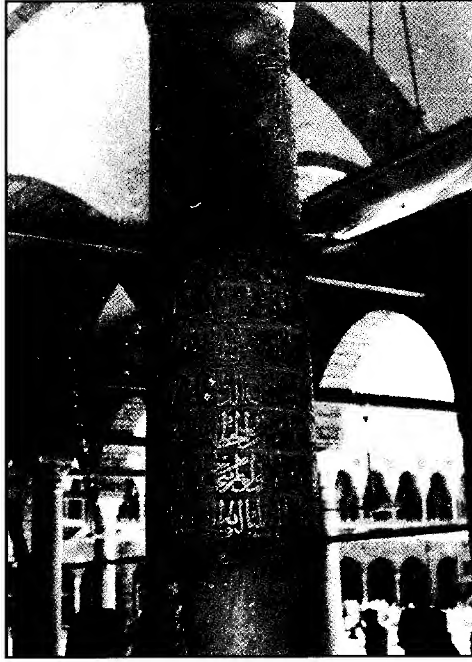
لوحة رقم [٤]

الجزء الرابع من نص مرسوم الأمير جاني بك على عمود بالحرم المكي الشريف، ويلحظ ظهور تاريخ النص في السطر الأخير هنا كاملاً وهو سنة ٨٦٣هـ.



لوحة رقم [٥]

الجزء الخامس من نص مرسوم الأمير جاني بك على عمود بالحرم المكي الشريف



لوحة رقم [٦]

الجزء السادس من نص مرسوم الأمير جاني بك على عمود بالحرم المكي الشريف

تاريخ الدولة السعودية الأولى

وحملات محمد علي على الجزيرة العربية

من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي

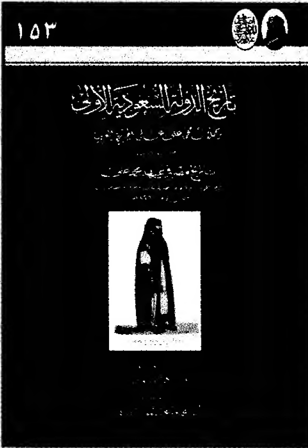
تأليف

فيلكس مانجان

ترجمه وعلق عليه

أ. د. محمد خير محمود البقاعي

٤٩٦ صفحة



يعد كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي للمؤرخ الفرنسي فيلكس مانجان أحد أهم الكتب التي دونت تاريخ تلك الحقبة من الزمن، ولأهمية هذا الكتاب قام أحد الباحثين باستخراج كل ما يتعلق بالدولة السعودية الأولى بصفة خاصة، والجزيرة العربية بصفة عامة، وترجمته إلى اللغة العربية ليكون مضموناً لهذا الكتاب.

وقد تناول الكتاب إضافة إلى الموضوعات التاريخية جوانب دينية، واقتصادية، واجتماعية، للحياة التي كانت سائدة في فترة الدولة السعودية الأولى في نجد والحجاز، ومناطق الجزيرة العربية الأخرى.



نونيّة المثقِّب العبدي في ضوء النمط القديم والمواضع في شرق الجزيرة العربية

د. فضل عمار العماري
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

تسير القصائد الجاهلية وفق أنماط وأساليب ثابتة لا تحيد عنها، فمن ناحية الأطلال، يتحدث الشاعر دائمًا عن منازله في ديار نشأ فيها وعاش، ومن تلك الديار تنطلق دائماً ظعائنه، وهذه حال المثقب في النونية. وتعبّر الأطلال عن نقيضين متباعدين، فبينما تأتي الأطلال في مقدمة القصيدة الجاهلية، فإنها تعبِّر عن إطلالة الشاعر من شيخوخته (أو مواجهته مشاعر الفناء والموت) على ماضيه الأول (صباه وطفولته).

وفي هذا البحث ترتيب لما ذهبت إليه بعض القراءات من نقل مواقع الأطلال إلى العراق، وهذا غير متوافق، وتفسير الظعائن بصفتها رمزاً وحديثاً عن علاقة عمرو بن هند بالشاعر، وهذا غير منسجم أيضاً. كانت ديار عبدالقيس في شرق الجزيرة العربية، وكان للمناذرة نفوذ هناك، وهنا تتكشف كل الوقائع في النونيَّة!

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٨هـ، السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

إن أول ما يشدّ الانتباه في مطولة العبدي أنها خالية من ذكر الأطلال، ولعل هذا يأتي تأييداً لتصنيف يوسف خليف الذي جعل المقدمات أنواعاً هي: المقدمة الطللية - مقدمة الرحيل - المقدمة الخمرية - مقدمة الشيب والشباب(١).

وهناك قصائد خلت من ذكر الأطلال، لعل أشهرها معلقة عمرو بن كلثوم.

غير أن القصيدة تذكر الظعائن، الأمر الذي يستدعي أن تستحضر أية قصيدة جاهلية الأطلال حضوراً حقيقيّاً أو تصوراً. وهذا يؤدي - وفقاً للتركيب النمطي(٢) - إلى أن أطلاله كائنة في شرقي الجزيرة العربية (شرق المملكة العربية السعودية الآن)، وتحديداً فيما بين قطر و"هجر" (الأحساء). ومع أن المعاجم الجغرافية لم تذكر تحديد قوله في موضع آخر:

إذ لم أجد حبلاً له مِرَّة   إذ أنا بين الخَلّ والأوبد(٣)

فإن المفترض أن يكون "الخل" و"الأوبد" موضعان في تلك الجهة من دياره من شرق الأحساء. يقول موضحاً منطقته:

كل يوم كان عنا جللا   غير يوم الحنو في جنبي قطر

---

(١) يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي (القاهرة: دار غريب، ١٩٨١م)، ص ص ١٤٧-١٦٩.

(٢) ديوان الأعشى، تحقيق محمد محمد حسين (القاهرة: مط النموذجية، ١٩٥٠م)، مقدمة المحقق، ص ص ع-ظ. وهذا ما لم يلتفت إليه خليف، المرجع نفسه، ص١٦٠.

(٣) ديوان المثقب العبدي، تحقيق حسن كامل الصيرفي (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص١٧.

ضـــربت دوســـر فــينا ضـــربة أثبـــتت أوتاد ملك مـــســـتــقـــر
صـــبـــحـــتـــا فـــيلق ملمـــومـــة تمنع الأعـقـاب منهن الأخـر(٤)

وإن كانت القبيلة نفسها تمتد حتى "عُمَان"، يقول:

فـإن تك منا في عُـمَـان قـبـيلة تواصت بإجناب وطال عُنودها(٥)

إلا أن المعـتـاد في ذكـر الظعـائن ألا تكون نـائيـة ذلـك النأي عن مسـار الظعائن، أي: أن منطقـة الأطلال ليست في عـمان، وإنما في نواحي شـرق الأحسـاء، حيث تتجـه من هناك الظعـائن نحـو الشـمـال الغـربي، باتجـاه الحـيـرة. وهكذا، جـرت العـادة، واتفقت الأعـراف، وسـارت سُنّة الشـعـراء، سواء كانت المحبوبة من أبناء القـبيلة أو ممن يجـاورنهـا؛ يكون اللقـاء - حقيـقـةً أو تخيـلاً - في حيّز واحـد زمن الصبـا وأوائل الشباب، تعـبر عن ذلك كل رحـلات الظعـائن، رمـز ذلك الزمن البـهيج؛ لاخـتـلاف بين الشـعـراء جميعـاً، وتتحـول المـرأة إلى رمـز لذلك الصـبا وأوائل الشـبـاب، ويصـبـح الحـديث عـن الأطلال وقـوفـاً علـى حـاضـر داثر (المشيب والشيخـوخة)؛ إنه حديث عن زمنـين متبـاعـدين، وفي كل ذلك يتحـدث الشـاعـر عن نفسه. ولا تـخـتلف الطـريقة إلا في الحـديث عن مواضع في الإرث المشـترك كـذكـر مـواطن الحيوان، أو التمثيل بالجبال، أو أماكن الخصب والمياه....إلخ

وسـواء بدأت القـصـيـدة بذكـر الأطلال، أو لم تبـدأ، فـذكـر الظعـائن اسـتـحـضـر هـذا. ومـن ثم، فـهناك بعـد زمني بين

(٤) المصدر السابق، ص ص ٧١-٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٥.

الماضي والحاضر، ذلك الماضي الذي يتسق مع ذكر الأطلال في كل قصيدة جاهلية، أي: هناك زمن قديم، منقطع من عمر الشاعر، يعود إلى سنيّات حياته الأولى، ولا يمكن لأي شاعر نشأ في جو التقاليد والأنماط أن يبتدع خلاف هذا؛ فعندما قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل(٦)

كان يقف على ماض غائر في ذاكرته "ذكرى"، وهو إنما يبكي عليه اليوم، فهو أمس تولّى، وهناك "حبيب" واحد، لا يتعدّد إلا بتعدّد أسمائه، كما تتعدّد المواضع في شعره؛ إنه ذاتُه البعيدة، إنه شبابه، أول صباه، على حد قول سلامة بن جندل:

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب(٧)

وحتى التحديد الزمني بتقارب المسافة الزمنية بين الأمس واليوم، لا يعني شيئاً، إنما هو تحديد يراد به ما يريد به كل الشعراء من ذلك البعد الزمني، يقول النابغة:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل
وقفت بربع الدار قد غيّر البلى معارفها والساريات الهواطل
أسائل عن سعدى وقد مر بعدنا على عرصات الدار سبع كوامل(٨)

---

(٦) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مط دار المعارف، ١٩٥٨م)، ص٨.

(٧) ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة (حلب، مط الأصيل، ط الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، ص٩٠.

(٨) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ط الثانية، ١٩٨٥م)، ص١١٥.

يلتقي هذا مع قوله في قصائد كقوله:

عفا ذو حُسى من فرتنى فالفوارع   فجنبا أريك فالتلاع الدوافع
توهمت آيات لها فعرفتها   لستة أعوام وذا العام سابع

إلا أنه يعود، فيقول:

على حين عاتبت المشيب على الصبا   وقلت ألما أصح والشيب وازع(٩)

فهنا "الصبا"، في مقابل "المشيب"، زمنان لا ينحصران في ست أو سبع من السنين. وهذا ما يفسّره قوله عن طلل آخر:

يا دار مية بالعليا فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأبد

ثم يقول:

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا   أخنى عليها الذي أخنى على لُبَد(١٠)

وهو القول نفسه عن طلل غير هذا:

تأبّد لا ترى إلا صوارا   بمرقوم عليه العهد خال(١١)

"الأبد" و"لبد" و"تأبد": كلها مفردات تعني زمناً أبعد كثيراً من التحديد الزمني المذكور، إلا أنها تلتقي معه في الإشارة إلى زمنين متباينين متنائيين هما: الأول: "الصبا"، والثاني: "المشيب".

---

(٩) المصدر السابق، ص ص ٣٠-٣٢.
(١٠) المصدر نفسه، ص ص ١٤-١٦.
(١١) المصدر نفسه، ص١٤٩.

لقد تعاور الشعراء القدامى جميعاً تشبيه المكان القفر بالكتابة القديمة، أو بالجلود المهترئة، أو الوشم القديم، ثم ربط هذا بأثر عوامل التعرية في المكان، وكل هذا يهدف إلى إيجاد مسافة بعيدة من عمر الشاعر، تعود به إلى أول حياة تلك المواضع، وإلى أول طراوة الكتابة، وإلى جدة الوشم، وهلم جرا، يقول عبدالله بن سلمة الغامدي:

تعاور الشعراء القدامى تشبيه المكان القفر بالكتابة القديمة، أو بالجلود، أو الوشم

لمن الديار بتَولَع فيَبوس ... فبياض رَيطة غير ذات أنيس
أمست بمستن الرياحِ مُفيلة ... كالوشم رُجّع في اليد المنكوس
وكأنما جرُّ الروامس ذيلَها ... في صحنها المعفوّ ذيلُ عروس(١٢)

وقال المرقّش:

هل بالديار أن تجيب صمم ... لو كان رسم ناطقاً كلّم
الدار قفر والرسوم كما ... رقّش في ظهر الأديم قلم(١٣)

إذن، فالعبدي لم يذكر الأطلال حقيقة، ولكنه استحضرها في قصيدته، وهي أطلال ينطبق عليها ما ينطبق على كل الشعر القديم حتى أواخر العصر الأموي. فما قبل الأطلال كان ازدهاراً، وحياة، وسروراً وابتهاجاً، أما الأطلال - وهي أطلال يبصر منها الشاعر أمسه - فهي حاضِرُه.

---

(١٢) المفضل، الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون (القاهرة: دار المعارف، ط الرابعة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، ص ص ١٠٥-١٠٦.

(١٣) المصدر السابق، ص١٣٥.

كان العبدي واحداً من الشعراء الذين لم يبدأوا قصائدهم بذكر الأطلال، غير أن ظعائنه انطلقت منها. والظعائن لا تنطلق من الأطلال اليوم، وإنما تنطلق مع تهدّم المنازل، وتقويض البيوت، أي: مع انقضاء ذلك الزمن الأول، ذلك الزمن الذي يرى فيه الشاعر حاضره، إنه وقت انتقال زمني بين الشباب - كما تتمثّل فيما قبل الأطلال - والمشيب - كما يتمثّل في الأطلال التي لم تكن أطلالاً (خرائب) إلا الآن - في هذا الزمن المتأخر من عمر الشاعر.

وينطبق هذا على كل القصائد التي ذكرت الظعائن، ولم تذكر الأطلال، كما ينطبق على تلك القصائد التي بدأت بذكر الشيب والبكاء على الشباب. على أن العبدي حقيقة كان ملتزماً بذلك التقييد في قصيدته التي يقول فيها:

ألا حيّيا الدار المُحيل رسومها تهيج علينا ما تهيج قديمها
سقى تلك من دار ومن حل ربعها ذهاب الغوادي وبلها ومُديمها(١٤)

انصرف ذهن الشاعر إلى الماضي في قصيدته النونية، وكان ذلك الماضي هو الماضي نفسه الذي ارتبط عند الشعراء القدامى بـ"البين" (الفراق الأبدي)، أي: الموت، إنه تلاشٍ أبدي لمرحلة زاهية من الحياة، أمام رؤية لواقع حل فيه الحاضر محل الماضي؛ يقول:

أفاطم قبل بينك...

(١٤) ديوان المثقب العبدي، ص٢٣٤.

فاطمة ستختفي إلى الأبد، فاطمة التي حملت كل جمال الشباب وحيويته، ويلتقي هذا مع عبارات مشابهة استخدم فيها الشعراء هذه اللفظة أو مشتقاتها، مثل: "بان الخليط"، "بانت سعاد"...[١٥]، وهي ألفاظ ترتبط بالفراق الأبدي، حتى استحضروا الغراب في وسط هذا الجو، فسموه: "غراب البين"؛ "لأنه لا يوجد في موضع خيامهم يتقمم إلا عند مباينتهم لمساكنهم، ومزايلتهم لدُورهم"[١٦].

وكما دلّت كلمة "بين" على ربط بين موضوع ما قبل الأطلال، وما بعد الأطلال، فإن الشاعر يسير على النهج نفسه حين يقول:

فقلت لبعضهن وشُد رحلي   لهاجرة عصبت لها جبيني
لعلك إن صرمت الحبل مني   أكون كذاك مصحبتي قروني

ذكر في بداية القصيدة "فاطمة" وهنا يذكر "بعضهن"، وهذا شيء مألوف في الشعر القديم أن تتعدّد أسماء (المحبوبات)، إلا أنه في واقع (الحب)، ووفق ذلك الارتباط النفسي الإنساني بالمرأة، لا يمكن أن يتعدّد، ولا سيما وقد انعكس الحاضر على الماضي، فكان الماضي شيئاً واحداً،

(١٥) انظر: ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار (القاهرة: مط مصطفى البابي الحلبي، ط أولى، ١٩٥٧م)، ص٨٤، ديوان الشماخ، تحق صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م)، ص٢٧١.

(١٦) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، (القاهرة: مط السعادة، ط ثالثة، د. ت)، ج٣، ص ٤٣٨.

وكان الحاضر شيئاً واحداً أيضاً. إن "بعضهن" لا يخرجن عن "فاطمة" نفسها، إنه هنا:

.... كـذاك مـصـحـبـتـي قـرونـي

وقبلاً هي:

فـإني لو تخـالفني شـمـالي خـلافك مـا وصلت بهـا يميني
إذاً لقطعـتـهـا ولقلت بيني كـذلك أجـتـوي من يجـتـويني

إنه التمسك بالأمس، الذي لا يمكن الانفكاك منه أبداً. وفي هذا يلتقي العبدي مع غيره، فيقول الأعشى في ذكر (الصرم):

أتصـرم ريّا أم تديم وصـالهـا بل الصرم إذ زُمّت بليل جمالها(١٧)

كما يقول:

وأجـمعت صـرمنا سـعدى وهجـرتنا ....(١٨)

ويقول أبو جلدة:

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا وليت وصلا لها من حبلها رجعا(١٩)

ويأتي في معنى (البَتّ)، فيقول النابغة:

فكيف مـزارها إلا بعـقـد مُـمَـرّ ليس ينقـضـه الخَـؤون
فـإن تك قـد نأت ونأيت عنهـا وأصـبح واهيـاً حـبل مـتين

(١٧) ديوان الأعشى، ص ص٨٤-٨٥.

(١٨) المصدر السابق، ص٣٦١.

(١٩) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (بيروت: دار الثقافة، ط الرابعة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ج١١، ص ٢٩٤.

فكل قــــرينة ومَـــقـــرّ إلف مفارقه إلى الشَّحط القرين[٢٠]

ومثل هذه التعبيرات كثيرة في الشعر القديم. وهذا هو الجو العام ليوم الفراق ذاك، مهما قيل فيه، حتى إن العبدي يقول في قصيدة أخرى، مستخدماً الفعل "رَثَّ"، وهو من الأفعال الشائعة في هذا المجال:

ألا إن هنداً أمس رث جـــديدها وضنّت وما كـان المَتـاع يؤودها

كما يتوافق قوله الأول مع قوله في القصيدة نفسها:

فلو أنها من قبل جادت لنا به على العهد إذ تصطادني وأصيدها
ولكنهـــا مما تُمـــيط بودها بشاشة أدنى خُلّة تستفيدها[٢١]

وحتى قوله:

هل عند غــانٍ لفـــؤاد صَـــدِ من نَهلَةٍ في اليــوم أو في غــدِ

هو في "هند" نفسها، حسب الرواية الأخرى[٢٢]، و"غانٍ"، إنما يعني بها (هند) - المرأة - الرمز، أو الواقع في ذلك الزمان الأول، كما قال النابغة:

في إثر غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تُقصِد
غنيت بذلك إذ هُمُ لك جيـــرة منها بعطف رسالةٍ وتودد[٢٣]

(٢٠) ديوان النابغة الذبياني، ص٢١٨.
(٢١) ديوان المثقب العبدي، ص ص ٨٣-٨٥.
(٢٢) المصدر السابق، حاشية ص١١.
(٢٣) ديوان النابغة الذبياني، ص٩٠.

موقف الشاعر وقت الرحيل:

وكذلك، فالعبدي لا يخرج عن النهج المألوف حين يقول:

ظللت أرد العين عن عبراتها إذا نزفت كانت سراعاً جُمومها
كأني أقاسي من سوابق عبرة ومن ليلة قد ضاف صدري همومها
فبت أضم الركبتين إلى الحشا كأني راقي حية أو سليمها(٢٤)

إذ طالما وصف الشعراء حالتهم بصفات شتى منها هذه.

طلب التوقف:

وهكذا، توافقت القصيدة ضمناً مع التقاليد، فبدأت بقوله:

أفاطم قبل بينك متّعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني

وحتى هذا الطلب بالتوقّف ليس غريباً عن تركيبة القصيدة القديمة، فهناك نظائر عدّة لها، وإن لم يأت ذكر للتوقف في قول العبدي، وإنما حمل معناه، فمن ذلك قول الأسود بن يعفر:

أجارتنا غضي من السير أو قفي وإن كنت لما تزمعي البين فأصرفي(٢٥)

وقال طرفة:

قفي ودعينا اليوم يا بنة مالك وعوجي علينا من صدور جمالك
قفي لا يكن هذا تعلة وصلنا لبين ولا ذا حظنا من نوالك(٢٦)

---

(٢٤) ديوان المثقب العبدي، ص٢٣٦.

(٢٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١٨.

(٢٦) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال (دمشق: مط مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٨٦.

وقال النابغة:

قـفـا فـتـبـينا أعُـرَيتات يُوَخّي الحيُّ أم أمّوا لُباحا(٢٧)

وقال عمرو بن كلثوم:

قـفـي قـبل الـتـفـرق يا ظـعـينا نخـبِّـرك اليـقـين وتخـبـرينا

وبعده:

قفي نسألك هل أحدثت صُرما لوشك البين أم خنت الأمـينا(٢٨)

اتجاه الظعائن:

وهنا يسير عمرو بن كلثوم وفق النمط المتداول، في إطار كل حدود الصورة القديمة، فمن حديث عن "البين"، إلى حديث عن "صرم" العلاقة. وتسلك الظعائن طريقاً لا تلتقي فيه مع موضع الظَّعْن، حيث كانت بنو جشم، جماعة ابن كلثوم:

فأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

يصف جبال اليمامة، التي تبدو هكذا في الطبيعة، وقد اجتازتها ظعائن تلك الحبيبة. وربما جاز أن تتخذ هذه رمزاً على مفارقة بكر، القبيلة المعادية، إلا أنها في مادتها ليست إلا الفكرة الأولى، منذ قالها الشاعر الأول المجهول، فتعاورتها

(٢٧) ديوان النابغة الذبياني، ص٢١٣.

(٢٨) أبو زكريا، يحيى بن علي التبريزي، شرح القصائد العشر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة: مط السعادة، ط الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص ص ٣٨٤-٣٨٥

الشعراء يرددونها، ويمكن تحميلها أكثر من توجيه. كما يمكن تحميل قول الحارث بن حلزة، في قصيدته التي قيلت في الموقف نفسه الذي قالها فيها عمرو بن كلثوم، وهي:

آذنتنا ببينها أسماء   رب ثاوٍ يُمل منه الثَّواء
بعد عهد لنا ببرقة شما   ء فأدنى دارها الخلصاء

وبعدهما:

لا أرى من عهدت فيها فأبكي الـ   يوم دلها وما يردّ البكاء[٢٩]

فهنا قصة "حب" أولى، عهد قديم، أصبح الآن منقطعاً، وشاعر يبكي أيامه الأولى فيها، فهل هذه رمز لقطيعة تغلب بكراً، أو هي ذات النمط السابق؟ كلاهما جائز، إلا أنه لا يحتمل معنى الحرب مباشرة في أي من القصيدتين، وفي سواهما، فبعد التأويل يظل في حدود التفسير الشخصي.

ويجري هذا المنوال في قول الفرزدق:

قفي ودعينا يا هنيدُ فإنني   أرى الحي قد شاموا العقيق اليمانيا[٣٠]

وقول يزيد بن ضبة بن سلمى، الشاعر الأموي:

سليمى تلك في العير   قفي أسألك أو سيري
إذا ما بنت لم تأوي   لصب القلب مغمور

---

(٢٩) المصدر السابق، ص ص ٤٣١-٤٣٢.

(٣٠) ديوان الفرزدق، تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي (القاهرة: مط الصاوي، ط الأولى، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م)، ج٢، ص٨٩٥.

وقــــد بانت ولم تعــــهــــد   مـــهـــاة في مـــهـــا حـــور
وفـي الآل حـــمـــول الحـــيـــ   ـي تزهى كـــالمواقـــيـــر
يواريـهـــا وتبـــــدو منــــ   ـه آل كـــالســــمـــادير
وتطفـــو حين تطفـــو فـــيـــ   ـه كـالنخل المواقـيـــر(٣١)

وهنا طلب توقف، والصـورة تحـوي ذلك المنظر المعتـاد في أمثالها.

الظعائن:

إن صـورة ظعائن المثقّب هي صـورة نمطية لما هو شـائع في الشعر الجـاهلي، لا تختلف إلا في طرائق التعبير، ولعل أشهر صـورة قـديمة لهذا هي التي قـدّمها امرؤ القيس في رائيّته، حيث يقول:

بعـيـني ظعـن الحي لما تحـمـلوا   لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا
فـشـبـهـتـهم في الآل لما تحـملوا   حـدائق دوم أو سـفـيناً مـقـيّـرا
أو المكرعات من نخيل ابن يامن   دوين الصفا اللائي يلين المشقرا
سـوامق جَـبّـار أثيث فـروعـه   وعالين قِنوانا من البسر أحمرا
حمـتـه بنو الربداء من آل يامن   بأسـيـافـهم حتى أَقَـرّ وأوقـرا
وأرضى بني الربداء واعتم نبته   وأكـمامـه حتى إذا ما تهصـرا
أطافت به جيـلان عند قطافـه   تردد فيه العين حتى تحيـرا(٣٢)

---

(٣١) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٧٩.

(٣٢) ديوان امرئ القيس، ص ص ٥٦-٥٨.

وعلى كل حال، فاللافت هو حركة المرأة في الظعائن، وهذه أيضاً تجري وفق التقاليد المرسومة، فمن ذلك قول النابغة:

قامت تراءى بين سجفي كلّة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد(٣٣)

وقال الأعشى:

السارقاتِ الطرف من ظعن الحـ ـسيِّ ورقم دونها وكِلَلْ(٣٤)

وقال جرير:

ولقد رمينك حين رحن بأعين ينظرن من خلل الستور سواجي(٣٥)

كما يذكر امرؤ القيس إبراز الشعر، فيقول:

تراءت لنا يوماً بجنب عنيزة وقد حل منها رحلة فقلوص

بأسود ملتف الغدائر وارد ....(٣٦)

أما إبراز العنق، على غرار ما ذكر العبدي، فيقول زهير:

قامت تبدى بذي ضال لتَحزنني ولا محالة أن يَشتاق من عشقا

بجيد مغزلة أدماء خاذلة من الظباء تُراعي شادنا خَرقا(٣٧)

---

(٣٣) ديوان النابغة الذبياني، ص٩٢.

(٣٤) ديوان الأعشى، ص٢٧٥.

(٣٥) ديوان جرير، تحقيق نعمان محمد أمين طه (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م)، ج١، ص١٣٧.

(٣٦) ديوان امرئ القيس، ص ص ١٧٧-١٧٨.

(٣٧) ديوان زهير بن أبي سلمى (القاهرة: مط دار الكتب المصرية، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، ص ص ٣٤-٣٥.

بل قال الأعشى:

يوم أبدت لنا قـتـيلة عن جـيـ ـد تَـلـيـع تَـزيـنـه الأطـواق[٣٨]

وأما فيما يتعلق بإظهار الزينة، فيقول الأعشى:

من كُــراتٍ وطرفــهن سُــجُــوّ نَظَـر الأُدم من ظبـاء الخــريف
خاشعـاتٍ يظهرن أكسـية الخـ ـزّ ويُبطن دونهــا بشُــفــوف
وحـثـن الجـمـال يُسـهكن بالبا غِز والأُرجُوان خَمل القطيف[٣٩]

وقال المرقش:

يهدَلن في الأذان من كل مذهب لـه رَبَـذ يعـيـا بـه كل واصف[٤٠]

وفي صورة جامعة قال قيس بن الخطيم:

تراءت لنا يوم الرحـيل بمقلتي غـرير بملتف من السـدر مفـرد
وجيـد كجيد الرئم صـاف يَزينه توقّـد ياقـوت وفَـصل زبرجَـد
كـأن الثـريا فـوق ثُغـرة نـحـرها توقّد في الظلمـاء أيَّ توقّد[٤١]

وهكذا، نجد صورة للظعائن عند النابغة الشيباني تقول:

دخلن خـدوراً فـوق عـيس كنينةً كما كنست نصف النهار الجآذر
من الهِيف قد رقّت جلودٌ تصونها وأوجـهـهـا قـد رق منهـا المناخـر

---

(٣٨) ديوان الأعشى، ص٢٠٩.
(٣٩) المصدر السابق، ص٣١٣.
(٤٠) الضبي، المفضليات، ص٢١٩. الرَّبَذ: الاضطراب.
(٤١) ديوان النابغة الشيباني (القاهرة: مط دار الكتب المصرية، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ص١٢٥.

تلوث فروعًا كالعثاكيل أينعت عناقيدها وابيض منها المحاجر
كُسين من الألوان لوناً كأنه تهاويل دُرّ يقبل الطيب باهر
عِتاق جوازي الحسن تضحي كأنها ولو لم تصب طيباً لآل عواطر
إذا ما جرى الجاديّ فوق متونها ومسك ذكيّ جففتها المجامر(٤٢)

ويمكن أن نمضي على هذا المنوال، لنجد أن العبدي لم يخرج في شعره كله عن العرف المتبع في الحديث عن المرأة، ووصف الظعينة، والتعبير عما يستشعره من جمال فيها.

طريق الظعائن من هجر (الأحساء) في شرقي الجزيرة العربية (البحرين القديمة) إلى الحيرة بالعراق:

عندما ننظر في خط رحلة الظعائن، نجد أنها تتوافق طبيعياً مع تحرك الظعائن في كل قصيدة قديمة، من مواطن الشاعر نحو جهة معلومة أو غير معلومة، إلا أنها تمر بمواضع يذكرها الشاعر. وهنا نجد المثقب يقول في قصيدته:

لمن ظعن تطلع من ضبيب فما خرجت من الوادي لحين
تبصر هل ترى ظعناً عجالا بجنب الصحصحان إلى الوجين
مررن على شراف فذات هجل ونكّبن الذرائح باليمين
وهن كذاك حين قطعن فَلْجا كأن حدوجهن على سفين

يقول البكري: "ضُبيب: موضع ببلاد عبدالقيس".

(٤٢) المصدر السابق، ص١٣.

وعندما ذكر "شراف" قال، وهو قول كرّره في "الذرانح": "وهذه كلها مواقع في البحرين".

وقال أيضاً: "ذات رَجل: موضع بالبحرين".

وقال كذلك: "الذرانح: موضع بين كاظمة والبحرين".

وقال أيضاً في "رجل"، مشيراً إلى قول المثقب: "ذات رجل: موضع في ديارهم".

إذن، فكل هذه المواضع في البحرين، ما عدا "فلج"، كما قال البكري في "شراف": "وهذه كلها مواقع في البحرين إلا فلجا".

وهذا التحديد هو المتوافق طبيعياً مع تحرك أي ظعائن، غير أن الجاسر رأى غير هذا، فقال عن تحديد البكري، وعلى أساس أن "ضبيب" هو "صميت": "لعل الذي حمل البكري على القول بأنه في بلاد عبدالقيس كون الاسم ورد في شعر المثقب العبدي... وقرن بذكره مواضع منها شراف وذات رجل والذرانح... إن صبيباً يُعرف الآن باسم صميت"(٤٣).

كما قال: "إن فلجا يقع شرق تلك المواضع... شرافاً وصبيباً والرجل، وبلاد البحرين تقع جنوب فلج وشرقه، وتلك

(٤٣) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج٣، ص١٠١٩. مع أن عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد (الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، الدمام، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ط الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٢، ص ٩٢) يقول عن "ضبيب": "ماء تابع لأمارة النعيرية في شعر المثقب العبدي".

المواضع تقع شماله. ولهذا فهي تقع شمال غرب كاظمة بعيدة عن بلاد البحرين"[٤٤].

وعلى هذا الأساس راح يحدد: "صُبيب: منهل يدعى الآن بئر صُميت، يقع جنوب اللَّصَف بما يقارب عشرين كيلاً، وشمال الجيمية بنحو ذلك... يقع في الشمال الغربي من (واقصة) على مسافة بعيدة، ويمر به طريق يمر بواقصة ثم شراف"[٤٥].

وقال: "الرِّجَل: يسمى به الآن شعيب سَبْع رِجَل، تتحدر أعاليه من شرق نوازي الدُّغْم ونفود عقارب، شمال قيصومة فيحان، وشرق السادّة وفروع وادي الخُرّ... ويسير متجهاً صوب الشمال حتى يفيض جنوب الحزول في الروض، غرب لوقة"[٤٦].

أما عن "شراف"، فيقول: "منهل شراف لا يزال معروفاً داخل الحدود العراقية، ويقع شمال واقصة مجاوراً.."[٤٧].

"صبيب" (صميت) في رحلة الظعائن:

أما "صبيب" الذي ينطبق عليه تحديد الجاسر سابقاً، فنجده في قول مضرّس بن ربعي:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن   إذا ملن من قُفٍّ علون رمالا
عوائد يجعلن الصفاة وأهلها   يميناً وأثماد الضبيب شمالا
ليبصرن أجلاداً من الأرض بعدها   تَصيَّفن قُفّاً وارتبعن سِهالا

---

(٤٤) المرجع نفسه، ج٢، ص٧٢٣.

(٤٥) حمد الجاسر، شمال المملكة، (الرياض: دار اليمامة، ط الأولى، ١٩٧٧م)، ج٢، ص ص٧٧٣-٧٧٤.

(٤٦) المرجع السابق، ص٥٦٨.

(٤٧) المرجع نفسه، ص٧١١.

هنا - حقيقة، وهو الوضع الطبيعي - تعود الظعائن إلى مواطنها التي تنطلق منها "عوائد"، فتمر بأطراف الدهناء الغربية والصَّمان، سالكة الطريق من العراق وإليه، أي: طريق زبيدة المعروف، وكانت

تعود الظعائن إلى مواطنها التي تنطلق منها، فتمر بأطراف الدهناء الغربية والصمان

قضت أيام الربيع وأوائل الصيف في شمال الجزيرة العربية فيما بين (الحزول): نواحي "عرعر" حتى ما دون (رفحا)، وتعود الآن أدراجها، متخطية قفاف (الحزول) "قف"، "حزن كلب"، جاعلات "أثماد الضبيب شمالاً": أي: شمال شرق (رفحا)، ثم يعلون مصعدات باتجاه حفر الباطن، فَنَجِّد، وهن يتتبعن الأرض "أجلاداً من الأرض"، وبعد أن "تصيفن قفا وارتبعن سهالا"[(٤٨)].

لقد نقل الجاسر تحرك الظعائن في قصيدة العبدي عكسياً، فبدلا من تحركها من البحرين (في شرق الجزيرة العربية)، كما نص على هذا البكري، وياقوت، ووفقاً لمعطيات القصيدة القديمة، جعلها الجاسر تنتقل من الحيرة باتجاه البحرين؛ لأنها لابد أن تمر بـ"فلج" (وادي الباطن)[(٤٩)]. مع ملاحظة أن ياقوتاً لم يذكر قول المثقب في "شراف". أما

---

(٤٨) شهاب الدين، أبو عبدالله، ياقوت، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، "صبيب"، وانظر: لاستيضاح بعض الأمكنة المذكورة هنا الجاسر، شمال المملكة، ج٣، ص ص٨٨٥، ١٣٤٤.

(٤٩) وانظر: تحديد حمد الجاسر: "الصحصحان: في منطقة الكويت... شمال كاظمة". المنطقة الشرقية (الرياض: مطـ دار اليمامة، ط الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٣، ص٩٦٦، ج٤، ص١٦٤٨.

"الوادي" المذكور في الأبيات: "فما خرجت من الوادي لحين"، فهو وادي الباطن نفسه. وعلى هذا، فإن الظعائن مرّت بغرب الأحساء، متجهة نحو حفر الباطن، وستمر في هذه الحالة بالنعيرية، وما بين القريتين: (العليا) و(السفلى)، فتجتاز وادي الباطن باتجاه الشمال، وفي هذه الحدود تقع "ضبيب"، و"ذات رجل" (أو "ذات هجل")، و"الذرانح"، و"شراف". وبهذا يتوافق خط الرحلة مع توجه المثقب نحو الملك، عمرو بن هند في الحيرة، ولا يكون الخط عكسياً، فيكون هروباً من الملك، واستعلاء عليه؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الشمال الغربي من واقصة، على مسافة بعيدة، وجنوب الحزول، غرب لوقة، لا يقودان إلى "فلج (وادي الباطن) الحيرة - الباطن، بل يقودان إلى طريق زبيدة: الحيرة - مكة، وهذه ليست طريق ظعائن المثقب.

وعلى العموم، فمنطوق كل رحلات الظعائن انطلاقاً من مواطن الشاعر ومحبوبته، وليس ارتداداً، فهذا مخالف أصلاً لمبدأ الرحلة، والهدف منها. ولم يأت في شعر جاهلية أو إسلام عدا ذلك.

والغريب أن رحلة الشاعر من موطنه، كما هي عادة الشعراء، تتوافق مع رحلة الظعائن، كما هي العادة، سواء في غير هذه القصيدة، أو في هذه القصيدة نفسها، حين قال:

إلى عمرو ومن عمرو أتتني ....

عمرو الرمز والواقع:

وعلى أساس من كون عمرو رمزاً[٥٠]، يمكن القول: إن الربط بين مقدمة القصيدة وعمرو بن هند جائز من حيث عبارات البتّ والقطع الواضحة فيها:

فإني لو تخالفني شمالي   خلافك ما وصلت بها يميني
إذاً لقطعتها ولقلت بيني   كذلك اجتوي من يجتويني

وقوله:

لعلك إن صرمت الحبل مني   أكون كذاك مصحبتي قروني

غير أننا سنصطدم بعبارات أخرى، مثل:

أفاطم قبل بينك متعيني   ومنعك ما سألت كأن تبيني

وذلك المنظر البهيج للظعائن الذي يتوافق مع "البين"، حيث لا عودة، ولا رجعة، بيد أنه لا يتوافق مع الإلحاح على الوصل والرغبة في الاستبقاء في خطاب عمرو:

إلى عمرو ومن عمرو أتتني   أخي النجدات والحلم الرصين

---

(٥٠) انظر: محمود الربيعي، قراءة الشعر (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٥م)، ص ص ١٢٨-١٥٤؛ طه حسين، من تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٨م)، ص ص ٤٥١-٤٥٩؛ وقارنه بـ سعد دعبيس، قراءة متعاطفة مع الشعر الجاهلي (القاهرة: مطبعة سيسكو، ط أولى، ١٩٨٩م)، ص ص ١٥٦-١٦٤؛ وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)، ص ص ٢٩٠-٢٩٣؛ ولاسيما موسى ربابعة، قراءة النص الشعري الجاهلي (إربد: مؤسسة حماده ودار الكندي، ١٩٩٨م)، ص ص ٨٣-٩٢.

فـــإمـــا أن تكون أخي بحق   فـأعـرف منك غثي من سـميني
وإلا فـــاطـرحنـي واتـخـــذنـي   عـــدواً أتقـــيك وتتـــقـــيـني

وهذا يتعارض أيضاً مع حالة "الكبرياء" في مقدمة القصيدة، كما فهم الربيعي، وحالة الترجي في خطاب عمرو، على عكس مما فهمه فتوح من حالة الـ"كبرياء" أيضاً.

إن الشاعر القديم - الجاهلي بصفة خاصة - محكوم بالتقاليد الصارمة، فحرية التعبير عنده محدودة، يتصرّف في الألفاظ والعبارات، وفق شخصيته، إلا أنه لا يخرج عن هذا، ليؤسس انبثاقه الخاص به؛ فالمثقب تحدّث عن ماضيه في صورة الظعائن (فاطمة/ بعضهن)، فأفرغ مشاعره هناك، فلما جاء إلى موضوعه، حكى فيه قصته.

ووفق هذا، فإن "فاطمة" - إضافة إلى الظعائن - تمثل المرحلة السعيدة من قصته، أما الحاضر، فهو الجانب المأسوي فيها. ومن ثم، فعمرو حي يرزق، إلا أن صورته تذبل الآن، كما الماضي متجدد في الذاكرة، إلا أن الحاضر باهت متلاشٍ، وأن الأمل في إبقاء العلاقة، كما الأمل في استبقاء الحياة.

بيد أن الاعتراض على هذا الفهم للرمز يأتي من أن التهديد بقطع العلاقة يعني القضاء على الأمل في الحياة، وعندما بانت "فاطمة" / الصبا، ظلت رمزاً للحياة، وعندما تنقطع العلاقة يموت الأمل في الحياة. وهكذا، يضطرب مفهوم الرمز، ويصبح الحديث عن عمرو حديثاً واقعياً، جاء فيه عمرو تتمة للعرف الشعري. ذلك شيء بغيض في الفن

غير أن الشاعر ما دام غير حر في تجربته الإبداعية، يظل أسير الوعي، فيقترب كثيراً من الحقيقة.

وإذا ربطنا بين فاطمة والظعائن و"بعضهن"، على أنها كل واحد، فإنه من اليسير معرفة مخالفة يمينه شماله وتكرار كلمة "البين"، حتى في فعل الأمر: "بيني". لقد أصبح الفراق حتمياً لا مناص منه، إنه يريد عودة الماضي / الصبا، ولكن الصبا لن يعود أبداً، إنه حلم:

فلا تعدي مواعد كاذبات   تمر بها رياح الصيف دوني

لقد رحل الصبا، كما رحلت ظعائن فاطمة بكل محاسنها؛ ولهذا، فهو ما زال متعلقاً بها. إن "لو" لا تقتل الحلم:

فإني لو تخالفني شمالي

والحلم باق في ذلك النداء والطلب: "أفاطم... متعيني.."، كما أن الأمل باق، لا يطفئه الترجي: "لعلك إن صرمت.."، والحلم في أعماق الشعور:

إذ ما فتنه يوماً برهن   يعز عليه لم يرجع بحين

إنه لن ينفك من ذلك الأمس، مهما طال به الزمن. وإنه واقع تحت تأثيرهن:

قواتل كل أشجع مستكين

كانت حياة المثقب عُقماً، بعد حلم، تمثل في حديثه عن ناقته التي بدأت بـ:

فسل الهم...

وإذا كان مثل هذا التعبير يعد لازمة أحياناً، فإن الصورة كلها تعكس مرحلة الرجولة في حياة المثقب، كما تعكس مرحلة المشيب، فرحلته في الحياة يكشفها قوله:

تصك الحالبين بمشفتر   له صوت أبح من الرنين

وقوله:

إذا ما قمت أرحلها بليل   تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيني   أهذا دينه أبداً وديني
أكل الدهر حل وارتحال   أما يبقى علي وما يقيني

إنها أنات، وآهات، وأحزان، وعدم استقرار.

وتكون النتيجة:

فأبقى باطلي والجد منها   كدكان الدرابنة المطين

كما تكون:

كأن نفي ما تنفي يداها   قذاف غريبة بيدي مهيني
تسد بدائم الخطران جثل   خواية فرج مقلات دهين

إنه شعور حاد بالغربة والعزلة، وعدم الجدوى. فهل يصبح عمرو الواقع حلماً؟ رحل الحلم، رحلت فاطمة في ظعائنها، إلا أنهما مستكنان في الذاكرة، يمثلان مرحلة زمنية غبرت، أما "عمرو"، فواقع منفصل، يمثل حاضراً.

تلتقي قصيدة المثقب بقصيدة طرفة بن العبد في خطين متوازيين، فطرفة رحل على ناقة ولود، وقتل ناقة ولودا، ولم

تكن "خولة" هي أخاه، معبدا، ورحل الشعراء الآخرون إلى ممدوحيهم، ولم تكن (محبوباتهم) هن أولئك الممدوحين، فلماذا يكون عمرو (سواء كان هذا، أو أخاه حقيقة) هو فاطمة؟

كان الشعراء الجاهليون خاصة يعبّرون عن ذواتهم بين الأمس واليوم في صورة المرأة والظعائن وما قبل الأطلال، وفي صورة الأطلال، إلا أنهم حين يأتون إلى غرضهم يسقطون حاضرهم عليه.

ربما كانت هناك تفسيرات أخرى ملائمة، غير أننا لا نستطيع أبداً أن نزعم أن عمراً هو "فاطمة". كما أن حالة "الكبرياء" تبدو غير متناسقة مع صوت الأنين الذي يتحشرج فيه.

النمط في قصائد المثقب العبدي الأخرى:

وعلى هذا الأساس، ودون الدخول في مصادمات مع ربط اسم (المحبوبة) بموضوع القصيدة، علينا - كي ندرك هذا - أن نطبق الرمز على قصائد أخرى سوى قصيدته النونية، فيما فيه ذكر عمرو بن هند صراحة.

رأينا المثقب يبدأ نونيته بذكر "فاطمة" والظعائن، ثم يرحل، واصلاً إلى هدفه. وفي قصيدته الرائية ينهج النهج نفسه، فيقول:

هل لهذا القلب سمع أو بصر ... أو تناه عن حبيب يُدّكر
أو لدمع عن سفاه نهية ... تُمترى منه أسابيّ الدِّرر
مُرَمَّلات كسمطي لؤلؤ ... خذلت أخراته فيه مَغَر
إن رأى ظعناً لليلى غدوة ... قد علا الخرماء منهن أُسَر
قد علت من فوقها أنماطها ... وعلى الأحداج رقم كالشَّقر

ومهما اختلف التعبير، فلدينا اسم (محبوبة) هي "ليلى"، وهناك ظعائن، وحسب التصور المطروح هنا، فـ"ليلى" وظعائنها رمز للصبا والشباب الذي رحل، وهو يبكي عليه، فإذا ربطنا هذا حسب التصور الآخر، من أن الاسم المذكور رمز لما يأتي في القصيدة، صادفنا ذكر "عمرو" مرة أخرى:

وإلى عمرو وإن لم آته   تجلب المدحة أو يمضي السفر

واضح الوجه كريم نجره   مَلك السيِّف إلى بطن العُشر

حُجُرِيٌّ.......................   ....

ويمضي في مدحه. فهل هناك علاقة بين "عمرو" و"ليلى"؟ ربما يقال هذا، إن زعمنا أن البكاء في المقدمة هو بكاء من آثار الحرب التي شنها عمرو بن هند على قومه:

صبحتنا فيلق ملمومة   تمنع الأعقاب منهن الأُخر

وفي هذه الحالة نتناسى منظر الظعائن الجميل، لندخل في افتراض يتلوه افتراض. ولا تختلف قصيدته الثالثة عن ذلك الجو، حين يقول:

ألا إن هنداً أمسِ رثّ جديدها   وظنّت وما كان المتاع يؤودها

وفيها وصف رحلته، وفق طريقته الأولى تقريباً، ثم يقول:

وأيقنت إن شاء الإله بأنه   سيبلغني أجلادُها وقصيدها

فإن أبا قابوس عندي بلاؤه   جزاءً بنعمى لا يَحِلُّ كُنودها(٥١)

---

(٥١) ديوان المثقب العبدي، ص ص ٦٢-٧٦. يَحِلُّ: يعني لا يَحِلُّ كفرانها.

وينتهي بقوله:

فأنعم أبيت اللعن إنك أصبحت   لديك لُكيز كهلها ووليدها
وأطلقهم تمشي النساء خلالهم   مفكَّكة وسط الرحال قيودها[٥٢]

فهل نحن هنا أمام قصيدة حربية، بحيث تحولت "هند" إلى "أبا قابوس"، وعمرو في القصائد الثلاث هو نفسه عمرو، أبو قابوس؟

يتضح هذا من قصيدة أخرى بدأت عنده لأول مرة بذكر الأطلال، فقال:

ألا حييا الدار المُحيل رسومها   تَهيج علينا ما يهيج قديمها
سقى تلك من دار ومن حل ربعها   ذهاب الغوادي وبلها ومُديمها
ظللت أرد العين عن عبراتها   إذا نزلت كانت سراعاً جُمومها
كأني أقاسي من سوابق عبرة   ومن ليلة قد ضاف صدري همومها
ترد بأثناء كأن نجومها   حيارى إذا ما قلت غاب نجومها
فبت أضم الركبتين إلى الحشا   كأني راقي حية أو سليمها
سيكفيك أمر الهم عزمُك صُرمَه   ويكفيك مخلوجَ الأمور صريمها
ويعملة...

ثم يتحدث عن إيقاع عمرو بن هند بهم، دون التصريح باسمه، ثم يفتخر بأبيه[٥٣] هو. فأي رابطة يمكن أن نربطها بين المقدمة الطللية، وعمرو غير المذكور صراحة فيها، أو

(٥٢) المصدر السابق، ص ص ٨٣-١١٦

(٥٣) المصدر نفسه، ص ص ٢٣٤-٢٥٨.

بأبيه؟ إنه من الواضح أن غرض القصيدة لا علاقة له بأي منهما، وإنما علاقته بذاته وحده، أي: بما قبل الأطلال، وبالأطلال، أي: بماضٍ أوَّلَ يدعو له بالسقيا، وبحاضر ينظر فيه إلى ذاته الآن.

إذن، نحن بين احتمالين، فإما أن تكون "هند"، و"ليلى"، و"هند" مرة أخرى رموزاً ثابتة لمعنى واحد، هو مرحلة الطفولة والصبا والشباب، وإما أن تتخذ كل واحدة منهن رمزاً، فنذهب في تفسيرها مذاهب شتى، وفقاً لما نريد، وكيفما نحبّ ونرمي.

خاتمة النونية:

تنتهي النونية بقوله:

إلى عمرو ومن عمرو أتتني	أخي النجدات والحلم الرصين
فإما أن تكون أخي بصدق	فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني	عدواً أتقيك وتتقيني
وما أدري إذا يمّمت أرضا	أريد الخير أيهما يليني
أألخير الذي أنا أبتغيه	أم الشر الذي هو يبتغيني
دعي ماذا علمت سأتقيه	ولكن بالمغيَّب نبئيني

يقول الأصمعي، فيما يتعلق بالاسم "عمرو": "أراه غير الملك؛ لأنه لم يكن ليخاطبه بمثل هذا الكلام".

ويعلّق شاكر على هذا، فيقول في حاشية المفضليات: "وليس بشيء"(٥٤).

(٥٤) الضبي، المفضليات، حاشية ص٢٩٢.

أما الصيرفي، فيقول في حاشية الديوان: "إنه ربما كانت الأبيات الواردة بعد هذا البيت... متأخرة عن موضعها... ثم إن الشاعر يصف عمرو بن هند في الشطر الثاني من البيت وصفاً كريماً، وقوله هنا: إلى عمرو دليل على أنه كان معتزماً التوجه إليه، ومثله قوله....:

إلـى عـــــمــــــر وإن لـم آتـه   تجلب المدحة أو يمضي السفر"(٥٥)

وهنا ندخل في رؤية جديدة لخاتمة القصيدة، تستبعد الأبيات المضافة، بعد ذكر "عمرو"، لتحيلها إلى تداخل من قصيدة أخرى، نسبها البصري إلى المثقب، فجاءت خلافاً لما هو متصور، بينما هي لشاعر آخر، هو علي بن بدّال، يقول:

لعـــمـــرك إنني وأبا رياح   على طول التهاجر منذ حين
لأبغضه ويبغضني وأيضا   يراني دونه وأراه دوني
فلو أنا على حجر ذبحنا   جرى الدميان بالخبر اليقين
فإما أن تكون....................   ....(٥٦)

ومن تلك الإضافات البيت النشاز الذي جاء في خاتمة الأبيات، مما لم يذكره البصري:

دعي ماذا علمت سأتقيه

---

(٥٥) ديوان المثقب العبدي، حاشية ص٢٠٩.

(٥٦) صدر الدين، علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، الحماسة البصرية، تحقيق عادل سليمان جمال (القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٩٧٨م)، ج١، ص١٣٤.

والظاهر - من لغة الأبيات المنسوبة لعلي بن بدّال[٥٧] - أن علياً شاعر إسلامي، فالأبيات إسلامية. وتكون هذه الأبيات في غير عمرو بن هند، أما الأبيات التي ينبغي أن تكون في عمرو بن هند، فساقطة، لم تصل إلينا، ولو وصلت، لكانت على غرار مدائحه فيه، فذاك ملك، جبار، وله أفضال، وهذا شاعر، يطلب الأمن، ويدعو إلى التبعية. وهنا نعود لنقرأ النونية قراءة أخرى، تتوافق مع شخصية عمرو، كما تنسجم مع شخصية المثقب، وتسير وفق التقاليد الأسلوبية، أهم ما فيها إخضاع مقدمة القصيدة إلى مذهب العرب وطريقتها المألوفة، فيما يتعلق بمنطلقات الظعائن، وتحرير الشعر من التوجيهات التي لا تتلاءم مع منطوق الشعر وفحواه، فيما يخصّ الأسماء.

(٥٧) عبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، ج٧، ص ص ٤٨٢، ٤٨٨.

النشاط العلمي في مكة والمدينة
خلال مواسم الحج في العصر الأموي
(٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)

إعداد

د. إبراهيم بن عبدالعزيز الجميح

١٧٦ صفحة



يلقي الكتاب الضوء على النشاط العلمي السائد في مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال مواسم الحج في العصر الأموي، ويبين أن مواسم الحج لم تكن مقصورة على أداء الحج فقط، بل صاحبها نشاط علمي كبير نتيجة قدوم الآلاف من المسلمين إلى الحجاز، وكان العلماء يلتقون في تلك المدة بالصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، فيتدارسون القرآن الكريم وتفسيره، والسنة النبوية، وقد صاحب ذلك أيضًا نشاط للفتاوى.

وإلى جانب تلك المناشط العلمية وجدت القصص حيث يقوم القصاصون بسرد القصص المشوقة وإظهار ما فيها من عبر ودروس.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧

بريد الكتروني info@darah.org.sa

الأرضة آفة المخطوطات والبنايات وخرافات حولها

عبدالله بن سعد الدريس

إدارة التربية والتعليم - بمحافظتي حوطة بني تميم والحريق

حقاً "الصغير لا يحقر في المخاصمة"، فالأرضة مهما احتقرتها العين الباصرة لصغر حجمها؛ فأثرها كبير جداً فيما تخلف من دمار في البنيان والممتلكات والمقتنيات النوادر، وذلك أن بين جنبيها الهلاميين قوةً عجيبة منحها إياها الخالق، وعزماً على الحياة لايني، ولا يفتر وسْطَ عمل دائب تلفه عباءة الصمت، ويسير بها في ممرات مظلمة رطبة ضمن مجتمعات منظمة كمملكة النحل.

عرفت باسم الأرضة؛ لأن عملها فيها، ومنها تنشأ وإليها تعود كما الخليقة جمعاء: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾(١). وتعرف الأرضة في المعاجم اللغوية بالسُرفَة، وربما اختصت السرفة هذه بأكل الخشب فحسب، ولذا قيل: يعمل السَرَف في النشب ما يعمل السُرف في الخشب(٢)،

(١) سورة طه، الآية ٥٥.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، ج ٣ (السرف) ص٢١٦؛ السرف الأولى (التبذير)، والثانية جمع سُرَفة، والنشب: المال والعقار.

ونقل ابن منظور (ت ٧١١هـ) عدة مسميات لها، فقال: هي القَتَعَةُ والهِرْنِصانةُ والحُطَيِّطةُ والبُطَيِّطةُ واليَسْرُوعُ والعَوانةُ والطُّحنَةُ[٣].

وعلمياً تعرف باسم: النمل الأبيض، وباسم (الترميت)[٤]. وسمّاها القرآن الكريم دابة الأرض في قصة سليمان - عليه السلام - مع الجن حين أكلت عصاه (منسأته)، ويحدثنا القرآن عن أثرها وعملها الخفي عن بصر الجن وسمعهم: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[٥]. وبإنقاذ الأرضة للجن ردت الجميل لها حيث جلبت الماء للأرضة في كل مكان ولو كان قاحلاً؛ إذ ترطب الأخشاب بالماء، فيسهل أكلها، وهذا أمر مشهور عند العوام، وإن تعجب من هذا فالعجب أن أصل هذا الاعتقاد المنتشر بين العوام في نجد قد ذكره ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) عند الآية الآنفة الذكر، فقال: "فشكرت الجن للأرضة، فكانت تأتيها بالماء"[٦].

وثبت علمياً بأن الأرضة تعيش على مادة الخشب، وهي من السيللوز، وتهضمها بواسطة حيوانات أولية في أمعائها، وتستخدم فضلاتها في بناء مملكتها[٧]. فسبحان ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ

---

(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة "أرض".

(٤) الموسوعة العربية العالمية، حرف النون، مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية.

(٥) سورة سبأ، الآية ١٤.

(٦) تفسير ابن كثير، ج٢ ص١١٩.

(٧) الفك المدمّر والعدو الصامت، مقالة في جريدة الرياض، الجمعة ١٨ جمادى الأولى، ١٤٢١هـ.

كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(٨). وللأرضة مع الإنسان حكايات وذكريات قديمة وعريضة؛ فهي تأكل ولا تشبع، وتحفر بفكيها، وتلتهم معظم ما يصادفها، وتفسد، وتخرّب، وتمضي غير مبالية، تقضي على النفيس والثمين البعيد المنال والمطلّب المنيع الذي لا عوض منه إذا فقد، أو نيل منه، من جنس الأوراق والمخطوطات والنسخ القديمة، ولا غرو فقديماً قيل: آكل من أرضة!.

والإنسان يدفعها بكل ما أوتي من موانع ومصدات، ولا يقوى على مواجهتها لصغرها وسرعة فتكها، وليس ثمة نزال بينهما، فيشفى منها الغليل، أو يرضى بكفاءة من شجاعتها وبأسها؛ لكن ويالله العجب يعجز الطالب مع عقله وقوة فتكه، ويفوته المطلوب بيد مخلوق ضعيف مهين، وصدق الله العظيم: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(٩).

ولئن ظهرت هذه الدويبة من خلال ما سبق عنصر هدم ودمار، فلقد سجلت أشرف المواقف وأزكاها مع خير البرية وخاتم النبيين ﷺ حين أكلت صحيفة المقاطعة الظالمة التي علقتها قريش في الكعبة، ووضعت فيها بنود المقاطعة المفروضة على المسلمين ومن ناصرهم من آل عبد المطلب، يقول ابن هشام في السيرة النبوية: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا

(٨) سورة طه، الآية ٥٠.

(٩) سورة الحج، الآية ٧٣.

أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان، فقال: أربك أخبرك بهذا؟ قال: نعم، قال: فوالله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم؛ فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها؟ وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي، فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا، فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شرا(١٠).

ومما قاله عم النبي ﷺ أبوطالب في شأن الصحيفة شعراً(١١):

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة أتاك بها من عائب متعصّبِ
محا الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من صادق القول معربِ
فأصبح ماقالوا من الأمر باطلاً ومن يختلق ما ليس بالحق يكذبِ

ويقول أيضاً(١٢):

فيخبرهم أن الصحيفة مزّقت وأنْ كلُّ ما لم يرضهِ الله مفسَدُ

ولما أخذ الصحابي أبي بن كعب رضي الله عنه الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ بعد هدم المسجد النبوي ظل معه في بيته حتى أكلته الأرضة، فعاد رفاتاً(١٣).

---

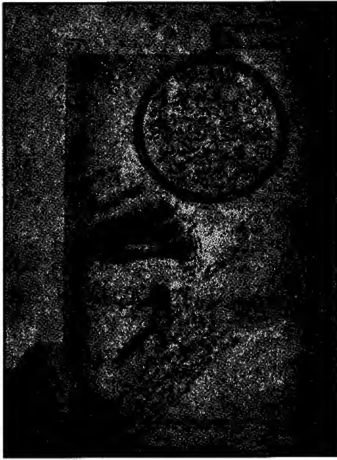
(١٠) تهذيب سيرة ابن هشام، ص٣٣.

(١١) ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ، جمعه وشرحه محمد التونجي، ص٢٦.

(١٢) المرجع نفسه، ص٣٣.

(١٣) سنن ابن ماجه، مسند أحمد، سنن الدارمي.

وكما أن لكل شيء آفة، فإن عدو الأرضة نمل أصغر منها يأتيها من خلفها فيحملها، ويمشي بها إلى جحره، وإذا أتاها مستقبلا لا يغلبها؛ لأنها تقاومه، وتظل بكامل قوتها ما دامت على الأرض إلا أن هلاكها في الجو، ولذا تقول العامة: (إذا ريّشت النملة فهو عند أجلها) وفي الأمثال الفصيحة: (إذا أراد الله هلاك النملة أنبت لها جناحين)[١٤]، وتكون هذه المرحلة مرحلة التزاوج، والسالم منها قليل، فمتى فارقت طبيعتها ومسماها فارقت الحياة، وحديثاً استطاع العلماء الاستفادة من السم الذي يفرزه بعض أنواع النمل واستعماله مبيداً للأرضة وخاصة أنه غير ملوّث للبيئة ورخيص الثمن.



ومما يحكى حول الأرضة من تعاويذ وحمايات: ألفاظ كان يكتبها الناسخون أو مالكو النسخ على مخطوطاتهم ظناً منهم أنها تحميها من الأرضة، وتعد من تعويذ المخطوط وحماية له من الأرضة، ومن تلك الألفاظ:

١ - "كمعمق، زهزوق" أو "كبيكج"، كتبه ناسخ مخطوطة كليلة ودمنة في آخرها[١٥]، ولم أجد فيما اطلعت عليه من بين المخطوطات النجدية لفظتي "كمعمق، زهزوق" السابقتين مجتمعة على طرة المخطوط أو في

(١٤) الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب للجهيمان، ج١، ص٩٧.

(١٥) كليلة ودمنة لابن المقفع، تحقيق د. عبد الوهاب عزام، ص١٤.

مكان منه، ولعل ذلك مرتبط ببعض الأماكن والبلدان كما ساد في عصر ابن المقفع (ت ١٤٥هـ) وما بعد، غير أنه وجد على غلاف المجلد السادس من تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) بخط الشيخ سلمان بن عبدالله آل الشيخ (ت ١٢٣٣هـ) وعليه بعض التهميشات منها كبيكج، وطمس تحته وأسفله بيت شعر سائر. وهو من تملك الشيخ عثمان بن مزيد بن عمرو الحنبلي عام ١٢٣٦هـ[١٦]، وهي ضمن المنهي عنه لفظاً: يا كبيكج[١٧].

ولما سئل عنها فضيلة الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢١هـ) عدّها من الرقى المنهي عنها، فقال: (مثل كتابة بعض المشايخ العجم على كتابهم لفظة "يا كبيكج" لحفظ الكتب من الأرضة زعموا. وللدكتور يوسف زيدان رأي آخر إذ يقول: اعتقد المشتغلون بالتراث أن هذه العبارة دُعاء من قبيل الخرافات التي كان القدماء يعتقدون بها كأن يكون هناك ملاك حارس للمخطوطات أو شيء من هذا الخرافي؛ لكن الحقيقة بخلاف ما يعتقده التراثيون.. ذلك أن كلمة "كبيكج" من الحيل الذكية لدى النساخ القدماء في حفظ المخطوطات النادرة، مثل: "يا كبيكج احفظ الورق" وكبيكج اسم نبات يشبه الكرفس البري، يسمى أيضاً: كف السبع، شجر الضفادع، عين الصفا.. وهو من السموم القتّالة، كان أطباؤنا القدامى

(١٦) مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، قسم المخطوطات، رقم ١٨٣٢.

(١٧) معجم المناهي اللفظية، د. بكر أبوزيد، مادة (كبيكج).

يعالجون به الأمراض الجلدية، وقد استخدم الوراقون قديما نبات كبيكج لحفظ المخطوطات من الحشرات.. وهي عملية تشبه ما نسميه اليوم (التبخير)، ولتمييز المخطوطة التي تم تبخيرها كان يكتب عليها: "يا كبيكج احفظ الورق"؛ لتكون علامة للمشتري أو مقتني المخطوطة، على أنها معالجة بهذا النوع من النبات(١٨). لكن ماذا عساكم تقولون في هذه الألفاظ الأخرى التي يدفع بها الأرضة "كمعمق، وزهزوق"، فهل تعد من النباتات ذات النفوذ الفاعل كما سبق!!

٢ - من تعويذات المخطوط: كتابة "مارق احبس حبسا أو محبة فالله أعلم(١٩)، ولا أدري من مارق هذا المخاطب؟!

٣ - يقول الدُّميري في كتاب حياة الحيوان الكبرى (ت ٨٠٨هـ): إذا وضعت قطعة من جلد الأسد في صندوق ثياب لم يصبها السوس ولا الأرضة(٢٠)!

من أشد الآفات التي أصابت المكتبة العربية الإسلامية التآكل بسبب الأرضة

ومن أشد الآفات التي أصابت المكتبة العربية الإسلامية التآكل بسبب الأرضة، وذلك على أنواع: قسم حرق، وثان غرق، وآخر تآكل وخرق؛ أي من الكتب(٢١).

---

(١٨) د. يوسف زيدان، تعريفات أساسية ٢٠٠١م.

(١٩) فتح المغيث شرح ألفية السيوطي للسخاوي، ج٢، ص٢٠٩.

(٢٠) حياة الحيوان الكبرى للدميري، ج١، ص١٣.

(٢١) كتب التراث بين الانحطاط والانبعاث د. حكمت ياسين، ص١٥.

وأما المكتبات الخاصة والعامة التي أكلت بعضها الأرضة، فمنها ما يلي:

أ - كتاب مصنف لعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) يقول عنه: صنفت المسند على الطرق مستقصى، وجعلته في قراطيس في قمطر كبير، ثم غبت عن البصرة ثلاث سنين، فرجعت وقد خالطته الأرضة، فصار طيناً، فلم أنشط بعد لجمعه[٢٢].

ب - جاء في رحلة المغرب العربي قول الشيخ حماد الأنصاري (ت ١٤١٨هـ) في مكتبة جامع القرويين في فاس ستة آلاف مخطوط، وبمكتبة الجامع الكبير بمكناس خمسمئة مخطوط، ولكن مع الأسف فجلُّ تلك المخطوطات متلاش غير صالح قد أكلت الأرضة كثيراً منها[٢٣].

٣ - مكتبة الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد الفاخري (١١٨٦-١٢٧٧هـ) يقول ابن بسام: قد حصّل كتباً كثيرة بخطه الحسن، وله منقولات كثيرة في مختلف العلوم، وقد جمع كتباً من الأدعية النبوية، ولكن تلف بسبب الأرضة، ولم يبق منه إلا ورقات قليلة، وقد رأيتها بخطه.

٤ - مكتبة الشيخ عبدالله بن خلف بن دحيان في الكويت (١٢٩٢-١٣٤٩هـ) يقول ابن بسّام: بعد وفاته آلت مكتبته إلى ابن أخته الشيخ أحمد الخميس، وبعد وفاة

---

(٢٢) تهذيب التهذيب تراجم ورجال، ابن حَجَر العسقلاني، ج٤، ص٢٨٦.

(٢٣) رحلة المغرب العربي للشيخ حامد الأنصاري، ١٣٩٦/٩/٦هـ.

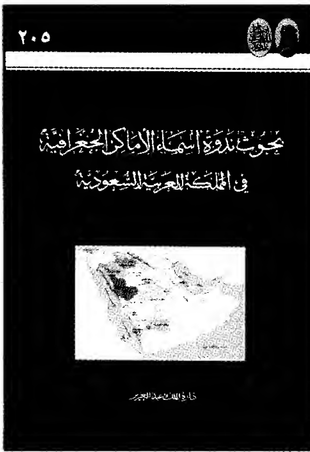
ابن أخته أهدى ورثته المخطوطات إلى مكتبة الأوقاف، وبقيت المطبوعات عندهم وقد ضاع كثير من المخطوطات خلال نقلها، وبعضها أكلته الأرضة مما يؤسف له، وتاريخ دخولها إلى مكتبة الأوقاف في ١٣٩٧/٣/٢٢هـ[٢٤].

(٢٤) علماء نجد خلال ثمانية قرون لابن بسام، ج٤، ص١٠٤، ج٦، ص٢٤٧.

بحوث ندوة
أسماء الأماكن الجغرافية
في المملكة العربية السعودية

إعداد
دارة الملك عبدالعزيز

٢٠٨ صفحات



يضم بعض البحوث التي ألقيت في ندوة أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في المدة من ١٠-١١/٣/١٤٢٤هـ الموافق ١١-١٢/٥/٢٠٠٣م.

وقد تضمنت البحوث حديثًا عن الجهود التي بذلت لخدمة أسماء الأماكن في الجزيرة العربية عامة، والمملكة العربية السعودية خاصة.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد الكتروني info@darah.org.sa

رسائل أعضاء الإرسالية التبشيرية الأمريكية في الخليج

التقرير الثاني: زيارة القطيف

ص. م. زويمر (S. M. Zwemer)(*)

ترجمة: تركي بن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

مقدمة المترجم:

هذه سلسلة ترجمات لتقارير أعضاء الإرسالية الأمريكية التبشيرية في الخليج العربي، وقد نشرت في مجلة (الجزيرة العربية المُهملَة - Neglected Arabia) التي صدر العدد الأول منها في يناير - أبريل ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، واستمرت إلى عددها الأخير في مارس ١٩٦٢م (١٣٨١هـ)، بعد أن تغير اسمها إلى (الجزيرة العربية تدعوكم(١) - Arabia Calling).

(*) S. M. Zwemer, "A Visit to Katif," Neglected Arabia, 79 (October-December, 1911), p. 10-13.

(١) الترجمة الحرفية هي (الجزيرة العربية تنادي) ولكنها لا تؤدي المعنى المطلوب.

وقد سبق لنا في العدد الثالث من هذه المجلة الصادر في رجب ١٤٢٨هـ (السنة الثالثة والثلاثون) كتابة مقدمة ضافية توضح منهجية البعثة وعنايتها بالتنصير، ونشر بعد ذلك التقرير الأول من تقارير الإرسالية بعنوان "استئناف العمل في الكويت".

وفيما يأتي ترجمة التقرير الثاني بعنوان "زيارة القطيف".

تمهيد:

نُشر هذا التقرير في العدد التاسع والسبعين (أكتوبر - ديسمبر ١٩١١م/ ١٣٢٩هـ) من مجلة الجزيرة العربية المُهملة. وكاتبه القس الأمريكي صموئيل م. زويمر، وكان زويمر قد قام بزيارة سابقة إلى القطيف عام ١٨٩٣م (١٣١٠هـ)، نُشر تقرير عنها في مجلة الإرسالية (The Arabian Mission)[٢]. والتي كانت - كما وصفها - زيارة ناجحة. ثم قام بزيارة أخرى سنة ١٨٩٧م (١٣١٤هـ)[٣]، وهي التي تحدَّث عنها في هذا التقرير، وقال: إنه كان فيها هو وزوجته بحكم السجناء.

وكان قد زار القطيف من أعضاء الإرسالية قبل تاريخ هذا التقرير الدكتور: هـ. ر. ل. وورال (H. R. L. Worrall) عام ١٨٩٩م (١٣١٦هـ)[٤]. وقد ذكره زويمر في هذا التقرير.

(2) “The Tour to Hassa and Kateef”, The Arabian Mission, 8 (October - December, 1893), p. 6-7.

(3) Zwemer, "Bahrein," The Arabian Mission, 21 (January - March, 1897), p. 13-14.

(4) The Arabian Mission, 30 (April-June, 1899), p. 11-12.

نص التقرير:

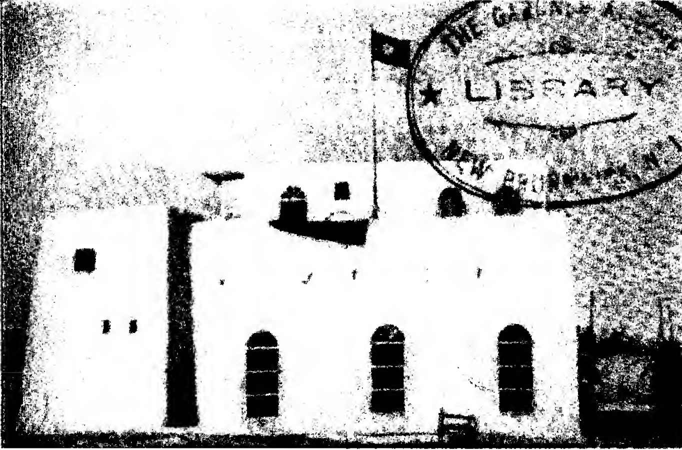
تمتد أرض الجزيرة العربية غرباً، وراء مقر الإرسالية ومستشفاها ومدرستها في البحرين، لثمانمئة ميل (حوالي ١٣٠٠كلم) عبر إقليم الأحساء وعالية نجد والحجاز، وصولاً إلى البحر الأحمر. ولا يوجد شاهد للإنجيل في كل الطريق من البحرين إلى جدة.

البحرين هي بوابة الدخول إلى شرق الجزيرة العربية، كما أن جدة هي بوابة الدخول إلى غربها. وهناك طريقان للدخول من البحرين إلى الجزيرة العربية: الأول عبر العُقير؛ الموقع المتواضع لوصول القوافل إلى الهفوف. والثاني إلى الشَمَال من القطيف، ويقع على بعد خمسين ميلاً (٨٠كلم) عبر هذا الجزء من الخليج من ميناء المنامة.

في يوم الاثنين، الرابع والعشرين من شهر أبريل (٢٥ ربيع الآخر ١٣٢٩هـ)، أبحرت أنا والسيدة زويمر من البحرين على متن قارب شراعي، لزيارة القطيف مرة أخرى، وكان قبطاني المركب إبراهيم وصالح. كانت زيارتنا الأخيرة قبل أربعة عشر عاماً، عندما قُوبلنا بفظاظة، وأصبحنا كالسجناء عند الأتراك الذين كانت الشكوك تساورهم تجاهنا، ومنعوا أي شكل للعمل التبشيري. وبالرغم من أننا ذهبنا هذه المرة ونحن نخشى أن نُصدّ عنها مُجدداً، إلا أننا تفاجأنا عندما وجدنا الأبواب مُشَرّعَةً لنا على مصراعيها؛ ولعل ذلك يعود جزئياً إلى تغيّر الحكومة التركية، ولكننا نعتقد أن السبب الفعلي هو زيارة الدكتور وورال (Worrall) منذ سنتين لهذه

المنطقة[٥]. حتى إننا ونحن ما نزال على ظهر المركب، كان البحارة يتحدثون عن "الدكتور إرسالية"[٦]، الراكب المرح الذي أوصلوه إلى هنا، والذي أثبت اسمه واسم الإرسالية في هذا الجزء من الخليج.

وصلنا إلى القطيف بعد ظهر يوم ثلاثاء، بعد اثنتي عشرة ساعة إبحار في رياح سيئة، واثنتي عشرة ساعة كنا نرسو بها أثناء الليل.



المبنى الحكومي في القطيف الذي أقام به الدكتور زويمر وزوجته

(٥) الدكتور: هـ. ر. ل. وورال (H. R. L. Worrall): انضم إلى الإرسالية من عام ١٨٩٤ إلى ١٩١٧م. ومات في فيلاديلفيا بولاية بنسلفينيا عام ١٩٣٠م. كان قد زار القطيف في ١٨٩٩/٥/٣١م الموافق ١٣١٧/١/٢١هـ انظر:

The Arabian Mission, 30 (Apr.-Jun. 1899), p. 11-2; James Cantine, "A Tribute to Dr. Worrall," Neglected Arabia, 153 (Apr. May. Jun. 1930), p. 15.

(6) Dr. Mission .

لا تتمتع القطيف بصيت حسن بين العرب في الأحساء، فموقعها منخفض وتملأه المستنقعات، ومعظم سكانها ضعيفو البُنية، شاحبو البشرة، ويُعانون من الملاريا دائماً. والبلد نفسه مبني بناء سيئاً، ويفتقر إلى النظافة بشكل يرثى له، وطقسه رطب وبغيض. ومع ذلك فعدد السكان لا بأس به، والتجارة فيه نشطة. غالب سكانه شيعة من أصول إيرانية... وموقع القطيف الحالي هو موقع المستوطنة القديمة للجرهيين (Gerrhs) الذين ذكرهم جغرافيو الإغريق، ولكن لم تجر فيه حفريات أثرية من قبل.

اكتسبت القطيف قديماً أهميتها كعاصمة للكاثمونيين (Catmathians) في ٢٨٧ ق. م. ولأنها أصبحت فيما بعد مُنطلق الحملات الحربية التخريبية لأبي طاهر القرمطي، والتي غطّت ثلثي الجزيرة العربية، بل وحاصرت الخليفة في بغداد، وهدّدت حلب، وملأت ساحة الكعبة وبئر زمزم بجثث المسلمين. كانت هذه هي الفرقة التي نجحت في نقل الحجر الأسود عبر الجزيرة العربية إلى القطيف، وحاولت أن تُقيم مبنى مقدساً مضاهياً [للكعبة] هناك. ولكنه فيما بعد حُمِلَ [إلى مكة] وغُسِلَ بماء الورد ووُضِعَ في مكانه السابق. وبعد سقوط القرامطة، ظلَّت المناطق حول القطيف والأحساء لوقت طويل مُنسلخة عن الإسلام؛ قال بلجريف: "مجرد كومة من الحطام الديني والأخلاقي"(٧). ولم يُعِدْ غزو

(٧) وليم جيفور بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ترجمة: صبري محمد حسن، مصر: المجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠١م)، ج ٢، ص١٦٩.

الوهابيين...(*)، ولا محاولاتهم - في بدايات القرن الماضي - ... مجد القطيف السابق. فانحدر الإقليم كله من سيئ إلى أسوأ.

وعندما سقطت الدولة السعودية، استولى الأتراك على القطيف سنة ١٨٧١م (١٢٨٧هـ)، ولا يزالون يعملون على إخضاع قبائل البدو. وقبل ثلاث سنوات ونصف فقط، حاصر العرب المدينة، وكاد الترك أن يخسروها. ويبدو كل شيء - حالياً - مختلفاً عن قُرى البحرين التي هيأها الأمن والإدارة الجيدة للتطور التجاري.

المياه كثيرة. تنبع من عيون حارة والناس يُعانون باستمرار من أمراض مزمنة بسببها

كل شيء في البلد يبدو بمنظر سيئ. مصادر المياه كثيرة، فهي تنبع من عيون حارة، وتسقي المزارع بامتداد ثلاثين ميلاً تقريباً على امتداد الساحل. ولكن تلك المياه مملوءة بالجراثيم والديدان، والناس يُعانون باستمرار من أمراض مزمنة بسببها. والسُنَّة هنا هم فقط الطبقة الحاكمة وبعض التجار.

نزلنا من مركبنا، ووصلنا إلى الشط ممتطين حميراً، وكنا نحمل خطابات توصية إلى شاكر أفندي، الذي يحمل اللقب الرفيع "أمير البحر". ولم تواجهنا مشاكل من جهة جوازاتنا ولا من جهة طبيعة زيارتنا. واستقرينا في غرفة صغيرة مستقلة، ليست بالكبيرة جداً، ولكنها نظيفة ويدخلها الهواء. تناولنا ثلاث مرات يومياً الوجبة المتواضعة من الأرز واليخنة، من صندوق غذائنا الخاص.

(*) الوهابية ليست عقيدة أو مذهب كما قد يظن بعض الكُتَّاب، وإنما هي دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي تدعو إلى العودة إلى الدين الصحيح كما ورد في الكتاب والسنة. (المحرر).

كانت الأيام الأربعة لزيارتنا مشغولة بالعلاج إلى درجة الإزعاج للسيدة زويمر. بعض المراجعين كانوا من المرضى القديمين في المستشفى [في البحرين]، والذين عادوا إلى ديارهم، وآخرين سمعوا عنا عن طريقهم، فأتوا إلى مقرنا أو طلبوا منا زيارة منازلهم. بعت أنا وأحمد (بائع الكتب المُتجوّل) الكتاب المقدس في السوق، وتحدثنا مع الجنود، وأجبنا عن أسئلة تخص الواقع السياسي، وتبادلنا الآراء مع موظفين أتراك حول الثورة اليمنية. كنت متفاجئاً من كثرة الطلب على الكتاب المقدس، فقد بعنا مخزوننا في فترة قصيرة. وقد ساعد تأثير عمل الإرسالية في مستشفى [البحرين]، وخاصة زيارة الدكتور وورال [إلى القطيف]، في التخفيف الشديد من الأذى الذي كنا نلقاه في السابق، وكان الناس لطفاء تقريباً وغير مُرتابين بنا.

حتى في القطيف ترى أثر غزو الغرب للشرق، ففي كل ليلة، بل وحتى في الصباح الباكر، يُحاول مضيفنا الترفيه عنا بفيكتور فونوغراف(٨)، يُدير عجلته لتشغيل الأغاني التي تسمعها في مقاهي القاهرة، بينما استُبدلت طاولة الآلة بحقيبة عادية لشركة الزيت.

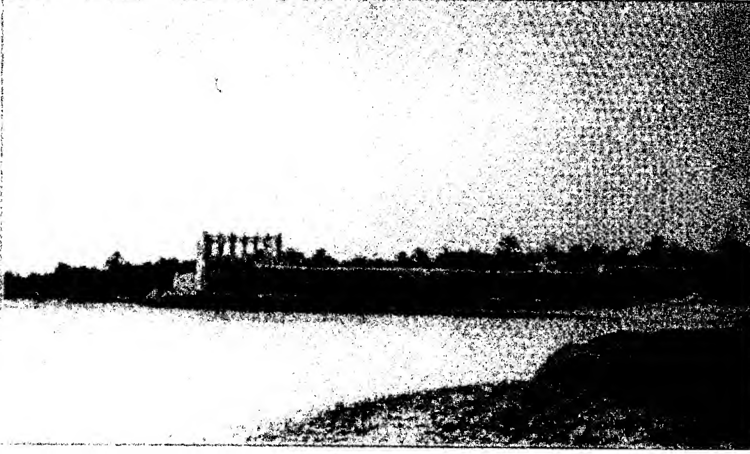
---

(8) Victor phonograph:

أحد أنواع آلة الفونوغراف، من إنتاج:

(Victor Talking Machine Company).

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، العدد الرابع شوال ١٤٢٨هـ، السنة الثالثة والثلاثون



منزل الحاج منصور باشا في القطيف

كانت البنادق التي يحملها الجنود مُصنَّعة في سبرينج فيلد في ولاية ماساتشوستس (Springfield, Mass)، وكان المدفع القديم، الذي يحمي مدخل القلعة القديمة، مصنوعاً في ألمانيا، بدون شك.

كان هناك احتفال في البلدة في السابع والعشرين من أبريل (٢٨ ربيع الآخر ١٣٢٩هـ). وكان مبنى الجمرك والسراي مزينين بسَعَف النخيل والأنوار في المساء. فقد كان احتفالاً بيوم اعتلاء السلطان [العثماني] العرش. وبما أنني كنت ممثلاً لكل حكومات العالم الأجنبية، فقد شاركت في الاحتفال، وسمعت الكلمة التي ألقاها القاضي القادم من إسطنبول، التي أكد فيها مراراً - وكأنه أمر مشكوك فيه - أن السلطان الحالي هو خليفة المسلمين جميعاً، وأن دولته قائمة إلى قيام الساعة. ووزِّعت سيجارة واحدة على كل جندي، كما وُزِّعَ شراب الليمون بهذه المناسبة.

وقد ذكّرني هذا الاحتفال بمحاولة الأمريكيين إقامة حفل الكريسمس في جزيرة نائية، فقد كان فعلاً، بالنسبة للحكومة الجديدة، بديلاً مُثيراً للشفقة في أطراف الإمبراطورية العثمانية. سيمضي وقت طويل قبل أن تجتذب القطيف أموالاً لتحسين مينائها أو التعليم فيها.

قمنا في اليوم التالي بزيارة قرية عَنَك (Anaj) وقلعتها[٩]، وقد استضافنا فيها العقيد (Colonel) وعائلته أفضل ضيافة.

ربما بلغ عدد سكان القطيف مع القُرى المحيطة بها عشرين ألفاً. وفيما يلي أسماء أهم الأماكن بها: دارين (Darain)[١٠]، تاروت (Tarut)[١١]، سنابس (Senabis)[١٢]،

---

(٩) عُنَك: بضمّ العين، والمشهور بين العامَّة فتحها، وفتح النون بعدها كاف. من قُرى القطيف، وتقع على الشاطئ جنوب القطيف بنحو خمسة عشر كيلاً، وشرق سيهات بنحو خمسة أكيال. انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)، الرياض: دار اليمامة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج ٣، ص ١١٩٥-١١٩٧؛ ج. ج. لويمر، دليل الخليج: القسم الجغرافي، الدوحة: د. ن (د. ت)، ج ٥، ص ١٨٨٠.

(١٠) دَارِين: بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ساكنة فنون. جزيرة تقع في مدخل خليج القطيف. انظر: الجاسر، السابق، ج ٢، ص ٦٥١-٦٥٩؛ لويمر، السابق، ج ٧، ص ٢٤٤٦.

(١١) تَارُوت: بالفتح وبعد التاء ألف فراء مضمومة فواو ساكنة فتاء. جزيرة تُعتبر من أهم الثغور البحرية للقطيف، وهي معروفة باسمها هذا منذ القدم. انظر: الجاسر، السابق، ج ١، ص ٢٨٥؛ لويمر، السابق، ص ٢٤٤٧.

(١٢) سَنَابِس: سين مفتوحة فنون مفتوحة فألف فموحدة مكسورة فسين مهملة. من قُرى جزيرة تاروت، على ساحلها الشرقي. انظر: الجاسر، السابق، ج ٢، ص ٨٧٢؛ لويمر، السابق، ص ٢٤٤٦.

الثانية (Eth Thania)، عنك (Anaj)، سيهات (Shehad)[١٣]، صفوى (Safwa)[١٤]، كروديجة؟ (Karoodija)[١٥]، والعماير؟ (El Amair).

طريق القوافل من القطيف إلى الأحساء ليس آمناً، وليس هناك اتصال مع داخل الجزيرة جهة الغرب أو الشَمال، ولكن عدد السكان أكبر من أن يُتجاهل كلُّه تماماً، وهي تفتح الباب لجميع قُرى الساحل. بدأت السفن البخارية في السنوات الأخيرة تحمل البضائع من البصرة والبحرين إلى القطيف في مدة لا تُذكر، والتجارة هنا تبدو في انتعاش...

(١٣) سَيْهَات: بفتح السين بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فهاء مفتوحة فألف فتاء. قرية جنوبية عن القطيف، وهي من توابعها. انظر: الجاسر، السابق، ج ٢، ص ٨٩٣؛ لويمر، السابق، ج ٥، ص ١٨٨٥.

(١٤) صَفْوَى: بفتح الصاد المهملة وإسكان الفاء بعدها واو فألف مقصورة. بلدة تقع شمال القطيف، تبعد عنها بنحو خمسة عشر كيلاً، وهي آخر قرية شمال الواحة. انظر: الجاسر: السابق، ج ٣، ص ٩٧٤؛ لويمر، السابق، ص ١٨٨٥.

(١٥) لعلها الجارودية؟ انظر عنها: لوريمر، السابق، ص١٨٨٢.

حادثة سنة الطبعة

تأليف: سعد بن عبدالعزيز السيف

الدمام: المؤلف نفسه، ١٤٢٦هـ، ٨٨ صفحة

مراجعة: د. عبدالله بن ناصر السبيعي
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

تعد حادثة الطبعة التي جرت في عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م في الخليج العربي خاصة المنطقة الواقعة بين سواحل البحرين والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، من الأحداث التاريخية المهمة التي لا تنسى رغم تقادمها؛ إذ ظلت عالقة في أذهان أبناء المنطقة يتداول أهوالها وفجاعة أحداثها الأجداد، بل إنها اتخذت حدا فاصلا لتدوين التواريخ قبلها وبعدها، وتركت أثرا عميقا في الذاكرة رصد قليله، وتلاشى كثيره، لم يقتصر ضررها وأحزانها على ضفاف الخليج بل تعدى إلى الأحساء ونجد. حتى إن بعض ما قاله من عانى منها أصبح مثلا شائعا، ومن ذلك قول النوخذة راشد بن فاضل المشهور: "سمحان، وطبع وش عاد اسوي لك يا بحر"، وذلك بعد أن غرق مركبه سمحان في الحادثة، وأصبح قوله مثلا اعتاد الناس على التمثل به كلما صعب على أحد منهم أمر ما.

تصدى الأستاذ سعد بن عبدالعزيز السيف لتدوين بعض من أخبار حادثة الطبعة في كتاب أصدره بعنوان "حادثة سنة الطبعة". جاء هذا في كتاب من القطع المتوسط بلغت صفحاته (٦٣) صفحة، إضافة إلى صور وخطابات إشادة، ويبدو أن الأصل كان بحثا وضع فيما بعد في هيئة كتاب. وقد ذكر المؤلف أن فكرة التأليف حول الموضوع راودته منذ فترة، وكثيرا ما جالت في خاطره حتى تمكن من توثيقها وتدوينها وإبرازها. وأنه يقدمها على استحياء، ولا يعرف سبب ذلك الاستحياء! لا سيما وهو يدون حدثا تاريخيا مهما لم يلق اهتماما قبله، وكانت الحاجة ملحة لتدوينه. خاصة وهو يلامس بعضا من جوانب تاريخنا الاجتماعي والاقتصادي غير المدون والمعتمد على الرواية الشفوية والسعي الدؤوب للحصول على المعلومات من مضانها الأساسية.



أهدى المؤلف الكتاب إلى أرواح الرجال الذين قضوا نحبهم غرقا في البحر، وتخليدا لذكرى صراعهم أمام مشاق الحياة الاقتصادية التي كانت سببا في تلك النكبة، آملا أن يقتدي الخلف بالسلف في صبرهم وجدهم في طلب الرزق، وتحمل الشدائد والمحن.

قدم الكتاب الأديب ورجل الدولة البحريني تقي محمد البحارنة بمقدمة ضافية ذكر فيها أنه لم يسبق له علم بمن

كتب حول حادثة الطبعة قبله، وكونها واحدة من الكوارث العظمى في تاريخ المنطقة؛ ولذا عدت عبرة من عبر التاريخ.

استهل المؤلف كتابه بتعريف معنى الطبعة وتاريخ حدوثها، مع الإشارة إلى ذكر تواريخ طبعات سابقات؛ منها طبعة سماها طبعة (أهل الكويت) حدثت عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، لا ندري لماذا خصها بذلك الاسم، مع أنها شملت أهل الخليج كافة بمن فيهم الكويتيين والبحرينيين وغيرهم، وكذلك طبعات عامي ١٣٢٨هـ/١٩١٠م و١٣٣٥هـ/١٩١٦م، مؤكدًا أن الطبعة موضوع الكتاب هي الأكثر ضررًا مما قبلها.

حرص المؤلف على رصد ما دونه الباحثون والمؤرخون حول هذه الطبعة وآثارها المؤلفة؛ ومنهم عبدالله محمد البسام وفرج العمران وخليل المريخي وراشد بن عبدالرحمن الزياني الذي عايش الحدث، وشاهد وقوعه، فجاء وصفه له معبرًا ومؤثرًا، كان من أجمل ما حرص المؤلف على استقصائه وتوثيقه بعضًا من نوادر القصص والمواقف التي تروى عن حادثة الطبعة. جاء من أبرزها قصة ذلك الأعمى الذي انقلبت سفينته في عرض البحر ضمن سفن كثيرة، نتج عنها غرق معظم بحارتها، غير أن ذلك الأعمى استطاع السباحة ومصارعة الأمواج المتراطمة حتى وصوله سالمًا إلى الشاطئ من غير معرفة بأي اتجاه سلك، بينما فشل بعض من كان معه من غواصين مهرة. ومن القصص الطريفة ما رواه المؤلف نقلاً عن بعض من شهد حادثة الطبعة، إذ روى أن أحد كبار السن من أهل بلدة تاروت ممن كان في البحر حينها يتبادل الحديث مع صحبه فوق ظهر سفينة سمعوا

صوتًا يشبه صوت الطائرة الحربية حاليًا قادمًا من الجهة الشمالية الغربية؛ مما جعلهم يتساءلون عنه، فقال أحدهم: هذه عاصفة قادمة، ولم يمض أكثر من ثلاث أو أربع دقائق حتى هبت عاصفة مدمرة، وروى عن راوٍ آخر قوله: إن أعمى من كبار السن من أهل قرية الزور بالقطيف توقع هبوب العاصفة قبيل بدئها، وحذَّر منها، فنجا مَن صدّقه، وقام بتأمين سفنه الراسية في الميناء لتسلم من التدمير والجرف إلى عرض البحر.

أعمى من كبار السن من أهل قرية الزور بالقطيف توقع هبوب العاصفة قبيل بدئها

أفرد المؤلف مساحة كبيرة لما قيل في أحداث الطبعة من شعر، وعلل ذلك بقوله: "لما كان أكثر الذين اصطلوا بنار هذه الطبعة وآلامها محدودي المنزلة العلمية، وإدراكهم للقراءة والكتابة كان ضعيفا حيث لم يتيسر أمامهم سبل التعليم كما في وقتنا الحاضر ولانشغالهم بظروف الحياة، فقد عبر بعضهم عن هذه الحادثة بشعر عامي (شعبي)، والشعر هو الصفحة المعبرة عن الأحداث".

أورد نماذج مختارة من قصائد شعراء من أهل المنطقة، ومن أهل نجد ممن عايشوا أهوال الحادثة، وسجلوها ذاكرين فاجعتها، من ضمنهم الشاعر حمد بن علي الحمود من أهل بلدة تاروت الذي وصف الفاجعة بقوله:

يا ليلة صار فيها الويل والصايح   هذا غريق وهذا نادب صايح
ياما سفن شلة الطوفان بالصايح   فرّت عقول الخلق وتفاررت دوايه
وكم حرّة من خدرها فرعت دوايه   تتشد عن أهل لها وعقولهم دوايه

جاءت قصيدة الشاعر ناصر بن عبدالله بن كليب من أهالي الحريق في نجد معبرة ومؤثرة لا سيما وهو أحد شهودها والناجين منها، فقد أرسل إلى أخيه عبدالرحمن وصفا لما حدث قائلا:

تتصا عضيدي واخبره ويش جاني غطا علي الموج في وسط غبّه
الطبعة الخطرة خطرها غطاني موج البحر في غبته مطلحبه
عمري غدا مير الله اللي وقاني كله سوال اللي ضناها تحبه
لوا عشيري بي يصيبه اجناني لا قيل ناصر غيص في كل غبه

وعبر الشاعر ناصر بن حماد من أهل بلدة الأثلة في الدوادمي في قرية مصدة عن الحادثة عن أهوال الطبعة التي عاشها، وكان الشاعر وقت حدوث الطبعة على إحدى السفن في عرض البحر يعمل غيصا، وقد غرقت سفينته، واستطاع السباحة إلى أن أنقذته إحدى السفن المارة، قال:

أنا ما تهيالي ابعمري أو هالني أقع ليلة سودا على اللي سرابها
يوم على الديبل تطبع بها الخشب كم واحدا جت قدرته ما درابها
ضربنا بنصف الليل نصف من الشهر شهر ربيع أول بعدة احسابها
في عام اربع واربعين وثلاث وألف من الهجرة لمن لادرى بها
دالوب غربية من الله امطيعة ثلاث ساعات تنفض ربابها
واللي ضرب بالموج موجه يشيلنا شفنا الهوايل يوم زاد اقتلابها
تفرقوا من غير عقد وجيرة ونفوسهم اللي ما يعدد حسابها
في راس تنورة دفنا جنايز وفي كل سيف يذكرون الغثابها

وقال الشاعر البحريني عبدالرحمن بن عبدالله يصف الحادثة:

يوم إن قضى الله والمقدر بنا صار هبت دواليب الزلازل والمطور
في ليلة ظلمه وقام البحر طار والموج بالجنبين راكب ومحدور
والنوخذة ما له دليل ولا اعبار في وين سند والقلب ما له اشعار
اللي معانا من الخشب دار وانهار متشتت ما بين خاطر ومخطور
قلنا الخبر ما صابكم ياهل الدار قالوا لنا طوفان ماصار مصيور
قلنا الخشب قالوا طبع وانهدم هار تفرقت ما بين لايث ومكسور

ونظم الشاعر عبدالمحسن العبدالله المقحم من أهل الزلفي في نجد هذه الأبيات، حيث كان في البحر ساعة وقوع الحادثة، وكتب الله له ولمن معه النجاة:

هبت علينا من شمال مسيان في غبة لا عاد ليل عليّه
اغلنطست وامطر سحاب بطوفان غضب مطرها تقل جلد برديّه
الربع لجو كل ابوهم بالآذان ايقنت أنا بالموت هاكا العشيه
جا ساعة والله تشيب بالأعيان في حزة عاف الخوي من خويه

كانت الظروف الاقتصادية الصعبة التي مرت على الجزيرة العربية متمثلة في شح الموارد، وضيق مجالات العمل، وضيق ذات اليد، والرغبة في البحث عن فرص عمل واعدة تجبر القادرين من الرجال على ركوب البحر في مواسم الغوص وامتهانه حرفة بحث عما يسدون به حاجات أسرهم رغم تعلقهم بديارهم وخوفهم من البحر ومفاجآته. تجسد ذلك

في شعر إبراهيم بن سالم بن يحيوي من أهل بلدة الشعراء نجد:

أبا تنحـــر بحـــر ســـيـــلان يارب ســـمح لي النيـــه
كم من صبي ضربه أهدان مـــا له جـــدا تبع فـــيـــه
راضن على مقعد الحقران رمّـتك مـــا هيب مـبـغـيـه
يا ما حلا صفة الجذعان كل ركب فـــوق عـــمليـــه
الجـيش مـا يبغى الرديان يبـغى عـيـال سنافـيـه

وبعد أن شاهد البحر وأهواله قال:

ياالله ياالله ياللي ترحم الحـالي تلطف بنفسي وتلحقها مناويها
ياالله أنا طالبك حمراً هوا بالي حمراً إلى روحت تبعد معاشيها
حـــمـــراء إلى مع واهج للآلي مع الخرايم توسع صدر راعيها
مع الركـايب ولا تطرون الأنذالي لين آصل الديرة اللي صاحبي فيها
يا سعد لو من يطلع ذيك الاقذالي ويشوف روس الهضاب الي ريا فيها

أفـرد المؤلف مـا تبـقى من الكتـاب للصـور شـملت صـورا شـخصية لأشـخاص عـاصـروا الحـادثة، وصـورا أخرى بعضـها ليس بذي علاقة بها.

ومن خلال استعراض الكتاب تبين مدى الجهد الذي بذله المؤلف لتـوثيق مـادته وتدوينهـا، غـيـر أن هنـاك بعض الملاحظـات. ومن أهمـهـا؛ إيراده تاريخين مـخـتلفين في اقتبـاس ليوم بدء هبوب العاصفة في ص ص ١٤-١٥، حيث ذكر في الصفحة الأولى أنها بدأت في ليلة الخميس، بينما قال في الثانية أنها حدثت في ليلة الجمعة. كما يؤخذ على

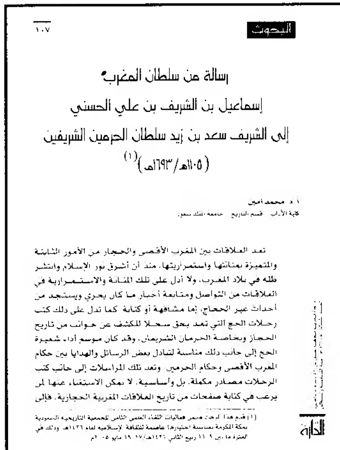
المؤلف طول بعض النصوص المقتبسة؛ ومنها النص المقتبس المتصل ص ص١٧-١٩، وكذلك عدم الإشارة إلى أرقام بعض الصفحات المقتبس منها من بعض المصادر. غير أن أهم ما يلحظ على الكتاب عامة تكرار قول عبارة قال لي أو ذكر لي أو روى أحدهم أو قال آخر أو ذكر أحد كبار السن دون أن يسمي ذلك القائل أو الراوي؛ مما أفقد أهمية التوثيق والرواية الشفوية. ولم يذكر المؤلف المراجع التي اقتبس منها القصائد الشعرية مع عدم إيضاحه مؤلف كتاب (مكارم الأخلاق) الذي أورده في المتن، مقتبسا نصا منه، وتجاهل إيراده في قائمة المصادر والمراجع. ويبدو على الكتاب عامة ظاهرة قطع سياق بعض جمل الفقرات بين سطرين متتاليين مع وجود بتر في السياق بين ص ص ٢٦-٢٧.

ومن الملحوظات العامة على الكتاب وجود بعض العبارات التي قد لا تتفق لغويا مع ما يراد بها، ومنها على سبيل المثال قوله في ص ١٤: "أن القلة الباقية التي عاصرت تلك السنة، ووعت مأساتها لا تزال تتحدث عنها بارتهاش"، "وتوقف فيه الزمن طويلا على البحارة الخليجيين الذين جرفهم الموج نحو الأسفل"، "وتحديدا الساعة الثانية بالتوقيت العربي". وما قاله في ص٢١: "فكانت الرياح شديدة جعلت المياه مختلطة برمل قاع البحر". وما ذكره ص ٢٨ ونصه: "الذي هو أدهى وأمر هي المشكلة التي على الساحل حيث رست الآلاف من جثث الموتى".

لا شك أن هذا الكتاب يعد إضافة تاريخية جيدة، ومصدرا مهما للباحثين في تاريخ المنطقة والمهتمين بالبحث في تراثها التاريخي الذي لم يدون بعد؛ مما يعد جهدا يذكر فيشكر للمؤلف.

تعقيب على البحث الموسوم: رسالة من سلطان المغرب إسماعيل بن الشريف بن علي الحسني إلى الشريف سعد بن زيد سلطان الحرمين الشريفين (١١٠٥هـ/١٦٩٣م)

سبق أن نشرت في مجلة الدارة الغراء، العدد الثاني، السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ، ص ١٠٧-١٤٢، دراسة للرسالة أعلاه، وهي وثيقة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د ١١٣٩، وقد نبهني الأخ الأستاذ الباحث حمد بن عبدالله العنقري - حفظه الله - مشكورا بعد نشر البحث، إلى أن الرسالة منشورة بكتاب "العز والصولة في معالم نظم الدولة" لمؤرخ الدولة العلوية مولاي عبدالرحمن بن زيدان، المطبوع في المطبعة الملكية بالرباط، الجزء الأول، ص ٢٧٩-٢٨٧.



البحوث ١٠٧

رسالة من سلطان المغرب
إسماعيل بن الشريف بن علي الحسني
إلى الشريف سعد بن زيد سلطان الحرمين الشريفين
(١١٠٥هـ/١٦٩٣م)[1]

أ. د. محمد أمين
كلية الآداب - قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

تعد العلاقات بين المغرب الأقصى والحجاز من الأمور الثابتة والمتميزة بمتانتها واستمراريتها، منذ أن أشرق نور الإسلام وانتشر ظله في بلاد المغرب، ولا أدل على تلك المتانة والاستمرارية في العلاقات من التواصل ومتابعة أخبار ما كان يجري ويستجد من أحداث عبر الحجاج، إما مشافهة أو كتابة كما تدل على ذلك كتب رحلات الحج التي تعد بحق سجلا للكشف عن جوانب من تاريخ الحجاز وبخاصة الحرمان الشريفان، وقد كان موسم أداء شعيرة الحج إلى جانب ذلك مناسبة لتبادل بعض الرسائل والهدايا بين حكام المغرب الأقصى وحكام الحرمين، وتعد تلك المراسلات إلى جانب كتب الرحلات مصادر مكملة، بل وأساسية، لا يمكن الاستغناء عنها لمن يرغب في كتابة صفحات من تاريخ العلاقات المغربية الحجازية، فإلى

(١) قدم هذا البحث ضمن فعاليات اللقاء العلمي الثامن للجمعية التاريخية السعودية بمكة المكرمة بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ وذلك في الفترة ما بين ٩-١١ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ/١٧-١٩ مايو ٢٠٠٥م

الدارة

لقد استغربت أولا لنشر هذه الرسالة بهذا الكتاب، في حين اقتصر المؤلف نفسه في كتابه "المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف" عند ذكره لها بأنه وقف عليها

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٨هـ، السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

دون الإشارة إلى مكان ورودها في مصنف آخر من مصنفاته، وتم الاقتصار عند الإشارة إليها، أي كتاب السلطان لأمير مكة الشريف سعد، بقوله: "ونصه كما وجدته بالصفحة الأولى من المجموع المذكور بعد البسملة والصلاة والحمد لله: كتاب مولانا نصره الله (يكمل في المجموع المذكور ص١)"[١]، كما أنه لم يشر لها إطلاقًا في كتابه "العلائق السياسية للدولة العلوية"، والذي هو مظنة ورودها فيه[٢].

بالرغم من بعض الاختلافات الطفيفة بين النصين من حيث الشكل، فإن المضمون واحد، وبالتالي ليس هناك جديد يمكن إضافته لدراستنا للوثيقة سالفة الذكر. لكن هناك ملاحظات خلصت إليها بعد مقارنة نص الوثيقة مع النص المنشور عند مولاي عبدالرحمن بن زيدان لابد من إبدائها وهي كالآتي:

١ - في كلا النصين بتور مختلفة؛ فيكمل بعضها بعضًا:

أ - بالنسبة للبتور الخاصة بالوثيقة وقفنا على ما يلي:

- أشرنا في وثيقتنا المعتمدة إلى بتر في الصفحة الثانية، في حين لحظنا انعدامه واكتمال النص عند ابن زيدان، لكنه لا يؤثر على مضمون تحليل الرسالة ولا على ما خلصنا إليه من استنتاجات. ففي هذا الجزء المكتمل

---

(١) مولاي عبدالرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق عبدالهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٠٨.

(٢) مولاي عبدالرحمن بن زيدان، العلائق السياسية للدولة العلوية، تقديم وتحقيق عبداللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٤٧-٥٥.

عند ابن زيدان إشادة بصلة القربى التي تربط أشراف المغرب من عائلة السلطان إسماعيل بأشراف الحجاز من أسرة الشريف سعد بن زيد، وتذكير بضرورة التعاون والتناصح، وهي أمور ضمناها تحليلنا للرسالة، وقد جاء فيه ما يلي: ".. أصول القياس، واعلم - أدام الله إعزازك، وجعل فيما يرضيه ارتياحك واهتزازك(٣) - أن لحمة النسب بيننا لا تخفى عليك وإن كنا في صدر هذا الكتاب المبارك نشير بطرق من منبعها وعنصرها إليك. فقد جمعنا في النسب المتصل الواصل، سيدنا عبدالله الكامل، وأولاده الأشقاء هم أولاد زمعة الأسدية. جدنا الذي تفرعنا عنه وهو ذو النفس الزكية وموسى الجون، وأنتم ذريته وأخوهما إبراهيم، ولا تخفى عنكم حقيقته، فنحن والحمد لله إخوة لأم وأب، وقد أوجب الله تعالى على المسلمين أمورا، وأمرهم بالعمل بها، وامتثال أمره فيها. ونهاهم عن أمور، وأمرهم باجتنابها، وعدم ارتكابها. وأباح لهم أمورا، وخيَّرهم في تركها وفي العمل بها. ونحن ولله الحمد مؤمنون موحدون، وقال سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"(٤)، ولو كنا بالقرب منكم لاستعنا بالله تعالى فيما نشد به أزركم، ونعضد به أمركم، ولاكن [هكذا] حيث شطت الدار، وبعد المزار، فنية المرء أبلغ من عمله، والله يبلغ كل واحد سؤله

(٣) الخطأ ربما طباعي، والمقصود هو: اعتزازك.

(٤) حديث متفق عليه.

وأمله، وقد تنوب الأقلام عند تعذر الأقدام، هذا والنصيحة المحضة واجبة بين المسلمين، وعاقبة أدائها وقبولها نافع في الدنيا والدين، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام متكئا في ملأ من أصحابه الكرام ثم جلس، فقال: "الدين النصيحة! كررها ثلاثا فقالوا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم"(٥)، ولا خير في قوم لا يقبلون النصيحة، وأول ما يبتدئ الإنسان في نصيحته عشيرته الأقربون، وأهل بيته المقربون، قال الله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٥]. وما أحسن أداء النصيحة إن كانت من أهلها، ومن محلها وبيتها، وقبولها إذا كانت من ذويها.."(٦).

- أيضا نلحظ بعض الكلمات الناقصة في متن نص الوثيقة بالصفحة الأولى، كعدم ذكر: "وآله وصحبه وسلم تسليما" [ابن زيدان، ص٢٧٩] بعد البسملة والصلاة على سيدنا محمد في بداية الوثيقة؛ وأيضا عدم ذكر: "أيده الله" عند الحديث عن إسماعيل بن علي بن الشريف الحسني، وذلك في ديباجة الرسالة كما هو وارد عند ابن زيدان بالصفحة نفسها أعلاه.

---

(٥) رواه مسلم بالصيغة التالية: "الدين النصيحة ثلاثا، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

(٦) مولاي عبدالرحمن بن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج١، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ٢٧٩-٢٨٠.

ب - أما البتور الواردة في نص ابن زيدان المنشور فقد غطتها وثيقتنا المعتمدة وهي كالآتي:

- ابن زيدان، ص ٢٨٥ : "في حرمه... حرمة"/ الوثيقة ص ١١ : "في حرمه وأي حرمة".
- ابن زيدان، ص ٢٨٦ : "(ولله عاقبة الأمور)... واتق"/ الوثيقة ص١٣ : "(ولله عاقبة الأمور) واخش واتق".
- الصفحة نفسها : "والكيس من الناس من... نفسه"/ الوثيقة ص ١٤ : "والكيس من الناس من دان نفسه".
- ابن زيدان، ص٢٨٧ : "ويعمل... في بلده... حملتنا محبة ذلك... الشريف... الجنابة [خطأ] الظاهرة [خطأ]" انتهى نص ابن زيدان، وفيه بتر في آخره./ الوثيقة ص١٤ : " ويعمل بما يرضي ربه في بلده، فقد حملتنا محبة ذلك الحرم الشريف وإيثار ذلك الجناب الطاهر المنيف على تذكرتك ونصيحتك، وقد عودنا الله سبحانه التذكرة والنصيحة لجميع من عرفناه من المسلمين ووجدنا".
- أيضا هناك كلمات ناقصة في نص ابن زيدان مثل: ص٢٨١ : "فيما أقامه سيده"/ الوثيقة ص٤ : "وقام فيما أقامه فيه سيده".
- في الصفحة نفسها عند ابن زيدان: "سابغ نعمه وآلائه"/ صفحة الوثيقة نفسها : "سابغ نعمه تعالى وآلائه".

- عند ابن زيدان ص ٢٨٢: "من الاجتهاد والكلام يوم سقيفة بني ساعدة"/ في الوثيقة ص٥: "من الاجتهاد والكلام ما جرا يوم سقيفة بني ساعدة".
- عند ابن زيدان ص ٢٨٢: "أنوف الماردين الفجار"/ الوثيقة ص٦: "أنوف الماردين من الفجار".
- عند ابن زيدان ص٢٨٣: "نرجو أن نفوز بذلك يوم القيامة"/ الوثيقة ص٧: "نرجو من الله أن نفوز بذلك يوم القيامة".
- ابن زيدان ص٢٨٥: "وعلى المستضعفين والمساكين وأهل الخير شفيقا"/ الوثيقة ص١١: "وعلى المستضعفين والمساكين وأهل الخير شفيقا رفيقا".
- أخيرا عند ابن زيدان ص ٢٨٦: "قال عز وجل ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ الآية إلى فخور"/ الوثيقة ص ١٣، الآية كاملة: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٧ – ١٨].

٢ - هناك اختلافات وأخطاء في بعض الكلمات بالمقارنة بين النصين:

أ - بالنسبة للاختلافات:

- نجد في نص ابن زيدان ص٢٨١ : "وهو أول أرض مست نسمة رسول الله"/ الوثيقة ص٣: "ومنه أول أرض مست نسمة رسول الله".
- ابن زيدان ص ٢٨١ : "وفيها جمع القرآن"/ الوثيقة ص٤ : "وبها جمع القرآن".
- ابن زيدان ص ٢٨١ : "فطوبى لمن طوقه الله الخلافة"/ الوثيقة ص٤ : "فطوبى لمن طوقه الله بطوقها" الضمير يعود على الخلافة التي سبق ذكرها.
- ابن زيدان ص ٢٨١ : "واعتبر لما جرى عليه" / الوثيقة ص٤ : "واعتبر بما جرى عليه".
- ابن زيدان ص ٢٨١ : "إذا كانت الخلافة في بيت من قريش" / الوثيقة ص٤ : "إذا كانت الخلافة في بيتها من قريش".
- ابن زيدان ص ٢٨٢ : "من أعلى قريش نسبا"/ الوثيقة ص٥ : "من علياء قريش نسبا".
- ابن زيدان ص٢٨٢ : "فقد جاء ذات يوم"/ الوثيقة ص٦ : "فقد جاءه ذات يوم".
- ابن زيدان ص٢٨٢ : "حرم الله جسده على النار"/ الوثيقة ص٦ : "حرم الله جسده عن النار".

- ابن زيدان ص٢٨٣: "قيدوا النعم بالشكر"/ الوثيقة ص٧: "فبروا النعم بالشكر".
- ابن زيدان ص٢٨٤: "وولاية عملك، ففرحنا لذلك"/ الوثيقة ص٩: "بولاية عملك، ففرحنا بذلك".
- ابن زيدان ص٢٨٤: "ووصيفنا الحاج أحمد"/ الوثيقة ص١٠: "وصيفنا الحاج أحمد".
- ابن زيدان ص٢٨٥: "من لدن رجع من المشرق"/ الوثيقة ص١٠: "فمن لدن رجع من المشرق".
- ابن زيدان ص٢٨٥: "مواصلة كثيرة"/ الوثيقة ص١١: "مواصلة كبيرة".
- الوثيقة ص١٣: "وجاء من بيت الطهارة كان أحسن"/ ابن زيدان ص٢٨٦: "وجاء من بيت الطهارة كان أحسن وأحسن".

ب - بالنسبة للأخطاء:

- ابن زيدان ص ٢٨٢: "وغيرهم متغلبا"/ الوثيقة ص٥: "وغيرهم متغلب"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٢: "وقام خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأجاء"/ الوثيقة ص٥: "وقام خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأجاد"، وهو الأصح.
- الوثيقة ص٥: "ولكنكم كذا ولكنكم كذا يتمنى عليهم"/ ابن زيدان ص ٢٨٢: "ولكنكم كذا ولكنكم كذا يثني عليهم"، وهو الأصح.

- الوثيقة ص٦: "فمناصب الخلافة شريفة"/ ابن زيدان ص٢٨٢: "فمناقب الخلافة شريفة"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٤: "ولا أردنا معه كلاما"/ الوثيقة ص٩: "ولا أدرنا معه كلاما"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٥: "فهو واحد من اللازمين لأعتاب دارنا العلية بها"/ الوثيقة ص١٠-١١: "فهو واحد من الملازمين لأعتاب دارنا العلية بالله"، وهو الأصح.
- الوثيقة ص١١: "وتجار إن شاء الله عليها"/ ابن زيدان ص٢٨٥: "ونجازى إن شاء الله عليها"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٥: "ابقوني الضعفاء والمساكين"/ الوثيقة ص١٢: "ابغوني في الضعفاء والمساكين" وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٦: "وتكون ضابطا محترما في كل ما هنالك"/ الوثيقة ص١٤: "وتكون ضابطا محتزما في كل ما هنالك"، وهو الأصح، والمقصود أن يتحلى الشريف سعد بن زيد بالضبط والحزم في أمور الحكم.
- ابن زيدان ص٢٨٦: "واعتبارا عما فات عليك"/ الوثيقة ص١٤: "واعتبارا بما فات عليك"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص ٢٨٦: "الجنابة الظاهرة"/ الوثيقة ص١٤: "الجناب الطاهر"، وهو الأصح.

٣ - تخريج الآيات والأحاديث وتحديد تاريخ الوثيقة:

أ - يلحظ أن النص الوارد عند ابن زيدان منشـــور دون تخريج الآيات والأحاديث، وقد خرجنا منها ما تبقى في هذا التعقيب، خاصة ما تعلق بالجزء المبتور من وثيقتنا.

ب - لم يورد ابن زيدان ما يشير إلى تاريخ إصدار الرسالة ولا إلى الظروف المحيطة بكتابتها، وهو ما حاولنا إبرازه من خلال تحليلنا للرسالة.

بهذه الصورة نكون قد أحطنا بما ورد في النصين من اختلافات وبتور كمل مافي أحدهما الآخر. غير أن تلك الاختلافات الطفيفة والبتور - كما سبق الإشارة إلى ذلك - ليس لها تأثير على مضمون الرسالة العام ولا على الاستنتاجات التي خلصنا إليها في نهاية الدراسة.

أ. د. محمد أمين

الدارة

قسيمة اشتراك

السادة / مجلة الدارة

أرغب الاشـتـراك في مـجلة الدارة بعـدد (   ) نسـخـة، وذلك لمدة (   )

العنوان

ترسل الأعداد إلى: (   )

العنوان: الدولة: المدينة:

ص. ب: الرمز البريدي: الهاتف: الفاكس:

طريقة التسديد

☐ الإيداع في حساب دارة الملك عبد العزيز رقم: ٣٠٠٠٠٠٠٠٢٤٦١٢٣ في مصرف البنك الأهلي التجاري في الرياض فرع التخصصي، بتاريخ: / / هـ (ترسل صورة قسيمة الإيداع على الفاكس ٤٠١٣٨٩٤)

☐ شيك مصدق باسم دارة الملك عبد العزيز رقمه (   ) مسحوب على (   ).

☐ نقدًا

ترسل قسيمة الاشتراك إلى مجلة الدارة

◄ ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ . المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٢٠١٦ . فاكس ٤٠١٣٨٩٤

الاشتراكات السنوية

☐ سنة بقيمة (٢٠ ريالا) أو (٦ دولارات أمريكية)
☐ سنتان بقيمة (٤٠ ريالا) أو (١٢ دولار أمريكي)
☐ خمس سنوات بقيمة (١٠٠ ريال) أو (٣٠ دولار أمريكي)

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز

الدارة

الدارة

قسيمة اشتراك

السادة / مجلة الدارة

أرغب في إهداء الاشتراك في مجلة الدارة، وذلك لمدة (   )

العنوان

ترسل الأعداد إلى: (   )

العنوان: الدولة: المدينة:

ص. ب: الرمز البريدي: الهاتف: الفاكس:

طريقة التسديد

☐ الإيداع في حساب دارة الملك عبد العزيز رقم: ٣٠٠٠٠٠٠٠٢٤٦١٢٣ في مصرف البنك الأهلي التجاري في الرياض فرع التخصصي، بتاريخ: / / هـ (ترسل صورة قسيمة الإيداع على الفاكس ٤٠١٣٨٩٤)

☐ شيك مصدق باسم دارة الملك عبد العزيز رقمه (   ) مسحوب على (   ).

☐ نقدًا

اسم المُهدي ______________

عنوانه: ص. ب :   الرمز: هاتف:

ترسل قسيمة الاشتراك إلى مجلة الدارة

◄ ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ . المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٢٠١٦ . فاكس ٤٠١٣٨٩٤

الاشتراكات السنوية

☐ سنة بقيمة (٢٠ ريالا) أو (٦ دولارات أمريكية)
☐ سنتان بقيمة (٤٠ ريالا) أو (١٢ دولارًا أمريكيًا)
☐ خمس سنوات بقيمة (١٠٠ ريال) أو (٣٠ دولارًا أمريكيًا)

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز

الدارة

al_darah

SUBSCRIPTION FORM

I wish to subscribe to Al-darah for :

❑ One year ❑ Tow years ❑ Five years

Please forward my copies to the following address :

Address

Name ....

Street..

P.O Box................. Code .... Tel.............................. Fax ....

City.......................... Country...

Form of Payment

❑ Certified Cheque drawn to King Abdul Aziz Foundation for Research and Archives account No. 24612300000300 drawn by the .... Bank.

Subscription form to be mailed to :
P.O Box : 2945, Riyadh - 11461,
Kingdom of Saudi Arabia
Tel : 4011999/2016, Fax : 4013894

Subscription fee :

❑ One year SR. 20 ($6.00)

❑ Two years SR. 40 ($12.00)

❑ Five years SR.100 ($30.00)

al_darah

GIFT SUBSCRIPTION FORM

I wish to subscribe to Al-darah for :

❑ One year ❑ Tow years ❑ Five years

Please forward my copies to the following address :

Address

Name ....

City.......................... Street............................ Country...

P.O Box................. Code .... Tel.............................. Fax ....

Form of Payment

❑ Certified Cheque drawn to King Abdul Aziz Foundation for Research and Archives account No. 24612300000300 drawn by the .... Bank.

❑ Cash.

From .... Address ....
P.O Box..Code ....

Subscription form to be mailed to :
P.O Box : 2945, Riyadh - 11461,
Kingdom of Saudi Arabia
Tel : 4011999/2016, Fax : 4013894

Subscription fee :

❑ One year SR. 20 ($6.00)

❑ Two years SR. 40 ($12.00)

❑ Five years SR.100 ($30.00)

Hajj delegation in order to keep track of all the political and social movements of the delegation. Among the most important of those spies was Dr. Bashir al-Dinqazli, who was highly influential in his attempt to impart a positive image of French colonial rule in Tunis to the Saudi government.

(61 - 100)

Dr. Mohammad F. al-Faer

A Decree of the Mamluk Governor of Jeddah Janibak al-Jarkasi Dated to A.H.863 from the Great Mosque in Makkah

The importance of this decree is not limited to the names and titles of the amir Janibak, the governor of Jeddah, which it contains, but also for the mention it makes of the renovations and charitable works which the amir carried out in Makkah and Jeddah. This text provides additional information to what historians have written about the amir Janibak.

(101 - 149)

Dr. Fadl A. al-Ammari

The *Nuniyya* of al-Muthaqqab al-Abdi in the Light of the Old Style and Places in Eastern Arabia

Some readings have incorrectly sought to transfer the sites of the former encampments mentioned in the *nuniyya* of al-Muthaqqab to Iraq. This study seeks to organize these readings and explain the journeys as a symbol of the relationship of Amr b. Hind with the poet, as the lands of Abd al-Qays were in eastern Arabia, where the Manadhira exerted influence. In this way, all the events alluded to in the *nuniyya* are clarified.

(151 - 181)

Abdallah S. al-Drees

Termites: The Plague of Manuscripts and Buildings, and Some Myths Regarding Them

Although people may look down upon termites because of their minute size, they exert a great effect in the destruction they leave behind. So as to protect certain manuscripts from their deleterious effects, copyists sometimes resorted to writing spells on them. This can be observed in some manuscripts from Najd.

(183 - 191)

CONTENTS

ARTICLES